غير مخصص للبيع

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

منبر الإسلام

السنة (٦٤) العدد (١٠) شوال ١٤٢٦ هـ - نوفمبر ٢٠٠٥م -

مفهوم الحق وتطبيقاته فى القرآن الكريم

الرئيس مبارك يكرم الفائزين فى المسابقة العالمية للقرآن الكريم

عيد الفطر.. يوم الجائزة

الصحة النفسية فى سكينة النفس

من نماذج الفكر الخبيث كتاب تجمع الإسلام

ملتقى الفكر الإسلامى دعوة للعمل وشحذ للهمم

من محتويات العدد

□ تفسير سورة الانفطار

أ. د. محمد سيد طنطاوى

□ القرآن دستور الإسلام

أ. د. أحمد عمر هاشم

□ مكانة العقل فى العقيدة الإسلامية

أ. د. بكر زكى عوض

□ بمغانم رمضان يجب أن نواصل المسيرة

فضيلة الشيخ محمد عبدالمجيد زيدان

□ من نماذج الفكر الخبيث «كتاب تجمع الإسلام»

أ. د. محمد عمارة

□ تأويل مشكل القرآن... لابن قتيبة

أ. د. محمد الدسوقى

□ الإسلام دين الإنسانية والعالمية جمعاء

أ. د. إبراهيم سليمان عيسى

غلاف الشهر

• لقطات من احتفال مصر بليلة القدر الذى شهده الرئيس مبارك وكرم فيه الفائزين فى المسابقة العالمية الثالثة عشرة فى رحاب حفظ القرآن الكريم، وافتتاح ملتقى الفكر الإسلامى فى رحاب ساحة مسجد الإمام الحسين.

الاشتراكات

تطلب الاشتراكات من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . ٩ ش النباتات ـ بجاردن سيتى ـ القاهرة.
الاشتراكات عن سنة كاملة : ٣٥ خمسة وثلاثون جنيها بجمهورية مصر العربية.
الاشتراكات عن سنة كاملة : ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا أمريكيا للدول العربية والإفريقية
الاشتراكات عن سنة كاملة : ٤٠ أربعون دولارا أمريكيا للدول الأوروبية
الاشتراكات عن سنة كاملة : ٤٥ خمسة وأربعون دولارا أمريكيا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وشرق آسيا
الاشتراكات عن سنة كاملة : ٦٥ خمسة وستون دولارا أمريكيا فى أمريكا الجنوبية واستراليا واليابان.

المراسلات:

٩ ش النباتات بجاردن سيتى ـ القاهرة ـ تليفون: ٧٩٥٨٦٥٩ ـ ٧٩٤١٦٢٧ ـ ٧٩٥٨٦٦٤
تلغرافيا: منبر الإسلام ـ القاهرة

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - بالقاهرة

منبر الإسلام
تصدرها وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور : محمود حمدى زقزوق

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور : عبد الصبور مرزوق

نائب رئيس المجلس

مجلس التحرير

الدكتور : صوفى أبو طالب

الدكتور : أحمد كمال أبو المجد

الدكتور : أحمد هيكل

كلمة التحرير

عزيزى القارئ

مع إشراقة عيد الفطر المبارك . أعاده الله على أمتنا العربية والإسلامية باليمن والبركات يتضرع المسلمون إلى الله تعالى بعد أن صاموا رمضان إيمانا واحتسابا لوجهه الكريم أن يتقبل صيامهم وسائر أعمالهم، ففى يوم الفطر يفرح المسلمون بنجاحهم فى التغلب على شهواتهم بطاعة الله وهزيمة الشيطان بعد فشله فى إغوائهم فالانتصار على النفس أشد تمنعا من الانتصار على الأعداء.

على صفحات هذا العدد تقرأ معنا حول معنى الأعياد فى الإسلام، وكيف يكون الإحساس الحقيقى ببهجة العيد وكيف نتخذ منه فرصة هائلة لتبخير ماتعكر من صفو بين المسلم وأخيه لإعادة ما انقطع من ود ومحبة، وكيف يراجع المسلم . بعد أن صام رمضان . نفسه وينظر فيما اغتنمه من شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار.

ويحفل هذا العدد بمناسبتين طيبتين الأولى هى احتفال مصر بليلة القدر الذى كرم فيه الرئيس مبارك الفائزين فى المسابقة المحلية والعالمية لحفظ القرآن الكريم، والمناسبة الثانية هى حصاد ملتقى الفكر الإسلامى الذى نظمته وزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بساحة سيد الشهداء الإمام الحسين رضي الله عنه، هذا الملتقى الذى يعد صرحا من صروح الثقافة والمعرفة وقبلة راغبى العلم.

هذا بالإضافة إلى الأبواب الثابتة فى علوم القرآن والتشريع والحضارة وقضايا الدعوة إلى جانب الأبواب التى تشترك معنا عزيزى القارئ فى تحريرها.

كل عام وأمتنا بخير

حديث الشهر

أ. د. عبدالصبور مرزوق

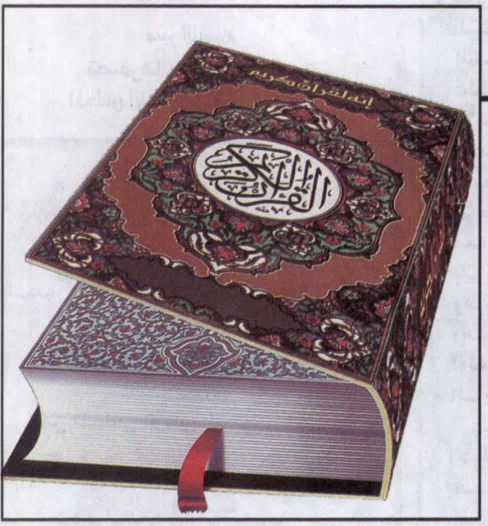

هذه المعايدة بجملة «كل عام وأنتم بخير» أو جملة «كل سنة وأنت طيب» توارثناها جيلا بعد جيل من آبائنا وأجدادنا، نعبر بها عن التمنيات الطيبة التى نكنها فى قلوبنا وعقولنا لمن نقولها لهم أفرادا كانوا أو جماعة، أقارب كانوا أم مجرد إخوة فى الله.

وهى من ثقافة شعوبنا الإسلامية التى علمها تراث الإسلام أن يحب أبناؤه الآخرين ويتمنوا لهم من الطيبات مثل ما يحبون لأنفسهم وما يتمنونه من الخير لأنفسهم.

وهى بهذا بعض فيض الترقى الحضارى للإسلام الذى جعلته عالمية دعوته أن يبسط مظلة الحب والخير والإيثار على الآخرين بعيدا عن الخلائق المتدنية من الأنانية وشح النفس. وغيرها من الخلائق التى يرفضها الإسلام العظيم، والتى يلخص الموقف فيها قول الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ: «تبسمك فى وجه أخيك صدقة».

وقوله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم».

***

ولو قدر لنا نحن المسلمين أن نبسط مظلة هذه الشمائل الكريمة لإنسانية الإسلام الراقية على العالم لتغيرت أوضاع وموروثات وتقاليد وثقافات الأنانية والجشع وشح النفس ولأدرك العالم أن الكلمة الطيبة صدقة ليس فقط فى التعامل

ع الأقربين من الناس ولكن فى لتعامل مع الإنسان حيثما وجد لإنسان.

***

من هنا يصبح من واجبات لمؤسسات والهيئات المعنية بنشر قافة الإسلام أن تجمع أشتات ما ى تراثنا من ذخائر النبل فى لسلوك وفى الأقوال والعمل ليس قط فى الحياة اليومية للناس بل فى ل تراث الإسلام، وفى التوجيهات لأخلاقية الكريمة للقرآن والسنة، ثم ى سلوك الشامخين من أصحاب لرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ مواقفهم الإنسانية لكى نبشر العالم ما عليه الإسلام من تفوق حضارى جعل من الملتزمين به من أتباعه ماذج حضارية جديرة بالاقتداء.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن لإسلام ذاتية خاصة تتيح له لانتشار بمجرد القدوة الحسنة دون رب أو قتال وحتى دون دعوة من حد. فقط هو مجرد السلوك لإسلامى الملتزم للإنسان المسلم.

ولعل ملاحظة دخول الشعوب منطقة شرق آسيا فى الإسلام مناطق أخرى من شرق ووسط ريقيا فى الإسلام جديرة بالملاحظة، قد دخل الإسلام هذه المناطق بقوته ذاتية وبالقدوة الطيبة التى عرفوها ى سلوك الإخوة من مسلمى جنوب جزيرة العربية (حضرموت وغيرها)، هفت أفئدتهم إلى الإسلام فدخلوا فيه ن غير أن يوجف المسلمون عليهم خيل ولا ركاب.

***

وهنا تكون التبعة على كل مسلم حيثما كان وخاصة بين غير المسلمين ـ من ضرورة الالتزام بالسلوك الإسلامى والخلق الإسلامى والسمت الإسلامى الذى يكون بمثابة نموذج بشرى يمشى على الأرض بين الناس بالإسلام.

عالمية الدعوة الإسلامية مظلة للحب والخير والإيثار

وقدوتنا فى ذلك سيد الخلق ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فقد سئلت أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن أخلاقه ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن».

***

أما بعد..

فأقول لكل ذوى قرباى أبنائى وأحفادى وبقية عائلتى.. وأقول لكل من ألقاه من إخوتى المسلمين..

أقول للجميع: كل عام وأنتم بخير..

للإسلام ذاتية خاصة تتيح له الانتشار بالقدوة الحسنة دون حرب أو قتال

وأقولها لكل مسئول فى موقعه، وأقولها لكل ولاة أمر الأمة سائلا الله أن يكون العام القادم خيرا من سلفه، تستعيد فيه أمتنا أمجادها العظام، وتسترد ما ضاع لها من حقوق.

وقبل هذا أتمنى أن نكون نحن فى العام القادم أكثر التزاما وأقوى اعترافا بالإسلام ليرى الآخرون الإسلام فينا فى حقيقته الحضارية والإنسانية العظيمة.

وأخيرا..

كل عام وأنتم بخير..

احتفال مصر بليلة القدر وتكريم الفائزين فى المسابقة العالمية للقرآن الكريم

الرئيس مبارك فى كلمته إلى الأمة الإسلامية

الرئيس مبارك أثناء إلقاء كلمته فى احتفال مصر بليلة القدر

نحتاج إلى وقفة مع الذات تصل ماضى الأمة الإسلامية بحاضرها ومستقبلها

لا أحد يملك حق احتكار الدين أو الزعم بامتلاك أفضلية خاصة

تابع الاحتفال : منير بيومى

فى ليلة القدر تتوحد قلوب المسلمين شرقا وغربا يتوجهون بالدعاء إلى الله ـ عزوجل ـ أن يتقبل صيامهم وسائر أعمالهم، فهى ليلة نزول القرآن، وهى خير من ألف شهر.

فقد استحقت تلك الليلة ما حباها به الله من تمجيد وتعظيم لأن الوحى الذى بدأ نزوله فيها إنما هو خطاب السماء إلى الأرض وكلمة الخالق إلى جميع الناس من أجل إصلاح أحوالهم فى دنياهم وأخراهم ومن أجل تصحيح مسيرتهم والاتجاه بهم إلى أكرم الغايات.

ومصر قيادة وشعبا تحرص على إحياء هذه الليلة وفى إطار هذا الحرص يلتقى الرئيس محمد حسنى مبارك وشعب مصر فى احتفال مهيب يكرم فيه حفظة القرآن الكريم وليس هذا بكثير على مصر بلد الأزهر الشريف التى رعت القرآن وعلوم الإسلام لأكثر من ألف عام، فدورها القدرى جعلها تعتبر هذا جزءا من واجبها ورسالتها نحو كتاب الله والمسلمين فى شتى بقاع الأرض.

وفى كلمته إلى الأمة العربية والإسلامية أكد الرئيس محمد حسنى مبارك: إن منطق المصارحة يقتضى منا التسليم بما يواجهه عالمنا الإسلامى اليوم من أوضاع صعبة ما بين قضايا عالقة طال انتظارها لتسوية عادلة كالوضع فى فلسطين وبؤر توتر غاب عنها الاستقرار كالوضع فى العراق ونزاعات مسلحة على غرار ما يجرى فى دارفور، وقلاقل واضطرابات على نحو ما هو حادث فى بقاع عديدة فضلا عن مشكلات الفقر والفجوة الآخذة فى الاتساع بين دول العالم الإسلامى والدول المتقدمة.

وقال الرئيس إن العالم الإسلامى وسط العواصف العاتية التى تحيط به والتحديات التى يواجهها فى حاجة الآن أكثر من أى وقت مضى لوقفة مع الذات، وقفة تتمعن فى جوهر الإسلام وتعاليمه وسماحته وتصل ماضى الأمة بحاضرها ومستقبلها.

وأضاف أننا فى حاجة لخطاب دينى يعى مشكلات المجتمع ويتعامل معها يعلى قيمة العمل والمشاركة.. ينشر الإدراك الواعى لقيم الإسلام.

وقال الرئيس: أقول للدعاة إنكم تتحملون مسئولية كبرى، علموا الناس ما ينفعهم وأعينوا الشباب على المشاركة فى حركة الحياة والاجتهاد فى خدمة الوطن. اجعلوا من تعاليم الدين وقيمه ومبادئه سلوك حياة. ذكروا دائما أن أحدا لا يمتلك حق الزعم باحتكار الدين.

وفيما يلى نص كلمة السيد الرئيس:

الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر..

العلماء الأجلاء..

ضيوف مصر الأعزاء..

الإخوة والأخوات..

أتحدث إليكم فى ليلة مباركة.. فى ليلة القدر.. فيها أنزل القرآن هدى للناس.. وفيها يفرق كل أمر حكيم.

ويسعدنى فى هذه المناسبة العطرة أن أتوجه بالتهنئة إلى شعب مصر وشعوب أمتنا العربية والإسلامية كما يسعدنى أن أتوجه بالتحية إلى علماء مصر ورجال الأزهر الشريف الذين يحرصون كل عام على أن يكون احتفالنا بهذه الليلة المباركة مناسبة نستلهم منها الدروس والعبر.. نراجع فيها أحوالنا وأحوال عالمنا العربى والإسلامى ونتفكر فيما فيه الخير لشعوبنا وأمتنا فى مشارق الأرض ومغاربها وخير البشرية على اتساع العالم.

الرئيس مبارك وعن يمينه رئيس مجلس الوزراء وعن يساره وزير الأوقاف

مرحلة بالغة الصعوبة

العلماء الأجلاء

الإخوة والأخوات

يأتى احتفالنا برمضان وليلة القدر، وسط ظرف إقليمى ودولى بالغ الدقة والتعقيد.. فى مرحلة بالغة الصعوبة يجتازها عالمنا الإسلامى وفى مواجهة تجديات غير مسبوقة تملى علينا جميعا أن نأخذها مأخذ الجد، وأن نتعامل معها بما تتطلبه من الحكمة واليقظة والتدبر.

إن العالم الإسلامى وسط العواصف العاتية التى تحيط به والتحديات التى يواجهها فى حاجة الآن أكثر من أى وقت مضى لوقفة مع الذات، وقفة تتمعن فى جوهر الإسلام وتعاليمه وسماحته وتصل ماضى الأمة الإسلامية بحاضرها ومستقبلها. وقفة تستلهم ما أسهمت به الحضارة الإسلامية فى تراث الإنسانية وتستمد منه العزم على مواجهة حاضر يموج بالتحديات والتصميم على صنع مستقبل يزخر بالطموحات والآمال.

لقد نزلت أولى آيات القرآن الكريم فى مثل هذه الليلة المباركة.. فكانت دعوة إلى القراءة والتعلم.. دعوة استجاب لها المسلمون الأوائل فخرج من بينهم علماء أجلاء.. أمثال ابن الهيثم.. والخوارزمى والفارابى وابن سينا وغيرهم.. وضعوا أسس علوم الجبر والفيزياء. أضافوا لعلوم الطب وللفلسفة اليونانية.. حملوا شعلة التنوير والحضارة.. ولاتزال اسهاماتهم محل تقدير العالم وإعجابه إلى اليوم.

الإسلام وقيم العمل

دعا القرآن الكريم والسنة المطهرة إلى مكارم الأخلاق، فانتشر الإسلام فى أندونيسيا وجنوب آسيا بما قدمه التجار المسلمون من قدوة حسنة. أعلى الإسلام قيم العمل والاجتهاد والمساواة والشورى.. أرسى حقوق المرأة ومبادئ احترام الآخر وحرية الفكر والاعتقاد.. فاتسع العالم

الإسلامى من الأندلس إلى مشارف الصين.

أين نحن الآن من ذلك؟ إن منطق المصارحة يقتضى منا التسليم بما يواجهه عالمنا الإسلامى اليوم من أوضاع صعبة.. ما بين قضايا عالقة طال انتظارها لتسوية عادلة كالوضع فى فلسطين وبؤر توتر غاب عنها الاستقرار كالوضع فى العراق ونزاعات مسلحة على غرار ما يجرى فى دارفور وقلاقل واضطرابات على نحو ماهو حادث فى بقاع عديدة فضلا عن مشكلات الفقر والفجوة الآخذة فى الاتساع بين دول العالم الإسلامى والدول المتقدمة فى مجال العلوم وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات وغيرها.

ظاهرة الإرهاب والتطرف

وفوق كل ذلك ومعه.. صار عالمنا الإسلامى فى مواجهة تحد رئيسى آخر.. يتمثل فى ظاهرة الإرهاب والتطرف.. يهدد مجتمعاتنا وأرواح أبنائنا وأرزاقهم ووحدتهم. ويعطى الذرائع والمبررات لمن يروجون لدعاوى صدام الحضارات ولمن يحاولون وصم العروبة والإسلام بالإرهاب، ولمن يشجعون المشاعر المعادية للمسلمين وجالياتهم فى دول الغرب وكأن حضارة برمتها تقف فى موقع الاتهام والترصد.

تحديات جسام

الإخوة والأخوات

نعم إن عالمنا الإسلامى يواجه تحديات جساما ومشكلات صعبة.. إلا أنها تحديات لا يستحيل تجاوزها ومشكلات لا تستعصى على الحل.. إننا نمتلك من الإيمان بالله والثقة فى أنفسنا ما يمكننا من ذلك ونستطيع أن نعمل يدا بيد كى نكون بحق خير أمة أخرجت للناس.

إن نهضة عالمنا العربى والإسلامى إنما تتحقق بنهضة أوطانه وشعوبه وأبنائه.. وإننا فى مصر مقبلون على مرحلة جديدة ومهمة فى مسيرتنا.. تشتد الحاجة خلالها لإدراك واع لرسالة الإسلام وجوهره.. تلك هى مسئولية علمائنا الأجلاء من رجال الأزهر.. إننا فى حاجة لخطاب دينى يعى مشكلات المجتمع ويتعامل معها.. يعلى قيمة العمل والمشاركة.. ينشر الإدراك الواعى لقيم الإسلام ومبادئه وتعاليمه.. ويبصر بسماحته ونبذه للتطرف والإرهاب وخطاب دينى يقطع الطريق على محاولات الدس والوقيعة بين مسلمى مصر وأقباطها ويحفظ لمصر استقرارها وسلامها الاجتماعى ووحدتها الوطنية.

أقول للدعاة الأجلاء اشرحوا للشباب أن الشريعة السمحاء حرمت إراقة دماء الأبرياء

مسئولية علماء الدين

أقول للدعاة الأجلاء.. من رجال الدين وعلمائه.. إنكم تتحملون مسئولية كبرى علموا الناس ما ينفعهم.. وأعينوا الشباب على المشاركة فى حركة الحياة والاجتهاد فى خدمة الوطن. اجعلوا من تعاليم الدين وقيمه ومبادئه سلوك حياة.. اشرحوا لشبابنا أن الشريعة السمحة قد حرمت إراقة دماء الأبرياء.. واستهداف الآمنين وترويعهم. ذكروهم دائما بأن الدين لله، والوطن للجميع.. وبأن أحدا لا يملك حق الزعم باحتكار الدين وما من جماعة تملك الزعم بأفضلية خاصة أو مرتبة أعلى.. أو تنصيب أفراد بعينهم أوصياء على الدين أو متحدثين باسمه نيابة عن جموع المؤمنين.

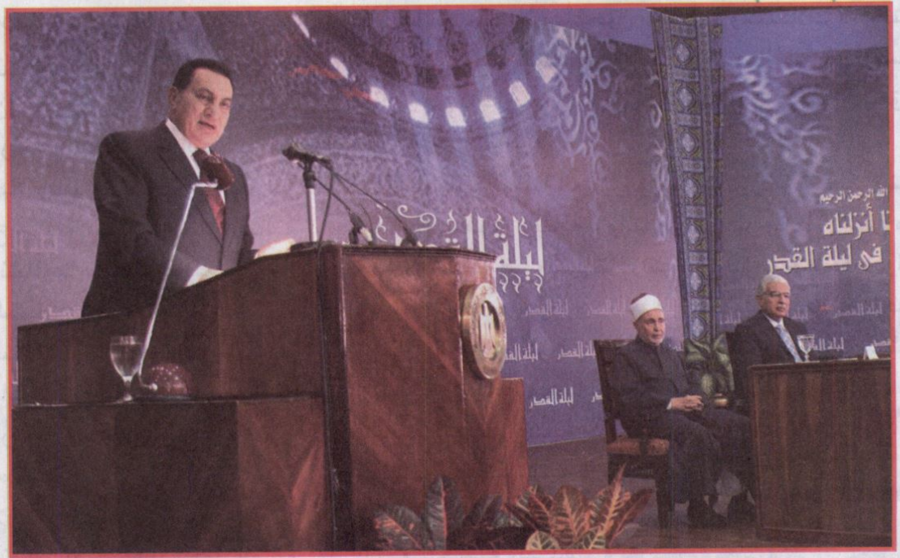

شيخ الأزهر ورئيس مجلس الوزراء يستمعان إلى كلمة الرئيس مبارك فى الاحتفال بليلة القدر

إننا مقبلون على مرحلة جديدة.. نستكمل خلالها ما حققناه معا خلال السنوات الماضية.. ونحقق بها طموحاتنا لمستقبل أفضل. ونحن عندما نتحدث عن أهدافنا فى هذه المرحلة على طريق الديمقراطية والإصلاح والتحديث.. فإننا إنما نقول لأنفسنا وللعالم.. هذه بضاعتنا ردت إلينا.. فتلك هى روح الإسلام الحقة وما يدعونا إليه ديننا الحنيف.. ندين به لأنفسنا ولشعوبنا ونمضى على طريقه موقنين بأننا أصحاب حضارة عريقة وأبناء منطقة هى مهد الديانات السماوية التى أنارت للعالم طريقه ولاتزال.

منطق المصارحة يقتضى منا التسليم بما يواجهه عالمنا الإسلامى اليوم من أوضاع صعبة وتحديات جسام

سوف نمضى فى المرحلة الجديدة المقبلة بعون الله وتوفيقه.. نواجه تحدياتها ونحقق طموحاتها. نتمسك بهويتنا وخصوصياتنا العربية والإسلامية.. وننفتح فى ذات الوقت على عالم لا نملك الانعزال عنه.. ندافع عن مصالح وطننا وأبنائنا وقضايا أمتنا.. نستلهم مبادئ الإسلام وتعاليمه وسماحته.. ونحاصر منابع الإرهاب والتطرف أيا كانت.. ننشد الخير للجميع فى عالم مستقر آمن.. يسعى للبحث عن قيم ومبادئ مشتركة. ومستقبل مشترك.. وعلاقات دولية تتأسس على الحوار والتكافؤ والتعاون والاحترام المتبادل.

ندعو الله فى هذه الليلة المباركة.. أن يوفقنا فى توحيد كلمتنا وجمع شملنا وأن يسدد خطانا ويهدينا لما فيه خير مصر وأمتنا العربية والإسلامية إنه سميع مجيب الدعوات.

كل عام وأنتم بخير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الدعاء المستجاب هو الذى يصدر عن قلب طهور ولسان صادق ونفس تقية

فى كلمته أكد فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر أن الدعاء إلى الله سبحانه وتعالى لابد أن يصدر عن لسان صادق وقلب طهور ونفس نقية ومشاعر تبتعد عن الحرام وتلتزم الحلال مشيرا إلى أن من آداب الدعاء ألا يتعجل الإنسان الإجابة وأن القرآن الكريم ساق لنا عشرات النماذج من أناس دعوا الله سبحانه وتعالى فأجاب لهم دعاءهم. كما دعا فضيلة الإمام الأكبر الله أن يديم على مصر نعمة الأمان والسلام والرخاء والاطمئنان وأن يديم على أبنائها من مسلمين ومسيحيين نعمة المحبة والتعاون.

قال فضيلته:

نسأل الله أن يديم على أبناء مصر من مسلمين ومسيحيين نعمة الأمان والتعاون على البر والتقوى

فى الأوقات الفاضلة يحلو الكلام عن الدعاء، ونحن الآن فى العشر الأواخر من شهر رمضان فى الليالى التى تلتمس فيها ليلة القدر والتى تتنزل فيها الملائكة لكى تدعو للمؤمنين، ومن دعائهم الذى قصه القرآن الكريم علينا. **﴿ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم* ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم* وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم﴾** غافر: الآيات ٧ ـ ١٠.

والدعاء ملاذ كل حائر وأمل كل مكروب وراحة كل مضطرب،

به يتضرع المخلوق إلى خالقه - عز وجل - وهو لون من ذكر الله سبحانه وتعالى، والقرآن الكريم يقول: **﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب* الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب﴾** الرعد: ٢٨ - ٢٩.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بأن يكثروا من التضرع إليه بالدعاء، ومن الآيات القرآنية التى أكدت هذا المعنى قوله تعالى: **﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون﴾** البقرة: آية ١٨٦.

آداب الدعاء:

ومن آداب الدعاء ألا يتعجل الإنسان الإجابة فأنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

والدعاء متى صدر عن لسان صادق، ومن قلب طهور ومن نفس تقية، ومن مشاعر تبتعد عن الحرام، تلتزم الحلال، عندما يصدر الدعاء من تلك النفس الطاهرة ومن اللسان الصادق تكون أهلا للإجابة.

ساق لنا القرآن الكريم عشرات النماذج من أناس دعوا الله سبحانه وتعالى فأجاب الله لهم دعاءهم.

وسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: أنا لا أحمل هم الإجابة وإنما أحمل هم الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء كانت الإجابة معه، معنى هذه العبارة النفيسة أن سيدنا عمر رضي الله عنه لا يحمل هم الدعاء لأنه متحقق، وإنما الذى يحمل همه هو أن يصدر الدعاء من قلب سليم، ومن نفس طاهرة، ومن إنسان يخاف مقام ربه وينهى نفسه عن الهوى.

ومن تلك النماذج دعاء سيدنا إبراهيم عندما دعا الله سبحانه وتعالى بقوله: **﴿واجعل لى لسان صدق فى الآخرين﴾** الشعراء: آية ٨٤، فأجاب الله دعاءه فكان كل نبى أتى بعد سيدنا إبراهيم من نسل سيدنا إبراهيم بما فيهم سيدنا رسول الله ﷺ.

وهذا سيدنا سليمان يدعو الله سبحانه وتعالى ويقول مبينا حاجته إلى خالقه عز وجل: **﴿رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب﴾** سورة ص: آية ٣٥.

ماذا كانت النتيجة. أجاب الله له هذا الدعاء: **﴿فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الأصفاد هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾** سورة ص: الآيات ٣٦ - ٣٩.

والدعاء يكون بعيد عن الإجابة إذا ولغ الإنسان فى الحرام عن طريق الرشوة أو عن أى طريق من الطرق التى حرمها الله - عز وجل.

قال بعض الصحابة للنبى ﷺ يارسول الله ادع الله أن يجعلنى مجاب الدعوة، فقال له النبى ﷺ يا فلان أخلص العبادة لخالقك وأطب مطعمك أى حافظ على أن يكون مأكلك من حلال ومشربك من حلال وملبسك من حلال وابن حياتك على الحلال، هنا تستجاب دعوتك. هكذا بين لنا رسول الله ﷺ.

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك وفقه الله وسدد خطاه ووفقنا جميعا مع سيادته لما يحبه ويرضاه.

إننا فى هذه الأيام المباركة نتضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن يديم على مصر وعلى شقيقاتها وعلى العالم أجمع نعمة الأمان ونعمة السلام ونعمة الرخاء ونعمة الاطمئنان.

وأن يديم على أبناء مصر من مسلمين ومسيحيين نعمة المحبة ونعمة التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وأن يديم على مصر هذه النعم وأن يجعلها فى رخاء لا تمد يدها إلا إلى خالقها - عز وجل - نسأله عز وجل - أن يديم علينا هذه النعم.

وكل عام وأنتم بخير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وزير الأوقاف فى الاحتفال بليلة القدر:

الدعوة إلى تجديد الخطاب الدينى ترتكز على أساس من القيم الإسلامية الدافعة إلى التقدم ومواكبة متغيرات العصر

أكد الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف أن الدعوة إلى تجديد الخطاب الدينى ترتكز على أساس من القيم الإسلامية الدافعة إلى تقدم المجتمع والتى تواكب متغيرات العصر. مشيرا إلى أن الوطن فى حاجة إلى كل العقول والسواعد التى تبنى وتعمر وتجمع القلوب على ما فيه مصلحة البلاد.

وأضاف د. زقزوق فى كلمته التى ألقاها فى احتفال مصر بليلة القدر أن مصر التى احتضنت الأزهر الشريف منذ أكثر من ألف عام قد حرصت على العناية بالقرآن الكريم وحفظه وتدريس علومه حتى أصبحت لها الريادة فى عالمنا الإسلامى فى الحفاظ على الدين الحنيف بعيدا عن المذهبيات الضيقة أو التعصبات الزائفة.

قال سيادته:

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الرئيس / محمد حسنى مبارك

رئيس الجمهورية

الحفل الكريم:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

يُعد شهر رمضان فى الإسلام شهر الروحانيات والتقرب إلى الله. ولا شك فى أن الروحانيات تُعد عنصراً أساسياً فى تكوين كل إنسان. وهذا أمر يؤكده تاريخ الحضارات التى صنعها الإنسان على مدى تاريخ البشرية. فقد كان الدين دائماً أحد المكونات الأساسية لكل الحضارات. والإيمان ـ الذى هو تعبير عن الدين ـ يُعد فطرة أصيلة فى أعماق النفس الإنسانية.

وهذا يعنى أن الإنسان متدين بطبعه كما تشير إلى ذلك الآية الكريمة **﴿فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾**

الروم: آية ٣٠، ومن أجل ذلك فإن الوقوف بالإنسان عند عالم المادة فقط يُعد قصوراً فى فهم طبيعة الإنسان وتكوينه.

وإذا كان شهر الصوم يلفت نظر الإنسان وعقله إلى هذا الجانب الهام من طبيعته، ويؤكد صلته بالله خالق الكون الذى يفتح له دائماً باب الأمل فى رحمته ورضوانه، فإن هذا ربما يفسر لنا سر ارتباط الإيمان بالأمل. فالمؤمن لا يمكن أن ييأس أو يتسرب القلق إلى نفسه أو الشك إلى قلبه. ويعبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله: **﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾** يوسف: آية ٨٧، وفى آية أخرى يدعو القرآن العباد إلى التمسك بالأمل فى رحمة الله قائلاً: **﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾** الزمر: آية ٥٣.

السيد الرئيس:

إن الدعوة إلى تجديد الخطاب الدينى - الذى هو قضية مستمرة ومتواصلة - ترتكز على أساس من القيم الإسلامية الدافعة إلى تقدم المجتمع والتى تواكب متغيرات العصر، وهى دعوة ترمى - من بين ما تسعى إليه - إلى تأكيد قيمة الأمل فى النفوس حتى ينطلق الجميع مقبلين على الحياة والعمل والإنتاج من أجل خير هذا الوطن الذى نعتز جميعاً بالانتماء إليه.

وهذا الاعتزاز ينبغى أن يترجم إلى أفعال على أرض الواقع، فالوطن فى حاجة إلى كل العقول والسواعد التى تبنى وتعمر، وتجمع القلوب والعقول على ما فيه مصلحة البلاد.

لقد وضع الشعب فيكم - يا سيادة الرئيس - ثقته التامة ليبنى معكم وبجهودكم مستقبل هذا الوطن بعزم أكيد وإصرار لا يعرف التردد أو اليأس.

وكلنا أمل فى مستقبل مشرق قد بزغت شمسه بالفعل وبدأت نسمات صبحه تنعش النفوس بالآمال الكبار، وأنتم تقودون هذه المسيرة اعتماداً على ثقتكم الكبيرة بالله وبشعب مصر العظيم الذى ضحى بالكثير من أجل أمته العربية والإسلامية، وآن له أن ينعم بالرخاء والاستقرار دون أن يتخلى عن مسئولياته تجاه أمته.

السيد الرئيس:

ومصر التى أحتضنت الأزهر الشريف منذ أكثر من ألف عام قد حرصت على العناية بالقرآن الكريم وحفظه وتدريس علومه حتى أصبحت لها الريادة فى عالمنا الإسلامى فى الحفاظ على الدين الحنيف بعيداً عن المذهبيات الضيقة والتعصبات الزائفة.

واستمراراً لهذه المسيرة تقيم مصر كل عام مسابقة عالمية فى حفظ القرآن الكريم وإدراك معانيه.

وقد تفضلتم مشكورين - كالعهد بكم دائماً - بوضع هذه المسابقة تحت رعايتكم الكريمة إيماناً منكم بمدى أهمية تنشئة الأجيال الجديدة على تربية دينية واعية ترسخ قيم التسامح والاعتدال والوسطية.

وقد تقدم لمسابقة هذا العام متسابقون من خمس وستين دولة. ويشرف الفائزون الليلة بتسلم جوائزهم من سيادتكم تشجيعاً لهم على الاستمرار فى التعمق فى علوم القرآن بصفة خاصة وعلوم الدين بصفة عامة ليكونوا منارات هداية وقدوة لغيرهم من الأجيال.

السيد الرئيس:

إن وزارة الأوقاف - التى تتحمل مسئولية التوعية الدينية الصحيحة فى داخل مصر - تقوم بدور مهم فى التعريف بالإسلام فى الخارج، وتدرك تماماً أن أمن هذا الوطن واستقراره مرهون بالوعى الدينى السليم البعيد عن كل ألوان التعصب والتطرف وما يترتب عليهما من إرهاب وترويع للآمنين.

وتتعاون الوزارة فى هذا الصدد تعاوناً لا حدود له مع الأزهر الشريف - قلعة الإسلام الحصينة - ومع دار الإفتاء المصرية. والدعاة فى مصر واعون بمسئولياتهم، مدركون لمهمتهم. والوزارة - التى تشرف على أكثر من ثلاث وتسعين ألف مسجد وزاوية - قادرة بإذن الله على الوفاء بمتطلبات هذه المرحلة التى تعيشها مصرنا العزيزة.

نسأل الله أن يحفظكم لمصر ويحفظ مصر بكم وأن يسدد على طريق الحق والخير خطاكم، إنه نعم المولى ونعم النصير.

وكل وعام وأنتم بخير،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

هدية الأوقاف إلى الرئيس مبارك مجلد «إنسانية الحضارة الإسلامية»

الرئيس مبارك يتسلم هدية وزارة الأوقاف من الدكتور محمود حمدى زقزوق

تسلم الرئيس محمد حسنى مبارك هدية مصر للعالم الإسلامى هذا العام قدمها إليه الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وهى عبارة عن مجلد بحوث ودراسات ومناقشات وتوصيات وقرارات المؤتمر الإسلامى العالمى السابع عشر الذى تنظمه وزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ويشارك فيه علماء ومفكرين من أكثر من ٧٥ دولة.

وأضاف الوزير إن الرئيس مبارك سيأمر بتوزيعها على المسلمين فى العالم من خلال سفارات مصر بالخارج لتكون فى خدمة الفهم الصحيح لحقائق الإسلام وسماحته ودعوته للسلام ونبذ العنف والإرهاب ويضم المجلد البحوث التى تؤكد إنسانية الحضارة الإسلامية ودعوة كل البشر للحب والتآخى والعمل المشترك لخدمة البشر جميعا فى كل أنحاء الأرض.

محافظة شمال سيناء الأولى فى رعاية وحفظ القرآن الكريم فى المسابقة المحلية

فازت محافظة شمال سيناء بالمركز الأول على مستوى الجمهورية فى حفظ القرآن الكريم وانتشار معاهد ومكاتب تحفيظ القرآن.

وقد تسلم الجائزة من الرئيس مبارك وقدرها ١٠٠ ألف جنيه ودرع وزارة الأوقاف اللواء أحمد عبدالحميد محافظ شمال سيناء وصرح المحافظ بأن الجائزة سوف تخصص لدعم مكاتب تحفيظ القرآن الكريم بالمحافظة «الكتاتيب» التى انتشرت بالمحافظة مما جعلها تستحق الفوز هذا العام بالمركز الأول على مستوى المحافظات.

وصرح د. محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف بأن الجائزة ودرع الوزارة تستحقهما محافظة شمال سيناء، وأنه سيتم هذا العام تخصيص دعم اضافى لإعانة المساجد ومكاتب تحفيظ القرآن بها ورعاية مكاتب تحفيظ القرآن البعيدة عن المساجد والمحفظين الذين يُعَلِّمُون الأطفال فيها حفظ القرآن وترتيله وتجويده ورفع مستواهم المادى.

جائزة مبارك للعلوم الإسلامية مناصفة بين أستاذين جامعيين

الجائزة تشكل حافزا قويا لتقديم دراسات تواكب تطورات العصر

على هامش احتفالات مصر بليلة القدر قام الرئيس حسنى مبارك بتسليم جائزة مبارك العالمية للدراسات الإسلامية لهذا العام مناصفة بين كل من الدكتور أحمد مصطفى العتيق الأستاذ بمعهد بحوث ودراسات البيئة التابع لجامعة عين شمس والدكتور عبدالفتاح مصطفى غنيمة الأستاذ بكلية الآداب جامعة المنوفية وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، حيث حصل كل فائز على مبلغ خمسين ألف جنيه وبراءة الجائزة وشهادة تقدير من الرئيس مبارك، نظير ما قدمه العالمان لخدمة الفكر والقضايا الإسلامية.

وقد أشاد الدكتور محمود حمدى زقزوق - وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى كلمته التى ألقاها فى الاحتفال بقرار الرئيس مبارك بمنح جائزة مبارك للعلوم الإسلامية للمتميزين فى مجالات وقضايا الفكر الإسلامى، بقيمة مائة ألف جنيه للفائز.

وأكد الوزير على أن هذه الجائزة ستشكل دفعة قوية لكل المهتمين بهذه الدراسات باعتبارها حافزا يسهم بشكل كبير فى تقديم دراسات وأبحاث ذات مستوى متميز يساير تطورات العصر ويواكب كل مستجدات الفكر والفقه والخطاب الإسلامى.

الرئيس يكرم الفائزين من حفظة القرآن الكريم فى المسابقتين المحلية والعالمية

الرئيس مبارك يسلم جائزة حفظ القرآن الكريم للفائز عبدالصمد حمدان من المغرب

كرم الرئيس محمد حسني مبارك خلال الحفل الفائزين فى المسابقتين العالمية والمحلية للقرآن الكريم حيث سلمهم جوائزهم المالية وقد شارك في مسابقة مصر الدولية الثالثة عشرة متسابقون من ٦٥ دولة. وتقدم للمسابقة المحلية أكثر من ١٠٠ ألف متسابق من الأطفال والشباب والفتيات.

وقد تم اختيار طفل وطفلة من معجزات مصر فى حفظ القرآن الكريم رغم صغر سنهما لكي يكرمهما الرئيس مبارك ويسلمهما الجائزة نيابة عن كل الفائزين في المسابقة المحلية.

كما سيتم تكريم باقي الفائزين وتسليمهم جوائزهم المالية في احتفال خاص يقام بوزارة الأوقاف والفائزان هما:

- الطفلة هاجر محمد إبراهيم سليمان من الشرقية وسنها ست سنوات وجائزتها عشرة آلاف جنيه.
- الطفل ثروت سليمان عبدالخالق من المنوفية وسنه ست سنوات ونصف السنة وجائزته عشرة آلاف جنيه

الفائزون فى المسابقة العالمية:

كما سلم الرئيس مبارك الجوائز للفائزين فى مسابقة مصر العالمية لحفظ وتلاوة وتجويد القرآن الكريم التى شارك فيها أكثر من ١٢٠ متسابقا من ٦٥ دولة والتى اشتملت خمسة فروع.

حوار أبوى.. بين الرئيس مبارك والطفلة هاجر «٦ سنوات» الفائزة بالجائزة الأولى فى المسابقة المحلية لحفظ القرآن الكريم

والمكرمون من الرئيس مبارك هم:

الفرع الأول: حفظ كامل القرآن الكريم مع التجويد والترتيل وتفسير الجزء الحادي والعشرين منه:

● محمود حسن محمد الفخراني من مصر وجائزته ٤٠ ألف جنيه.

● عبدالصمد حمدان من المغرب وجائزته ٣٠ ألف جنيه.

الفرع الثانى: حفظ كامل القرآن الكريم مع التجويد والترتيل

● محمد سيد أحمد محمد من مصر وجائزته ٣٠ ألف جنيه.

● وحيد غفران ليا من إيران وجائزته ٢٥ ألف جنيه.

الفرع الثالث: حفظ ٢٠ جزءا من القرآن الكريم مع التجويد والترتيل

● أسامة ولد أحمد ولد سيد أحمد من موريتانيا وجائزته ١٥ ألف جنيه.

● أحمد محمد أحمد محمد من مصر وجائزته ١٢ ألف جنيه.

الفرع الرابع: حفظ عشرة أجزاء من القرآن الكريم مع التجويد والترتيل:

● محمود كمال الدين محمود محمد من مصر وجائزته ١٠ آلاف جنيه.

● عمر خالد أحمد الخياط من البحرين وجائزته ٩ آلاف جنيه.

الفرع الخامس: حفظ ستة أجزاء من القرآن الكريم للدول غير الناطقة بالعربية

● جت كوكو. من ميا نيمار وجائزته ١٢ ألف جنيه.

● ابتهال جمال حسن المرزوقي من إيطاليا وجائزتها ١١ ألف جنيه.

المكرمون.. فى رحاب القرآن الكريم

٦٠ دولة.. و١٠٠ متسابق فى المسابقة الدولية للقرآن الكريم

مجموعة من المتسابقين المشاركين فى المسابقة

لا يختلف اثنان على أهمية القرآن الكريم وتأثيره فى حياة
سلم ولاسيما النشء فهم حاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها، ومن
ذا المنطلق كان حرص مصر على تنظيم المسابقة الدولية للقرآن
كريم التى دخلت عامها الثالث عشر حتى أضحت شعاعا من نور
سطع فى أرجاء عالمنا الإسلامى، ومؤتمرا يلتقى فيه الشباب من
ميع أنحاء العالم الإسلامى، فتحية إعزاز وتقدير إلى كل من ساهم
ى إقامة هذه المسابقة.

وقد رأت مجلة «منبر الإسلام» أن تلقى الضوء على هذه المسابقة
لها من تأثير فعال فى حياة كل مسلم.

فى البداية تحدث فضيلة الشيخ عبد الغفور عبد الكريم عبيد
ن المملكة العربية السعودية عضو لجنة التحكيم فى المسابقة
دولية للقرآن الكريم قائلا: تدخل المسابقة هذا العام عامها الثالث
شر بمشاركة أكثر من ستين دولة، بلغ عدد المتسابقين فيها حوالى
ئة متسابق فى خمسة مستويات.

إعداد: محمد كامل شاهين - تصوير: سيد الزفزاف

الفرع الأول: حفظ القرآن الكريم كاملا مع التجويد والترتيل وتفسير الجزء الحادى والعشرين من الآية ٤٦ من سورة العنكبوت إلى الآية ٣٠ من سورة الأحزاب.

الفرع الثانى: حفظ القرآن الكريم كاملا مع التجويد والترتيل.

الفرع الثالث: حفظ عشرين جزءا من القرآن الكريم متصلة مع التجويد والترتيل.

الفرع الرابع: حفظ عشرة أجزاء من القرآن الكريم متصلة مع الجويد

والترتيل.

الفرع الخامس: حفظ ستة أجزاء من القرآن الكريم متصلة للمتسابقين من الدول الناطقة بغير العربية ومن غير الدارسين بالأزهر.

وقد تم تشكيل ثلاث لجان من المحكمين المشهود لهم بالكفاءة للتحكيم فى المسابقة، ويشترط فى المتسابق.

١ - أن يكون ملما بأحكام وأصول القراءة التى يختارها.

٢ - ألا يكون المتسابق من مشاهير القراء فى العالم الإسلامى أو من محترفى التجويد والترتيل فى بلده، ولا يكون من خريجى الأزهر.

٣ - لا يجوز للمتسابق أن يغير فى فرع المسابقة الذى اختاره فى استمارة الترشيح إلى فرع أدنى.

٤ - ألا يكون المتسابق قد فاز فى مسابقة العام الماضى ما لم يكن متقدما لفرع أعلى.

٥ - ألا يزيد عمر المتسابق فى جميع الفروع على خمسة وعشرين عاما دون التقيد بحد أدنى للسن.

٦ - يجوز للمشترك الكفيف أو من يقل عمره عن اثنى عشر عاما أن يصطحب مرافقا معه، كما لا يجوز أن يزيد عدد المرافقين من الدولة الواحدة عن مرافق واحد.

اقتراحات جديرة بالاهتمام

ويقترح الشيخ عبدالغفور عبيد أن تكون المسابقات العالمية للقرآن الكريم علانية أمام الجمهور، ورفع القيمة المادية للمتسابقين تشجيعا لهم على مواصلة حفظهم للقرآن الكريم، وتكريم القدامى من حفظة القرآن الكريم من مصر وخارجها، وتشكيل أمانة عامة للمسابقات الدولية للقرآن الكريم تتبع وزارة الأوقاف والشئون الدينية فى الدول المنظمة لهذه المسابقات، وتكون وظيفتها التنسيق بين البلدان الإسلامية، بحيث تكون كل مسابقة فى شهر مختلف من شهور السنة، ولا تكون جلها فى شهر رمضان فقط وبذلك تكون المسابقات الدولية للقرآن الكريم طوال العام.

وعن أغرب ما صادفه فى هذه المسابقة تحدث الشيخ عبدالغفور عبيد قائلا: تقدم متسابقان فى الفرع الرابع، وكان عمر كل منهما حوالى عشر سنوات، ومن الغريب أنه لم يخطئ أيا منهما حتى تساويا فى الدرجات، ثم أعيد اختبارهما

الشيخ/ عبدالغفور عبيد
عضو هيئة التحكيم - السعودية

للمفاضلة بينهما فتساويا أيضا، ثم وجهنا إلى كل منهما سؤالين فى أحكام التجويد، أجاب الأول على أحد السؤالين وأخفق فى الآخر، أما المتسابق الثانى اعتذر عن عدم معرفته بأحكام التجويد، وبذلك فاز من لديه معرفة بهذه الأحكام.

ثم تحدث فضيلة الشيخ محمدالتهامى بارودى من تونس - عضو لجنة التحكيم فى المسابقة الدولية للقرآن الكريم - قائلا: إن وزارة الشئون الدينية فى تونس هى التى قامت بترشيحه ليكون محكما لأول مرة فى المسابقة الدولية للقرآن الكريم فى مصر، والمسابقة الدولية فى تونس لا تختلف عن مصر من حيث التنظيم، وإن كانت تعقد فى جامع الزيتونة ويحضرها كل من أراد أن يرى المتسابقين عن قرب وهم يتنافسون أمام لجنة التحكيم.

لجنة تحكيم مسابقة القرآن الكريم تنصت باهتمام لأحد المتسابقين

موهبة فذة

●● التقينا بالطالب محمود كمال الدين النجار «١٢ عاما» من مدينة البيضاء مركز تمى الأمديد - محافظة الدقهلية، تحدث عنه عمه طه محمود النجار قائلا: «إنه بدأ حفظ القرآن الكريم فى سن ست سنوات وأتمه فى التاسعة من عمره، وخلال ثلاث سنوات فقط استطاع أن يجود القرآن الكريم على يد الشيخ «صلحى محمود» الذى لم يألوا جهدا من أجل نجاحه فى تحفيظ القرآن الكريم، كما أن والده - رحمه الله - اهتم به اهتماما كبيرا وحرص على أن يكون ابنه من ضمن المتفوقين فى هذا المجال، ولم يكتف بذلك بل حفظه الأدعية الدينية والأحاديث النبوية الشريفة، وما أن أتم حفظه للقرآن الكريم حتى شجعه على دخول المسابقات القرآنية، وكان أولها المسابقات التى تعقد على مستوى محافظة الدقهلية، ثم تقدم للمشاركة فى المسابقة التى تعقد على مستوى جامعة الدول العربية، والتى تعرف باسم «المبدع الصغير» وحصل فيها على المركز الأول سنة ٢٠٠٤م، وتسلم الجائزة من السيد عمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية. كما شارك فى مسابقة الخرافى التى نظمتها «جريدة الأهرام» وحصل فيها على المركز الثالث، إلى جانب العديد من الجوائز التى حصل عليها من الجمعية الشرعية، ومسابقة طلائع الشباب والرياضة وغيرها من الجوائز حتى لقب بـ«صائد الجوائز» كما أنه يميل إلى استماع القرآن الكريم بصوت الشيخ مصطفى إسماعيل، والشحات أنور وغيرهم من كبار المقرئين.

أسرة قرآنية

وعن كيفية التوفيق بين دراسته وقراءته للقرآن الكريم أجاب بأنه يستذكر دروسه بجدية طوال اليوم، فيستيقظ مبكرا، ويؤدى صلاة الفجر ثم يراجع عدة أجزاء من القرآن الكريم قبل ذهابه إلى المدرسة، وعند عودته منها يستريح

قليلا، ثم يستذكر دروسه وبعد الانتهاء منها يبدأ مرة أخرى فى مدارسة القرآن الكريم وحفظه، ومراجعة ما حفظه قبل ذلك.

والجدير بالذكر أن محمود كمال الدين له ثلاث أخوة كلهم من حفظة القرآن الكريم فأخته تحفظ «٢٧ جزءا» من القرآن الكريم، والأخت الصغرى «٧ سنوات» تحفظ «٥ أجزاء»، والأخ الأصغر «٥ سنوات» يحفظ «٧ أجزاء»، إنها حقا عائلة قرآنية.

●● والتقينا بعبدالله كينتو من أوغندا «٢١ عاما»، طالب بالسنة الثالثة بالمركز الإسلامى بكمبالا، والذى يخضع لإشراف الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، بدأ حفظه للقرآن الكريم فى سن السادسة عشرة من عمره حينما شاهد فى التلفاز فضيلة مفتى المملكة العربية السعودية وهو يقرأ القرآن الكريم يوم عرفة فأعجب به وصمم على أن يحذو حذوه فى مدارسة القرآن الكريم إلى أن استطاع أن يحفظه تحت إشراف أحد كبار الشيوخ.

طفل فى الثانية عشرة من عمره.. لقب بـ«صائد الجوائز» فى العديد من مسابقات القرآن الكريم

وعن كيفية مشاركته فى المسابقة أجاب قائلا: رشحت من قبل المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بأوغندا حيث تم اختيارى من بين عدة متسابقين للاشتراك فى المسابقة الدولية للقرآن الكريم فى مصر فى الفرع الثالث من المسابقة «حفظ عشرين جزءا من القرآن الكريم» وأتمنى الفوز بإحدى الجوائز.

وعن مدى اهتمام المسلمين فى أوغندا بالقرآن الكريم أجاب قائلا: إن المسلمين يهتمون بالقرآن الكريم ويشجعون أولادهم على الذهاب إلى المراكز الإسلامية العديدة المنتشرة ليس فى العاصمة كمبالا فحسب بل على مستوى أوغندا، خاصة أن عددهم يبلغ حوالى ٣٥٪ من عدد السكان البالغ ٢٥ مليون نسمة.

●● ومن البانيا التقينا بسلمان كوباتشى «١٩ عاما» بدأ حفظ القرآن الكريم بمساعدة أساتذته ولكن الفضل الأكبر يعود إلى شيخه ومعلمه المصرى «عابد رمضان» الذى قام بمجهود كبير فى تحفيظه القرآن الكريم بالمركز الإسلامى بألبانيا، وهذا م شجعه على التقدم للمشاركة ف المسابقة الدولية للقرآن الكريم ف مصر لأول مرة عن طريق ترشي المركز الإسلامى له بالعاصمة تيرانا فالدولة تهتم بالقرآن الكريم وتسع سعيا حثيثا نحو هذا الهدف، فهنا العديد من المراكز الإسلامية الت تهتم باللغة العربية والقرآن الكريم وهذا ما شجع العديد من الشبا على المشاركة فى الكثير من المسابقا الدولية للقرآن الكريم التى تقام ف العديد من البلدان الإسلامية.

●● من بوركينا فاسو التقين بـ«عبدالقادر باندى» - ٢٠ عاما - الذ يشارك لأول مرة فى المسابقة الدولي للقرآن الكريم فى الفرع الرابع «حفظ عشرة أجزاء من القرآن الكريم متصل مع التجويد والترتيل»، ويحب الاستماع إلى كبار الشيوخ مثل الشي عبدالباسط عبدالصمد، والشي محمود خليل الحصرى وغيرهم م كبار المقرئين، والذى شجعه عل مواصلة تفوقه ونبوغه فى القرآ الكريم هو المجهود الكبير الذى يقو به مركز الفاروق الإسلامى من جه كبير فى هذا المضمار من حيث الاهتمام بالطلاب وتعليمهم القرآ الكريم واللغة العربية.

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»**.

يواصل عطاءه المتجدد ويقف على مستجدات العصر

ملتقى الفكر الإسلامى

رؤية نقدية للحاضر ونظرة إسلامية للمستقبل

شحنة إيمانية هائلة يتزود بها رواد ملتقى الفكر الإسلامى فى جو من الروحانيات التى يشع أريجها ويفوح عطرها بين جنبات المكان لتمدهم بطاقة روحية خير زاد على مدار العام؛ فتزكى النفوس وتخشع القلوب، وتشحذ الهمم، وتوقظ الأرواح، وتعلو قيم الحق والخير والعدل فى عالم تصدعت فيه جدران القيم وتراجعت منظومة الأخلاق.

ورغم ظلال الروحانيات التى أحاطت بفاعليات الملتقى إلا أنه لم يكن بمنأى عن الأحداث الدولية حتى لا تفقد أمتنا حاضرها وتخرج من سباق المستقبل، وتتوارى خلف أستار النسيان فى عالم لا مكان فيه لمتقاعس أو متخاذل، وإنما جاءت وقائع الملتقى موصولة بما يستجد من أحداث متفاعلة مع ما يطرأ على الساحة الدولية من متغيرات، مساهمة فى صياغة واقع حضارى جديد لأمتنا يواكب مستجدات العصر.

تابع الملتقى: مصطفى إبراهيم خيان

الدعوة إلى العمل والأخذ بأسباب العلم

د. محمد سيد طنطاوى:

الأتقياء من ذوى العلم هم أكثر الناس قربا من الله

جماهير غفيرة توافدت على السرادق المقام بساحة الإمام الحسين فى افتتاح ملتقى الفكر الإسلامى لتتلقى درسا من دروس العلم الرشيد، ولتشهد بداية موسم خير من مواسم الثقافة الدينية المستنيرة.

ولتعكس حالة من الشوق العارم الذى يغمر القلوب العامرة بالإيمان.

شهد حفل الافتتاح كل من فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر - والدكتور محمود حمدى زقزوق - وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - والدكتور عبد الصبور مرزوق - أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ولفيف من الوزراء وسفراء الدول الإسلامية ولفيف من الضيوف العرب والأجانب وجمهور غفير من المصريين وأبناء الجاليات الإسلامية.

جاءت الكلمات معايشة لواقع الأمة، وكاشفة عن بعض ما يعتريها من هموم فى ظل ما طرأ من مستجدات ومتغيرات على المستويين المحلى والعالمى.

آدم يفضل الملائكة:

ونظرا لمكانة العلم والعلماء التى أفاض القرآن الكريم فى الحديث عنها، فقد جاءت كلمة شيخ الأزهر لتبرز أهمية العلم فى بناء الأمم والشعوب، مشيرا إلى أن القرآن الكريم لم يفضل آدم على الملائكة لقوته الجسدية، وإنما لأن الله تعالى منحه علما لم يمنحه للملائكة وهو ما توضحه الآيات الكريمة من أوائل سورة البقرة: **﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين* قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾** البقرة: الآيتان ٣١، ٣٢.

طلب العلم:

وقال شيخ الأزهر إن قول الرسول ﷺ **«اطلبوا العلم ولو فى الصين»** لم تكن دعوة للذهاب إلى الصين فحسب، وإنما هى دعوة لطلب العلم فى أى مكان وجد فيه العلم، مهما بعدت المسافات ومهما بلغت المشقات، والله تعالى لم يأمر النبى ﷺ بالاستزادة من شىء كما أمر بالمزيد من العلم كما جاء فى قوله تعالى: **﴿وقل رب زدنى علما﴾** طه: آية ١١٤.

فلم يأمر الله النبى أن يطلب مالا أو جاها، وإنما أن يطلب زيادة وسعة فى العلم.

وأضاف شيخ الأزهر إن كل عالم تقى النفس عندما يتفوق

فى افتتاح ملتقى الفكر الإسلامى

شيخ الأزهر ووزير الأوقاف وأمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى افتتاح الملتقى

د. محمود حمدى زقزوق:

رمضان منحة ربانية تصحح مسار الإنسان وتعيد إليه عنصره الروحى

فى علم من العلوم يكون أقرب إلى الله من غيره؛ فالطبيب والمهندس والصانع والزارع ورجل الدين؛ كل منهم عندما يبرع فى علمه يزداد صلة وقربا من الله، ورمضان هو شهر القرآن والتقوى، أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، فعلينا أن نتزود فيه من كل خير.

مقدسات الأمم

وأكد الدكتور محمود حمدى زقزوق - وزير الأوقاف - أن ملتقى الفكر الإسلامى أصبح علامة بارزة فى هذا الشهر الكريم الذى يذكرنا بمعان عظيمة فإذا كان لكل أمة مقدساتها التى تحميها وتحافظ عليها وتعرف بها فإن للأمة الإسلامية الكثير من هذه المقدسات التى توجب على المسلمين الحفاظ عليها وحمايتها كالحرمين الشريفين والمسجد الأقصى، وهذا الشهر أيضا فرصة سانحة تمنحنا السمو الروحى والنقاء القلبى.

وقال الوزير: إن علينا أن نتذكر الفطرة الأصلية التى فطر الله الناس عليها، فالله حين خلق الإنسان خلقه من طين، وأضاف لهذه المادة من روحه **﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾** الحجر: آية ٢٩، لذلك أمر الله الملائكة أن تسجد للإنسان الذى نفخ فيه من روحه، لكن الإنسان كثيرا ما ينسى هذا العنصر الروحى - الذى منحه الله إياه - فى غمرة الحياة ومشاغلها.

ولذا فإن رمضان منحة ربانية تعيد إلينا هذا العنصر الروحى فهو شهر القرآن الذى هو المنهج الذى يجب أن يسير عليه الإنسان ليصحح مساره دائما.

وأوضح الدكتور زقزوق أن الإنسان ليس روحا فقط بل إن الله كلفنا بمسئولية الخلافة فى الأرض بما تشتمل عليه من مسئوليات وتبعات ثقال، وعنها يقول الحق تبارك وتعالى: **﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾** الأحزاب: آية ٧٢.

ومن هنا فإذا ذكرت العبادة فى القرآن، فلا يعنى ذلك أن العبادة قاصرة على الصلاة والصيام والحج، بل العبادة المقصودة مفهوم شامل لكل عمل يقوم به الإنسان فى الحياة دينيا ودنيويا طالما فيه نفع للناس.

وحذر الوزير من الارتكان إلى الكسل فى رمضان وتحميل الصيام ما يشعر به البعض من كسل وخمول مؤكدا أن هذا الشعور يصيب أولئك الذين يسهرون ولا ينامون الليل ولا ينظمون أوقاتهم، فيذهبون إلى أعمالهم كسالى فيقصرون فى أداء مصالح الناس، فالعمل فى هذا الشهر مأجور عند الله، مشكور عند الناس.

شهر الانتصارات

ووصف الدكتور عبدالصبور مرزوق شهر رمضان بأنه شهر العزائم وقوة الإيمان، فالتاريخ يروى لنا أن أعظم انتصارات المسلمين قديما وحديثا تحققت فى هذا الشهر المبارك، ولعل فى غزوة بدر وفتح مكة والعاشر من رمضان ما يؤكد تلك الحقيقة الباهرة.

د. عبدالصبور مرزوق:

على المسلمين أن يأخذوا بأيدى بعضهم البعض ليخرجوا الأمة من البلاء الذى حاق بها

وأضاف: إن المسلمين فى هذا الشهر أكثر إقبالا على فعل الخير من أى شهر آخر لما يحمله هذا الشهر الكريم من تقوى مصداقا لقول الحق تبارك وتعالى: **﴿ياأيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾** البقرة: آية ١٨٣.

والتقوى هنا تعنى التفريق بين الحق والباطل، ولن يستطيع أن يبلغ هذه التقوى إلا من ضبط نفسه ووطنها على قيم الإسلام ومبادئه؛ لتمنحه قوة تعينه على فعل الخير.

الاقتداء بالسلف الصالح

وشدد الدكتور عبدالصبور مرزوق على ضرورة أن تأخذ الأمة بعطاء هذا الشهر الكريم كما كان يفعل أسلافنا العظام لتستعيد قوتها. وقال: إن على المسلمين أن يأخذوا بأيدى بعضهم البعض ليخرجوا الأمة من البلاء الذى بها، ولن يتحقق ذلك إلا إذا كنا على قلب رجل واحد حتى ينصرنا الله وهو خير الناصرين.

المستشار رجائى عطية:

لا يجوز الخلط بين إرهاب يروع الآمنين ودفاع مشروع لاسترداد الأرض

لا تجد دينا كالإسلام فى رفضه للعنف ونبذه للعدوان وتصديه لكافة أشكال التطرف والإرهاب؛ ففى ظلال الإسلام عاش الآخرون فى أمن وسلام بصورة لم يعهدها مع ذويه ممن يدينون بديانته، وتحت رايته انضوى الجميع ينعمون بحرية لم تعرفها الإنسانية من قبل، ورغم مظاهر التسامح والرحمة التى زينت تاج الإسلام إلا أن هناك من يطلع علينا بين الحين والآخر موجها سهامه المسمومة للإسلام ومتهما أبناءه بالإرهاب تارة وبالتطرف تارة أخرى.

فارق جوهرى

المستشار رجائى عطية - عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - يضع النقاط على الحروف فى التفرقة بين الإرهاب وبين الدفاع المشروع عن الأوطان فيقول: هناك فارق جوهرى بين ما ينسب للدول وبين ما ينسب للأفراد، **فالأول** لا يجدى معه الإصلاح ولا التفاوض أما ما يصدر عن الأفراد فذلك هو ما يمكن إصلاحه.

وعندما يدافع الفرد عن أرضه وعن وطنه يبقى الدفاع فى إطار مشروع، لكن إذا ما جنح الفرد عن دائرة المباح فذلك يدخل فى إطار العنف غير المشروع.

فإذا تصدى المقاوم لجندى معتد على أرضه فهو فى هذه الحالة فى موقف الدفاع، أما إذا ما تغاضى عن مصدر الخطر ووجه مقاومته وعنفه إلى أشخاص أبرياء ليس لهم علاقة بحرب أو اعتداء فذلك أمر لا علاقة له بالمقاومة، ذلك أنه قتل أرواحا بريئة لا حجة له عليهم وهدم مبان ومنشآت وقتل من فيها من أبرياء فأغلق بيوتا ويتّم أطفالا دون سند من قانون أو شرع.

إرهاب الدولة

وشدد المستشار رجائى عطية إلى ضرورة توجيه المقاومة وردود الأفعال إلى مصادر الخطر الحقيقية حتى لا نكون قد جنحنا واعتدينا على أبرياء لا ذنب لهم ولا جريرة، وحذر من أن إرهاب الدول هو السبب الأول لشيوع الإرهاب فى العالم لكنه أكد على ضرورة أن تكون المقاومة فى إطارها الصحيح.

دفاع مشروع

وتساءل: ماذا يمكن أن يكون رد الفعل لمن يقع عليهم العدوان؟

وقال: لو تصورنا أن دولة قامت بغزو مصر - لا قدر الله - وحصدت الأرواح وحرقت الأرض وسعت إلى تفريغ مصر من أبنائها لتوطن شعبا آخر على أرضه، فماذا يكون رد الفعل؟ هل يسكت الشعب ويترك الغازى ليستوطن أرضه؟!

إنه بلاشك سوف يواجه هذا العدوان بكل قوة من منطلق الدفاع عن وطنه.

إذا مقاومة المعتدى حق مشروع. وبذلك فإن المقاومة الفلسطينية لما يجرى على أرض فلسطين هى مقاومة مشروعة وحق أصيل.

دعاوى واهية

وحذر المستشار رجائى عطية من وجود مؤامرات تحاك للعرب والمسلمين تهدف إلى تركيعهم والاعتداء على الأرض وتفترى على الدين وتسعى لتشويه صورة الرسول ﷺ.

وقال إن افتراء الدول واحتلالها للأرض بالقوة غير قابل للانصياع، وفكرة التوغل التى تمارسها هذه الدول بدعاوى واهية هى نوع من إرهاب الدولة.

وأضاف: إن نسبة العنف إلى الإسلام هو أمر مرفوض تماما، وإذا كان هناك من ينسب للإسلام يقوم بقتل أو ترويع الآمنين فهذا الفعل هو ما يريده أعداؤنا ولكن ذلك أبدا لا يحسب على الإسلام لأن الروح فى الإسلام مقدسة والنفس مكرمة وقد جعل الله لنا فى القصاص حياة، فيه جزاء دنيوى وجزاء أخروى.

د. على جمعة:

مهما حاول البعض تشويه صورة الإسلام فهو فى انتشار دائم بفضل القرآن الكريم

الدكتور على جمعة مفتى مصر يلقى كلمته وإلى جواره الدكتور محمد شامة مستشار وزير الأوقاف

الشخصية المسلمة شخصية واعية متفردة، لها عقل واع لا تحده قوالب جامدة ولا تعوقه رؤى ضيقة عن استيعاب المستجدات فى كل عصر وأوان، فهو يبحر فى فضاء فسيح من الفكر المتجدد والمساير للفطرة والواقع انطلاقا من شريعة غراء تدعو لإعمال العقل وإيقاظ الفكر وتفتح أمام صاحبه آفاق التطور والتقدم، ولهذه الشخصية النفسية المسلمة التى تثق فى الله وتتصل به وترضى بعدله وقضائه.

القرار الصائب

الدكتور على جمعة ـ مفتى الديار المصرية ـ يكشف عن مكونات هذه الشخصية المسلمة ومنها كما يقول: العقل المسلم الذى يمنح المرء التفكير السليم والقرار الصائب، فالله تعالى لم يجعل علينا فى الدين من حرج لقوله تعالى: **﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج﴾** الحج: آية ٧٨.

ومن مكونات العقل المسلم أن جزاء سيئة بسيئة مثلها ولذلك جعل الله فى القصاص حياة وشرع العقوبة لتهدأ بها النفوس ولا يصل الأمر بالناس إلى الاقتتال أو الانتقام.

كذلك يقرر الإسلام أنه لا ضرر ولا ضرار، فلا تضر نفسك ولا تضر غيرك ويقرر أيضا أن الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

العقل والبرهان

وأكد الدكتور على جمعة أن الحق واضح جلى أمام العقل فى اتخاذ البرهان دليلا على صدق الدعوى ﴿**قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**﴾ البقرة": آية ١١١.

وأن علينا أن نتكلم بما نعلم، ولذلك رفع الله شأن من يعرفون ويعلمون ﴿**قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾ الزمر: آية ٩، ولذلك كان أول ما نزل على الرسول ﷺ هو الأمر بالقراءة ﴿**اقرأ باسم ربك الذى خلق* خلق الإنسان من علق* اقرأ وربك الأكرم* الذى علم بالقلم**﴾ العلق: الآيات ١ - ٤.

ما أحوجنا إلى وقفة مع الذات تعيد أمتنا إلى سابق عهدها

لا نزاع بين الدين والعلم

وتكرار القراءة فى الكون وفى الحياة وفى كل شىء آية تدل على أن الله هو الواحد تبارك وتعالى؛ فالله هو خالق الكون وهو مصدر الوحى؛ فلا نزاع بين الدين وبين العلم، ولذلك عاش المسلمون فى رقعة اتسع فيها الإسلام، ومهما حاول البعض تشويه صورة الإسلام فإنه فى انتشار دائم، ذلك أن كتابهم القرآن هو كتاب الله المنظور وكتابه المسطور فهو توجيه ربانى يحمل للبشر كل ما ينفعهم فى دنياهم وأخراهم.

فمكونات عقل المسلم كثيرة إذا تحققت منحت المسلم التفكير وحسن القرار السليم، وفى الوقت المناسب.

الرضا بالقضاء

أما الشق الثانى فهو كما يشير الدكتور على جمعة هو النفسية المسلمة التى تثق فى الله وترضى بقضاء الله، وتتصل بالله خمس مرات فى اليوم الواحد، هذه الصلة بين العبد وربه تبدأ بالذكر وتنتهى بالذكر، وكذلك الحج والصيام يبدآن بالذكر وينتهيان بالذكر، وتلك المعانى من الرضا والتسليم والتوكل تجعل صاحب التفكير السليم يأخذ بالأسباب لن يضره من خالفه ذلك أن شخصيته المسلمة تكون قد استكملت مقدماتها يقول تعالى: ﴿**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**﴾ محمد: آية ٧.

فكلما وثقنا فى الله وأطعناه واتخذنا الأسباب الموصلة للنصر بعلم وفكر مستقيم فسوف يتحقق لنا النصر بإذن الله تعالى.

وقفة مع الذات

وأضاف المفتى: إن الشخصية المسلمة تكتمل لدى المسلم بعنصريها العقلى والنفسى فى وجود التعليم والتدريب الذى يمكن الإنسان من تكوين حضارة وتعمير الأرض، لذلك فإن الأمر يتطلب منا وقفة جادة مع النفس، نراجع فيها شتى أمور حياتنا ونتعرف على أدوائنا ومواطن الداء والخلل حتى نستطيع أن نصف الدواء الناجع لأوجاع الأمة، واضعين نصب أعيننا ما كانت عليه أمتنا وأسلافنا العظام، يوم أن أدرك المسلمون أسباب التقدم والرقى؛ فأخذوا بها وكان لهم قصب السبق على سائر الأمم والشعوب التى نهلت من علمها فتقدمت وتقاعسنا نحن اليوم فتراجعنا.

وما أحوجنا نحن المسلمين اليوم إلى التمسك بشخصيتنا المسلمة كى تعود أمتنا إلى سابق عهدها وتسترد مكانتها المفقودة.

د. طه أبو كريشة:

التزام المسلمين بالسلوك الحضارى للإسلام أول الطريق لتحقيق الخيرية لأمة الإسلام

الدكتور طه أبو كريشة وإلى جواره الدكتور محمد شامة

لم تعرف الأمم قديما أو حديثا وخلال تاريخها الطويل، كالإسلام دينا بلغ أوج درجات الرقى فى تنظيم العلاقات الاجتماعية بين بنى البشر، وفى تهذيب النفس وتزكيتها والسمو بالمشاعر الإنسانية، بما حملته دعوته الرشيدة من مبادئ سامية خاطبت الفطرة والسريرة النقية لتصنع الإنسان على الطريق الصحيح ليسلك سلوكا حضاريا، ولتبنى مجتمعا فاضلا وأمة عظيمة.

هدف وغاية

حول السلوك الحضارى فى العلاقات الاجتماعية يقول الدكتور طه أبو كريشة - نائب رئيس جامعة الأزهر السابق - إن لرسالة الإسلام هدفا وغاية نتعرف عليها من كتاب الله فى قوله تعالى: **﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين﴾** آل عمران: آية ١٦٤.

والتزكية هنا تعنى الارتقاء بالمشاعر الإنسانية، والمعنى الذى جاء فى هذه الآية جاء فى مواضع أخرى، ولابد أن نشير هنا إلى أن الإنسان الفرد فى هذه الحياة لا يمكن أن يعيش منفردا عن المجتمع الذى يعيش فيه على مستوى الأسرة أو خارج ميدان الأسرة فى شتى مجالات الحياة، فالفرد جزء من الأسرة ومن المجتمع، ولذلك حرص الإسلام على تحقيق التواصل والتعاون والترابط بين سائر الأفراد ليجعل منهم جسدا واحدا، يقول الرسول ﷺ: **«مثل المؤمنين**

فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

الأمن النفسى والسلام الاجتماعى

وأكد الدكتور طه أبو كريشة أنه مالم يكن هناك سلوك حضارى فى العلاقات الاجتماعية فلن يتوفر للفرد الأمن النفسى والسلام الاجتماعى الذى يوفر له النشاط السليم فى شتى ميادين الحياة ويترتب عليه صلاح الدنيا والآخرة.

وأضاف: إن سيرة وسلوك الفرد ينبغى أن يكون موافقا لمنهج الإسلام الذى يدعو إلى كل ما فيه خير الفرد والمجتمع، وهو ما نجده فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فى العديد من المواضع بما يعكس حرص الإسلام وسبقه فى غرس السلوك الحضارى لدى الأفراد فى كافة العلاقات الاجتماعية، ومن ذلك قول الحق تبارك وتعالى: **﴿ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور* واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾** لقمان: الآيتان ١٨، ١٩.

البعد عن السلبية

ومن التعاليم القرآنية السامية التى تهدف لتقويم سلوك المسلم وضبط تصرفاته حيال الآخرين، قول الله تعالى: **﴿ياأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن﴾** الحجرات: آية ١١، فلابد أن يبتعد المسلم عن كل ما هو سلبى ولا يصدر عنه إلا كل كلمة طيبة بحيث لا يخدش أحاسيس الآخرين ومشاعرهم.

بل إن الإسلام قد راعى أدق المشاعر الإنسانية حتى إن القرآن الكريم نهى عن أن يتناجى الناس بأحاديث تحمل مشاعر الشك والريبة وتبث روح العداء بين الناس **﴿ياأيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان﴾** المجادلة: آية ٨، كذلك نهى القرآن عن الغيبة والنميمة كما جاء فى قوله تعالى: **﴿ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا﴾** الحجرات: آية ١٢.

دعوة للمودة

والمسلم فى حركاته وتنقلاته وفى علاقاته لابد أن يكون سلوكه حضاريا فلا يقتحم منزلا على أصحابه دون استئذان، وهو ما يحفظ أسرارهم وخصوصياتهم **﴿ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾** النور: اية ٢٧، وسلوك المسلم أيضا يجب أن يكون تطبيقا عمليا لتوجيهات الرسول - كما يؤكد الدكتور أبو كريشة - ففى قوله ﷺ: **«تبسمك فى وجه أخيك صدقة»**، دعوة للود والتسامح وتصفية النفوس.

السلوك الحضارى داخل الأسرة

ولا يكتفى الإسلام بتوجيه سلوك المسلم فى مجتمعه الكبير وإنما كما يضيف - الدكتور طه أبو كريشة - كان حرص الإسلام أيضا على بعث السلوك الحضارى لدى الأفراد فى علاقاتهم مع أهليهم وأسرهم وذويهم، وفيما بين الزوج وزوجته **يقول الرسول ﷺ فى الزوجة الصالحة إذا نظر إليها سرته وإذا غاب عنها حفظته.**

علاقة الآباء بالأبناء

ومن ذلك أيضا توجيه سلوك الأبناء والآباء فى علاقاتهم بعضهم ببعض، يقول تعالى: **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾** الإسراء: آية ٢٣، ويقول الرسول ﷺ: **«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالرجل راع فى بيته وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها..»**، بل إن الإسلام حرص على أن يلتزم المسلم بالسلوك الحضاري حتى فى تعامله مع خدمه كى يرقى بمستواهم بين الناس.

حتى علاقة الأستاذ بتلميذه وعلاقة التلميذ بأستاذه كان للإسلام توجيهات من أعظم التوجيهات التى يمكن أن تعرفها البشرية. يقول ﷺ: **«ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا، وليس منا من لم يعرف لعالمنا حقه».**

وفى ختام كلمته دعا الدكتور طه أبو كريشة إلى أن يلتزم المسلمون بالسلوك الحضارى واضعين نصب أعينهم تعاليم الإسلام ومنهجه الرائع فى هذا الشأن كى تمتلك الوسيلة الفعالة فى الاتصال بالآخرين ليدركوا حقيقة سلوكنا الإنسانى والحضارى الذى جعل من هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس.

د. محمود حمدى زقزوق:

أهملنا كل القيم الإسلامية الدافعة للتقدم فصُنفنا فى قائمة العالم الثالث

يحمل الإسلام فى طياته أعظم منهج فى التقدم والرقى الحضارى وأفضل دعوة فى العمل الصالح الذى يحقق الاستخلاف فى الأرض كما أراده الله تعالى للإنسان، ولقد استطاع المسلمون الأوائل باتباعهم هذا المنهج الربانى وفهمهم لحقائق الدين الساطعة أن يسودوا هذه الأرض بعلمهم وعملهم فدان لهم المشرق والمغرب وأصبحوا محط أنظار الدنيا كلها.

التقدم الحضارى

حول هذه المعانى تحدث الدكتور محمود حمدى زقزوق - وزير الأوقاف - فأكد أن علينا أن ندرك أن التقدم الحضارى للإنسان ليس مجرد كلام، لكنه مرتبط بالعمل الذى هو عنصر أساسى من عناصر الدين الإسلامى، فقد قرن القرآن الكريم قوة الإيمان بالعمل الصالح **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾** الكهف: آية ٣٠.

فهم منقوص

وأضاف الوزير: إن هناك أمورا أساسية ينبغى على المسلم الالتزام بها ليتحقق فيه وعد الله كما جاء فى قوله تعالى: **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا﴾** النور: آية ٥٥.

لكن مما يؤسف له أن هذه الوعود غير متحققة فى عالم اليوم، فنحن نعيش اليوم فى فترة التراجع الحضارى التى نجمت عن سوء فهمنا الجيد للدين؛ فقد نعتقد أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الذين أدوا الفرائض فقط بدون إسهام وافر فى العمل الذى يدفع بالمجتمع إلى التقدم والرقى، وذلك فهم منقوص بالطبع لمعانى الآيات التى تهدف لدفع الإنسان وتحفيزه لكى يبنى ويعمر.

عوامل التقدم والازدهار

وتساءل الدكتور زقزوق: لماذا يُصنف العالم الإسلامى ضمن دول العالم الثالث؟ وعلل ذلك بقوله لأننا أهملنا كل القيم الإسلامية الدافعة للتقدم والازدهار، واقتصرنا على فهم منقوص للدين. داعيا إلى أن نقرأ القرآن الكريم بعقول وقلوب مفتوحة، ففى قوله تعالى: **﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾** محمد: آية ٢٤، دعوة لتدبر ما جاء فى القرآن من آيات والعمل بها، فليس القرآن كتابا نتبرك به ونقرؤه على الأموات.

إعادة قراءة القرآن

وقال وزير الأوقاف: إن علينا أن نعيد قراءتنا للقرآن ونعيد النظر فى فهمنا لحقائق الدين كى نحقق التقدم والرقى ونكون بحق خير أمة أخرجت للناس، ولا يكفى أن نتفاخر بما تركه لنا الأجداد وما أحرزوه من تقدم، **لقد كان جمال الدين الأفغانى يقول: «لقد كان آباؤكم أفذاذا ولكن لا يجوز أن تقفوا عند إنجازاتهم».**

فإذا أردنا أن نكون جديرين بالانتساب لعقيدة الإسلام فلابد من أن نعى حقيقة الدين ونفهم المعانى الكامنة فى القرآن الكريم التى تدفعنا لتحقيق دورنا الغائب فى بناء الحضارة والمساهمة فى مسيرة التقدم.

الشيخ محمود عاشور:

انتصر المسلمون الأوائل على أنفسهم فحققوا النصر فى كل معاركهم التى خاضوها فى رمضان

يأتينا رمضان فى كل عام محملا بخير زاد، ألا وهو زاد التقوى ليبعث فينا طاقة روحانية هائلة، ويمدنا بشحنة إيمانية عظيمة لنظل ننهل منها العام كله، وفى هذا الشهر الكريم تقوى العزائم وتصفو النفوس ويزداد الإنسان قربا من الله تعالى ليكون أكثر خشية وأشد خشوعا له. إنه بحق مدرسة عظيمة فى التربية والإصلاح والتهذيب يحسن بالمؤمن أن ينهل منها ليسمو بنفسه وروحه وليتخلق بخلق الإيمان والتقوى.

درسة التربية الخلقية

حول هذه المعانى أشار الشيخ مود عاشور - وكيل الأزهر السابق ضو مجمع البحوث الإسلامية - أن رمضان مدرسة للتربية لقية ليس فيها خروج عن القواعد امة وهو مدرسة تشحذ هممنا اق بالملائكة، فبالصوم يزداد المؤمن وى وإيمانا، يقول تعالى: **﴿ياأيها ين آمنوا كتب عليكم الصيام كما تب على الذين من قبلكم لعلكم ون﴾** البقرة: آية ١٨٣.

فالتقوى درجة عالية من درجات مان تزيدنا خشية من الله تعالى مل بكل ما أوتينا من طاقة دوننا ب فى العمل من بنى البشر، يقول تعالى: **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾** التوبة: آية ١٠٥.

أعظم الجهاد

وأضاف الشيخ محمود عاشور: إن رمضان هو شهر مجاهدة النفس وهو أعظم جهاد، فحين انتصر المسلمون على أنفسهم استطاعوا أن يحققوا النصر فى كل معاركهم التى خاضوها فى رمضان.. انتصروا فى بدر بقوة الإيمان، وفى فتح مكة جاهد المسلمون جهادا عظيما حتى كانت هذه الغزوة هى نهاية الكفر واندحاره إلى الأبد.

وأعظم مافى الصوم - كما يقول الشيخ عاشور - أنه عبادة بين العبد وربه لا رياء فيها، فالمؤمن يصوم ابتغاء مرضاة ربه، وطاعة له؛ فتقوى عزيمته وتدفعه إلى العمل والجهاد مثلما كان يفعل صحابة رسول الله ﷺ الذين جاهدوا فى سبيل الله من أجل رفعة الأمة الإسلامية **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾** آل عمران: آية ١١٠.

العمل بالدستور

وأرجع الشيخ عاشور الأسباب الحقيقية لاتهام الأمة الإسلامية بالإرهاب والتطرف إلى ابتعادها عن تعاليم دينها وإلى أنها لم تعمل بدستور القرآن الكريم، ولذلك تعيش الأمة اليوم فى فزع وخوف من هجمات أعدائها وأطماعهم فينا نتيجة ضعفنا وتشرذمنا ليتأكد صدق حديث الرسول ﷺ فينا: **«توشك أن تتكالب عليكم الأمم كما تتكالب الأكلة على قصعتها..»**.

فالإسلام يأمرنا بالعمل والدفاع عن دين الله بكل ما أوتينا من قوة لما فى ذلك من خير عظيم لهذه الأمة يريده الله تعالى لها، وهو القائل جل شأنه: **﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾**.

فديننا هو دين الوسطية والاعتدال ودين التعاون والتعايش، بين بنى البشر لصالح الإنسانية جمعاء.

شهر الانتصارات الكبرى

ما إن يهل هذا الشهر الكريم حتى تهب علينا رياح تلك الأيام الخالدة فى تاريخ أمتنا الإسلامية، فلا يذكر رمضان إلا وتتداعى إلى الذاكرة تلك الانتصارات الباهرة التى حفرت اسمها غائرا فى نفوسنا وسطرت وقائعها مضيئة فى سجلات التاريخ ملاحم البطولات الرائعة والتضحيات الفذة لرجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وكلوا رأس الأمة بأكاليل المجد والفخار.

هؤلاء الرجال الذين اتخذوا من روح رمضان وقودا وطاقة أشعلت حماسهم فجادوا بأرواحهم وبذلوا أنفسهم رخيصة فداء للأمة، لتظل رأسها عالية شامخة، ولتعطينا الدرس والعظة فى وقت تكالبت فيه علينا الأمم من كل صوب وحدب وضاق علينا الخناق.

د. محمد سيد طنطاوى:

فى أعقاب كل غزوة كان القرآن ينزل ليذكر الناس بما كان عليه المسلمون وما كان من أمر أعدائهم

د. محمود حمدى زقزوق:

على المسلمين أن يوحدوا جهودهم فنحن فى عصر لا يعترف إلا بالقوة بكافة أشكالها

غزوة بدر، وفتح مكة، والعاشر من رمضان، مواقع إسلامية عظيمة ومحطات تاريخية مهمة يجب أن نتوقف عندها طويلا نستلهم منها العبِر ونستخلص الدروس...

سنة الله لا تتغير

أكد الإمام الأكبر شيخ الأزهر د. محمد سيد طنطاوى أنه إذا كان رمضان شهر العبادات، والطاعات، فهو أيضا شهر الانتصارات الذى وقعت فيه أعظم المعارك الحربية وكان النصر فيها للمؤمنين الصابرين **﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز﴾**، تلك هى سنة الله التى لا تتغير ولا تتبدل، والعقلاء فى كل زمان ومكان يأخذون من القرآن الكريم ما يسعدهم فى دينهم ودنياهم وآخرتهم، ففى أعقاب كل غزوة ينزل القرآن ليذكر الناس بما كان من المؤمنين وما كان من أعدائهم.

صراع الحق والباطل

وقال شيخ الأزهر: إن معظم آيات سورة الأنفال قد تحدثت عن غزوة بدر وفى أعقاب غزوة بنى النضير وبنى

سفراء الدول العربية والإسلامية كانوا فى مقدمة حضور وقائع الاحتفال

قريظة وغزوة الفتح الأعظم وفى أعقاب صلح الحديبية، نجد الكثير من الآيات التى تبين لنا ما حدث فى تلك المعارك، وتؤكد لنا أن الحياة صراع بين الحق والباطل، ومن هذه البشارات التى سبقت الحرب والتى جعلت الروح المعنوية للمسلمين فى أسمى درجاتها على حين كانت الروح المعنوية للمشركين فى أحط درجاتها، وكان النعاس فى هذه المعركة نعمة لهم **﴿إذ يغشيكم النعاس أمنة منه﴾**.

وكما كان نزول المطر نعمة للمؤمنين ليثبت به أقدامهم، كان نقمة على الكفار الذين كانوا بمكان منخفض انزلقت به الأقدام وكانت البشارة الرابعة فى نزول الملائكة: **﴿إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم﴾**.

مباشرة الأسباب

وأشار شيخ الأزهر إلى أن انتصار العاشر من رمضان جاء لأسباب منطقية اتخذها المسلمون فقد خرج الجندى المصرى للقتال مستعينا بالله، يلتمس منه العون، فارتفعت روحه المعنوية وأبلى بلاء حسنا وهو يدافع عن أرضه وعرضه وكرامته، وقال: إن هناك فرقا كبيرا بين من يخرج مدافعا عن الحق وبين من يخرج رياء وعدوانا، وقد باشر الجندى المسلم الأسباب التى تؤدى إلى النجاح من حسن التنظيم، والكتمان، وعدم التباهى أو التفاخر أو الغرور، ومن ذلك أيضا الإخلاص والتعاون بين الأجهزة المختلفة فى ظل تأييد شعبى كبير.

العزيمة الصادقة

وقال الدكتور طنطاوى: إنه لولا العزيمة الصادقة ومواجهة العدو بشجاعة لما وجدنا النصر الذى نشكر الله عليه؛ فالمؤمن العاقل يجب أن ينسب الفضل لله دائما ويكون دوما على استعداد لأية مواجهة: **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**

رجال الأزهر الشريف وأبناء الجاليات الإسلامية يتابعون باهتمام كلمات المشاركين

ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ الأنفال: آية ٦٠.

فهذه الآية تأمرنا أن نعد العدة دائما، ليس من أجل العدوان، ولكن من أجل مواجهة المفسدين فى الأرض لأن شريعة الإسلام تمد يدها بالسلام لمن يمد يده بالسلام، وصدق الله العظيم إذ يقول: **﴿وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾**.

من دروس الفتح

وأكد الدكتور محمود حمدى زقزوق - وزير الأوقاف - أن هناك أحداثا فاصلة فى تاريخ كل أمة تقف عندها وتستمد منها الدروس والعبر، أيا كانت هذه الأحداث مبهجة أم مأساوية.

ففى فتح مكة كان أول ما بدر من الرسول ﷺ هو العفو عن أهلها الذين آذوه وأخرجوه من أعز الأوطان إلى قلبه، ولذلك كان أول درس من دروس الفتح هو العفو والرحمة، وهناك فرق بين العفو والتسامح وبين العدل؛ فلو جمع الرسول ﷺ المشركين من قريش وقطع رؤوسهم جزاء ما فعلوه به وبالمسلمين لكان ذلك عدلا، لكنه لم يفعل وهو قادر على ذلك، والنبى ﷺ بعد ذلك لم يجبر أحدا على دخول الإسلام لأن ذلك يوجد منافقين وليس مسلمين، ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، فهناك قاعدة ذهبية سار عليها النبى ﷺ وأصحابه من بعده وهى قول الحق تبارك وتعالى: **﴿لا إكراه فى الدين﴾** البقرة: آية ٢٥٦، فالإسلام يقدس الحرية لأنه بدون حرية فلا إسلام، ومن هنا حرر الإسلام العبيد وكرم البشر جميعا من كل الأجناس والألوان.

هذا هو الإسلام

وأشار الدكتور زقزوق إلى أن صلاح الدين

الأيوبى قد استخلص دروس العفو من غزوات الرسول ﷺ، فعندما استرد بيت المقدس سمح لأعدائه بالخروج سالمين، بل وزود فقراءهم بمؤونة تعينهم على العودة لبلادهم؛ فهذا هو الإسلام الذى لا يعرف القتل ولا الدموية.

واستنكر الوزير موقف الآخرين الذين يتهمون الإسلام ظلما وبهتانا، بالوحشية رغم كل صور العفو والتسامح التى أبداها المسلمون على مر التاريخ، فهو دين الرحمة والعدل بكل المقاييس.

وقال إن على المسلمين أن يظلوا أمة واحدة كما حثهم القرآن الكريم على ذلك لأن الإسلام لا يريد أتباعه شراذم متشرذمة ﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون**﴾.

تلك هى إرادة الله للمسلمين أن يوحدوا جهودهم، وأن يكونوا أمة واحدة فنحن فى عصر لا يحترم إلا القوة وليست القوة المقصودة هى القوة العسكرية فحسب، بل وقوة العلم فى ظل عصر المعلومات والمعارف.

الاستجابة للتحديات

وأكد الوزير فى احتفال «العاشر من رمضان» أن هناك العديد من التحديات التى تواجه الأمم والشعوب والتى تجعلها بين خيارين: إما أن تستجيب لهذه التحديات وتواجه الأمة بشجاعة وعزيمة وإصرار لتمضى فى موكب التقدم والرقى، وإما أن تستسلم فتنسى وينساها التاريخ.

د. عبد الصبور مرزوق:

الروح المعنوية للأمة بلغت أوج قوتها فى رمضان فتحقق لها مالم يتحقق طوال تاريخها

وقال: إن مصر بإرادتها القوية وعزيمتها الصادقة استطاعت أن تقهر الصعاب وتسترد قدراتها كما استردتها فى غزوة بدر الكبرى، وقد انطلقت المعركتان تحت صيحة الله أكبر لتتحقق تحت شعارها أعظم انتصارات المسلمين، والاستعداد الدائم هو ما يجب أن نتحلى به فى كل مواقفنا حتى تستطيع أمتنا أن تتخطى الصعاب فى ظل عصر لم يعد فيه للمعجزات مكان، فقد انتهت المعجزات بعد ختم الرسالة النبوية، وعلى الأمة أن تستعد بالقوة والإيمان بالهدف، فالجندى الذى يحارب دون هدف، سيفتقد العزيمة التى تدفعه للإقدام على المعركة بقوة وجسارة.

فإذا أردنا أن ينصرنا الله فعلينا أن ننصره أولا مصداقا لقوله تعالى: ﴿**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**﴾ محمد: آية ٧.

روح الانتصارات

وأوضح الوزير أنه إذا كنا فى حاجة للدفاع عن الوطن فنحن فى مسيس الحاجة أيضا إلى العمل من أجل التحلى بروح النصر التى خضنا بها كل معاركنا العظيمة فى شهر رمضان المبارك، وبالتالى نستمد روح النصر العظيمة لتكون ملهمة لنا فى مسيرتنا نحو التنمية والتقدم.

ودعا الدكتور زقزوق الأجيال الجديدة إلى أن تقرأ التاريخ فهى بحاجة إلى أن تعرف أبعاد الأحداث التاريخية والتحديات التى خاضها

ضباط المستقبل من أبناء الجيش والشرطة حرصوا على حضور الملتقى

المسلمون حتى تحققت لهم الانتصارات.

دروس النكسة

وأشار الدكتور عبدالصبور مرزوق - نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - إلى ضرورة الوقوف طويلا أمام الدروس العظيمة التى يمكن استخلاصها من معارك المسلمين فى شهر رمضان الكريم.

وقال إن الفارق كان كبيرا بين قيادة لم تؤد ما عليها جيدا وكان رجالها بعيدين عن ظروف المعارك، وقيادة أخرى عرفت الواجب واستفادت من دروس النكسة وحققت انتصارات باهرة فى العاشر من رمضان، كانت حديث العالم كله، فى هذه المعركة استطاع أبناء مصر أن يقهروا ما ظنه البعض مستحيلا ويجتازوا أكبر مانع مائى عرفته الحروب، كما استطاع الفلاح المصرى البسيط أن يدمر الدبابات فى واحدة من أشهر معارك الدبابات فى التاريخ.

أعظم انتصارات الأمة الإسلامية على مدى تاريخها تحققت فى شهر رمضان

لقد كانت الروح المعنوية فى أعلى مراتبها، كما كانت يوم بدر فتحقق لهذه الأمة ما انتظرته طويلا بفضل الإيمان بالله وبفضل الحكمة واستلهام الدروس والعبر، وبفضل بسالة وشجاعة القائد والجنود.

د. عبدالعظيم وزير:

ينبغى أن نحرص على مصر بلدا للأمن والأمان ومن يخالف ذلك فهو يخالف إرادة الله

د. محمود حمدى زقزوق يصغى باهتمام لكلمة محافظ القاهرة

سار المسلمون الأوائل علي هدي من مبادئ الإسلام الحنيف وتعاليمه الراقية، فصنعوا المجتمع الفاضل، وتبوأوا مكانة سامية بين مختلف الأمم والشعوب.

وهانحن في ظل ما نعانيه من مشكلات طاحنة وتراجع حضاري في شتي مجالات الحياة، لم يعد أمامنا إلا العودة إلي هذا الدين والتمسك بتعاليمه كي نعيد لحياتنا رونقها ونعيد لأمتنا مجدها.

أخلاق الإسلام

الدكتور عبدالعظيم وزير - محافظ القاهرة - يستلهم من هذه المبادئ ما يعينه على قيادة دفة العمل فى مدينة القاهرة التى تموج بالبشر والتى تضع على عاتقه مسئولية جسيمة تحتاج لعمل دؤوب وفكر ناضج.

يقول: إن الالتزام بتعاليم الإسلام وأخلاقه هى سبيلنا إلى نيل السعادة فى الدنيا والفوز بالجنة فى الآخرة.

ويتساءل: كيف يتسع قلبنا وعقلنا للآخرين؟

ويجيب: هناك الكثير من قواعد السلوك فى القرآن الكريم التى لو أخذنا بها لأعانتنا فى مسيرة الحياة.

وتتجلى هذه السلوكيات بأعظم ما تكون فى سماحة الإسلام مع مخالفيه فى العقيدة. وفى مصر نعيش جميعا تحت سماء واحدة وعلى أرض واحدة، فى مصر التى أرادها لتكون بلدا للأمن والأمان فهى مهد الحضارات ومسار الأنبياء والرسل، ولماذا مصر بالذات؟ لأن الله جعلها بلدا آمنا لقوله تعالى: ﴿**ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين**﴾ يوسف: آية ٩٩.

ونحن الذين جعلنا الله خلفاء له فى أرضه يجب أن نحرص على أن تكون مصر بلدا آمنا، ومن يخالف ذلك فهو يخالف إرادة الله.

افتراءات كاذبة

وطالب محافظ القاهرة أن نستخلص العِبَر والعظات من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة كى تعيننا على بناء حضارة قوية عظيمة، وأشار إلى أن ما يحاول به البعض أن يشوه صورة الإسلام من افتراءات كاذبة وأقاويل مغلوطة من بعض أصحاب الأقلام لا يمكن أن ينال من هذا الدين العظيم، فالإسلام حرم قتل النفس بغير حق، وحتى فى الحروب التى يباح فيها القتل فإن سماحة الإسلام تتجلى فى أعظم صورها حين نتذكر نهى النبى ﷺ عن قتل الأطفال والشيوخ والنساء الذين لا يشاركون فى الحرب.

للقتال فى الإسلام أسس ومبادئ وأخلاقيات لا يجوز الخروج عليها

فالقتال فى الإسلام له أسس ومبادئ وأخلاقيات لا يجوز الخروج عنها، ولعلنا اليوم نرى أن كل ما تقرر فى الأعراف والمواثيق الدولية يتفق مع ما جاء به الإسلام من تعاليم صريحة تكرم الإنسان وترفع من قدره.

إعادة الانضباط

وعن انضباط الشارع المصرى أكد المحافظ أن تطبيق ما جاء به الإسلام من تعاليم فى هذا الشأن كفيل بأن يعيد لهذا الشارع انضباطه وصلاحه، وقال إن الرسول ﷺ دعانا إلى إماطة الأذى عن الطريق، وعدم الجلوس فى الطرقات وذلك نداء إلى من يحتلون الشواع ويؤذون المارة وعلينا أن نقول لهم أن ما يفعلونه لا يتفق مع الإسلام ولا مع أخلاقه فى شىء.

هناك أيضا من يؤذى جاره وهناك من يحدث الجلبة والضوضاء، ولو رجعنا به إلى مبادئ الإسلام وتعاليمه لأدرك خطأه ولثاب إلى رشده.

فالحياة بزحامها وضجيجها تحتاج منا إلى أن نستعين بتعاليم الدين ونتمسك بها لتكون لنا خير عون على مواجهة مشكلات الحياة.

خلق الإسلام

وأضاف الدكتور وزير إننا عندما نقرأ ونسمع عن جرائم الغش وعن دخول أغذية فاسدة ومحاولة ترويجها فى الأسواق فإن علينا أن نُذَكِّر فاعلها بقول الرسول الأعظم ﷺ: «**من غشنا فليس منا**».

وكل ما يعوق الحياة ويضايق الآخرين علينا أن نتصدى له اقتداء بهدى الإسلام وتعاليمه؛ فالأساس فى نجاح الأمة فى أن نستخلص منهجنا الحياتى من خلق ومبادئ الإسلام الحنيف.

د. أحمد فؤاد باشا:

مادمنا لم ننشئ حضارة نشارك بها فى التقدم فإننا ننتسب إلى دين نجهل تعاليمه

الدكتور عبد الصبور مرزوق وإلى جواره الدكتور أحمد فؤاد باشا

تراجع المسلمون كثيرا فى مضمار العلم، واتسعت المسافات بيننا وبين الأمم المتقدمة حتى ليخيل للمرء أننا قد ضللنا الطريق وخرجنا من السباق صفر اليدين. ماذا جرى لهذه الأمة التى كانت خير الأمم والتى أضاءت للبشرية كلها طريق التقدم وفتحت أمامها طاقات العلم والمعرفة؟

لقد تقاعس المسلمون ووقفوا عند التغنى بأمجاد الماضى دون الأخذ بأسباب التقدم أو الإسهام فى مسيرة العلم.

إعادة الحسابات

الدكتور أحمد فؤاد باشا - نائب رئيس جامعة القاهرة السابق - يشخص بعض أوجاع هذه الأمة ويحلل أسباب تراجعها فى سباق الحضارة قائلا:

تعيش أمتنا الإسلامية اليوم أوضاعا قاسية لا تحسد عليها وهى فى حاجة ماسة إلى أن تعيد حساباتها وتعرف كيف تتعامل مع تطورات العصر، فالعالم اليوم يحيا فى ظل التقدم العلمى الهائل، وإذا لم نأخذ بزمام العلم والتقدم فلن نستطيع أن نسهم فى مسيرة الحياة ولكن نكون جديرين بالانتساب إلى حضارة الإسلام.

والأمانة تقتضى منا أن نقدم النصح وإذا كان الوقت قد آن للحديث عن فقه الأولويات فقد آن الأوان للحديث عن العلم

وفريضة العلم والاستفادة من طلبه لتحقيق استخلاف الإنسان فى الأرض حتى لا نبطل هذه الفريضة الواجبة.

ثلاثية الحضارة

وحذر الدكتور أحمد فؤاد باشا من أننا لم نتوصل للمعرفة الحقيقية لقيمة العلم الذى من خلاله نستطيع التعرف على علاقاتنا بالدنيا والإسهام فى صنع التقدم.

وقال إن الإيمان والعلم والتنمية ثلاثية بالغة الأهمية فى حياتنا تتفاعل عناصرها مع بعضها البعض تبدأ بالإيمان الذى هو مقصور فى كينونة الإنسان، فالعلم ثم التنمية.

وقد جاء الإسلام ليصحح للبشرية كل ما يطرأ عليها من انحراف وليخاطب العقل بالأمر بالقراءة، فالعلاقة وثيقة إذن بين الإيمان والقيمة الهادية التى تحتضن فكر الإنسان وعقله؛ فهى قيمة هادية تحقق العبادة والخشية لله، وهى الأساس الذى قامت عليه حضارة المسلمين، فالعبادات من صلاة وصيام وحج تعلمنا كيف ننظم الوقت. والقرآن الكريم ليس كتاب علم وإنما جاء كتاب هداية وعندما طبق علماء المسلمين منهج القرآن استطاعوا أن يقيموا حضارة عريقة من خلال تعاليم الدين والمنهج العلمى ومن خلال النظر فى الكون.

الافتقار لتعاليم الإسلام

وأضاف الدكتور أحمد فؤاد باشا إن تلك الروح الإيمانية هى التى احتضنت العقلية الإسلامية حتى استطاعت أن تبدع، ولكننا تخلفنا اليوم ذلك لأننا افتقرنا لتعاليم الإسلام ومفاتيحه.

يقول الله تعالى: **﴿وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾** الأنعام: آية ١٥٣.

لكن مما يؤسف له أننا انحرفنا عن الصراط المستقيم ونسينا أن تأسيس اليقين الإيمانى هدف هام وضرورى فى بناء العقلية الإسلامية.

إننا فى هذا العصر لابد أن نكتشف وأن نبحث ولا ننتظر حتى تسقط علينا النظرية من أعلى كما سقطت التفاحة على إسحاق نيوتن.

اتساع الفجوة

وأوضح الدكتور باشا أن الإصلاح التقنى مازال بحاجة إلى ترشيد مؤكدا على أن علينا أن نبادر قبل أن تتسع الفجوة بيننا وبين الأمم، حيث إن تلك الفجوة حولت مجتمعاتنا إلى أسواق لمنتجات الغير.

وقال إن توطين العلم والتكنولوجيا فى بلادنا أصبح مسألة حياة أو موت، فالعلم مطلب أساسى لتحقيق الأمن القومى خاصة بعد أن أصبح العالم قرية صغيرة وأصبح مفهوم الأمن القومى لا يقتصر على حدود الوطن ولكن يشمل المواطن أيضا الذى يجب أن يكون آمنا على حياته ومستقبله.

إرادة التغيير

واستطرد بقوله: إن كلمات الأمن والأمان والإيمان لها جذر لغوى واحد، ولابد أن نفقه معانى الكثير من المفاهيم التى جاء بها القرآن الكريم، وطالما أننا لم ننشئ حضارة نشارك بها فى التقدم الحديث فإننا نكون منتسبين إلى دين نجهل تعاليمه، وللأسف فإن الطعن فى ديننا وفى لغتنا لا يأتى من الخارج فحسب، بل ومن الداخل أيضا. إن الإرادة القوية نحو التغيير ونحو الأفضل من أهم العوامل التى تصل بنا إلى هدفنا المنشود.

د/ عبدالصبور مرزوق:

جاء الإسلام ليصحح مسار البشرية بالقوة الروحية فى ظل تفشى المادية البغيضة

يقود الغرب حربا ضروسا لا هوداة فيها ضد الإسلام وأهله، فى شكل حملات شعواء تنم عن حقد دفين ورغبة عارمة فى الانتقام، لا لشىء إلا لأن الإسلام أتى بما لم تأت به أعظم نظمهم وأفكارهم وأكثرها تحضرا، لكن هؤلاء الحاقدين الذين خرجوا من أوكارهم ليتطاولوا على الإسلام ويكيدوا له، سترتد مكائدهم إلى نحورهم وستظل راية الإسلام عالية خفاقة شاء الحاقدون أم أبوا.

دعاوى الحاقدين

الدكتور عبدالصبور مرزوق - نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - يتصدى للرد على هؤلاء الموتورين بالحجة القوية والحقيقة الساطعة فيقول: إن هناك نغمة يركز عليها أعداء الإسلام وهى أن الإسلام لم يأت بجديد عن الديانتين اليهودية والنصرانية السابقتين عليه، وهى مقولة مغلوطة تماما لا تصدر إلا عن حاقد أو جاهل، فالإسلام قد جاء ليصحح مسارات عقائدية محرفة متعلقة بالذات الإلهية، وكذلك ليصحح مسارات حضارية اعتبرت المادية هى الأساس الذى تقوم عليه حياة البشر.

ويكفى الإسلام شرفا وفخرا أنه الأنفع للبشرية جمعاء فى ظل هذه المادية البغيضة وفقدان الروحية وطغيان منطق القوة على الكثير من العلاقات البشرية وهو ما تصدى له الإسلام بكل حزم مؤكدا على الجانب الروحى فى حياة الإنسان وعلى ضرورة السمو الإنسانى فوق صراعات المادة البغيضة.

حملات مأجورة

وحذر الدكتور عبدالصبور مرزوق من الحملات المأجورة التى يقودها بعض الغربيين للنيل من الإسلام، حتى إن بعض زعماء الغرب طالبوا بضرورة إنهاء الإسلام ومحو وجوده من فوق الأرض، وقال إن من يهاجمون الإسلام يريدون شغل المسلمين وإلهائهم عن دورهم الطليعى، وجعلهم فى موقف الدفاع دائما فلا يتفرغون لعمل ولا يتقدمون خطوة للأمام.

ومن وسائلهم الخبيثة فى مهاجمة الإسلام - كما يضيف الدكتور عبدالصبور مرزوق - البحث عن المتشابهات والتفسيرات المؤولة منها للوصول منها إلى إلصاق التهم بالإسلام، وهم بهذا يسلكون نفس المسلك الذى سلكه أسلافهم من الحاقدين والمكابرين.

تهم باطلة

وأكد على الدور المصرى فى الدفاع عن الإسلام والتصدى بحزم لكل المحاولات التى يتزعمها مفكرون غربيون كارهون للإسلام.

وقال: إن مصر كانت على رأس الدول العربية التى أولت اهتماما كبيرا للرد على التهم الموجهة للإسلام، وقد تشكلت لجنة - من كبار المفكرين من المسلمين - كان من بينهم وزير الأوقاف، تبحث أسباب الهجوم على الإسلام وكيفية التصدى له، وتحسين صورة الإسلام فى المجتمعات الغربية، مؤكدا على أن اللجنة فى عمل مستمر ومتصل لنقل الصورة كاملة.

د. مصطفى الفقى:

الإصلاح بضاعة إسلامية يهدف إلى تحرير عقل الأمة والانتقال إلى محافل الحضارة

ترددت فى الآونة الأخيرة كلمة الإصلاح بصورة متكررة حتى وجدت لها مكانا بارزا على صفحات قاموس حياتنا اليومى.

والإصلاح ليس مجرد عملية تغيير تفرضها مستجدات العصر، ولا هو إجراءات شكلية معلبة سابقة التجهيز تصب فى قوالب جامدة لتقدم للأمم وللشعوب فى أى وقت شاء أصحابها، وإنما الإصلاح هو عملية تغيير تدريجى تراعى ظروف الزمان والمكان وطبيعة الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى كل بلد، ولقد كان الإسلام سباقا لتقديم الإصلاح فى أرقى صوره، الأمر الذى يدعونا إلى استلهام منهج الإسلام فى الإصلاح ليكون خير هادٍ لأمتنا فى ظل تحديات جسام تحيط بنا من كل جانب.

الإصلاح التدريجى

يؤكد الدكتور مصطفى الفقى - رئيس لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشعب - أن الإصلاح بضاعة إسلامية والمسلمون أولى بها.

وقال: إذا كان الإصلاح هو التغيير التدريجى نحو الأفضل، فإن الإسلام قد قدم ماهو أكثر من ذلك بكثير آمرا وناهيا، مع إرساء أسلوبه التدريجى من بيان مضارها، فالدعوة إلى اجتنابها، ثم تحريمها تحريما مطلقا، وهو أسلوب يحتاج منا إلى التأمل والتدبر.

وإذا تأملنا رؤية الإسلام لقضية الحرية نجد أن الإسلام جعلها صنو الحياة، وجعل حياة الإنسان مستمرة بالحرية الكاملة، فالإسلام لا يفرق بين حر قرشى وعبد حبشى إلا بالتقوى، والذى لا يعرف مفهوم الإسلام للحرية عليه أن يدرس الإسلام الذى حرر العبيد وأشاد بالحرية واعتبر البشر جميعا أحرارا حتى إن بلالا أصبح مؤذن الرسول ﷺ.

فكر إسلامى غير مسبوق

وأوضح الدكتور الفقى أن أمر الإصلاح يحتاج إلى وقفة تأمل، فالكثير من أهل السياسة لم يفطنوا إلى أهمية الإصلاح الذى جاء به الإسلام على نحو غير مسبوق، فتداول المواقع ودوران المراكز هو أمر من طبيعة الفكر الإصلاحى الإسلامى الذى تبناه الفكر الإسلامى منذ صدر الإسلام، وأكد على أن هذه الرؤية المبكرة عن الفكر المدروس التى اعتمدها الإسلام هى التى يجب أن نرجع إليها وأن نسترشد بها، وأن نظرية الإصلاح فى الإسلام كانت وسوف تظل مركز ثقل حقيقى فى الدراسات المتصلة بالقانون الدولى.

فالعلاقة بين الإسلام والإصلاح تؤكد أن الإسلام قد قدم لنا طرحا فى منهج الإصلاح وليس فى مضمونه الذى يتغير، فالمنهج العقلى للإصلاح والسعى نحو الأفضل لتحرير عقل الأمة والانتقال إلى محافل الحضارة والثقافة هو ما نسعى إليه.

الإسلام أصل الحرية

واستطرد الدكتور الفقى قائلا: مخطئ من يتهم الإسلام بالعزلة أو التعصب، فتلك دعاوى روج لها الأعداء، وطوعوا منطقهم ومقولاتهم بأفكار دنيوية ولكن الإسلام أسمى من ذلك، فالإسلام لا يعارض الحرية وإنما هو أصل لها، وهو الداعى الأول للمساواة وجاء متسقا مع الطبيعة البشرية منسجما مع فطرتها.

د. على الدين هلال:

لم يعد بمقدور أى شعب أن ينأى بنفسه عما يدور حوله من أحداث

فى ظل المتغيرات الدولية والأحداث المتجددة المتلاحقة التى طرأت على الساحة الدولية لم يعد ممكنا لبلد ما أن تبقى خارج دائرة الأحداث أو الفعل لأن ذلك يعنى خروجا من سباق التنافسية والوقوف على هامش الحياة انتظارا لما يلقى له من فتات الأمم، وبالتالى فلا دور له فى صنع القرارات الحاسمة التى تحدد مصائر الأمم والشعوب.

ثورة المعلومات

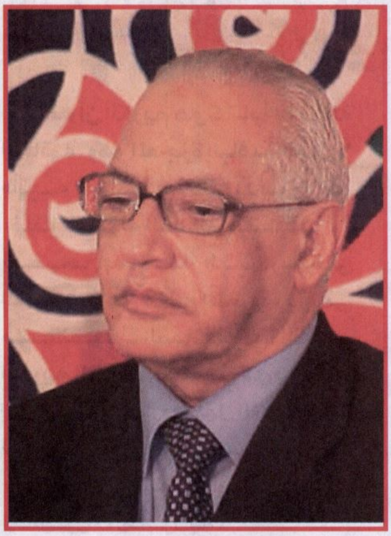

د/ علىّ الدين هلال

حول هذه المعانى أكد الدكتور على الدين هلال ـ وزير الشباب الأسبق ـ وأمين التدريب والتثقيف بالحزب الوطنى أن التعامل مع المتغيرات الدولية أصبح ضرورة حياة أو موت، ولم يعد مقبولا أن ينأى بلد أو شعب بنفسه بعيدا عن الأحداث خاصة بعد ثورة المعلومات الهائلة التى أحالت العالم إلى قرية صغيرة الكل يرى فيها الآخر، وسياسة غلق الأبواب فى ظل هذه الظروف ستكون بمثابة موت بطئ.

فلا يعقل أن يجرى العالم من حولنا بسرعة هائلة لنتحرك نحن بخطوات بطيئة أو نقف محلك سر.

المتغيرات الدولية

وأوضح الدكتور هلال أن مصر ـ فى ظل هذه المتغيرات المتلاحقة ـ لا تقف مكتوفة الأيدى بعيدا عما يدور حولها من أحداث وتطورات فى مجالات الحياة، وإنما تتعامل بجدية وبعقلانية مع كافة المتغيرات الدولية والتطورات المتلاحقة فى عالم لا يعترف بالمتقاعسين.

وقال: إن مصر تنطلق وتتحرك إلى فكر التغيير والإصلاح بكافة مجالاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية بحيث تحقق الأفضل دائما، فلم يعد بمقدور شعب من الشعوب أو بلد من البلدان أن يقف بعيدا عما يدور فى العالم من أحداث.

علينا ألا نقف مكتوفى الأيدى فى ظل ما يدور حولنا من أحداث وتطورات فى كافة مجالات الحياة

د. محمد عمارة:

أحفاد مسيلمة الكذاب لم يجدوا فى القرآن عيباً فاختلقوا المزاعم والأباطيل للطعن فيه

القرآن الكريم هو كتاب الرسالة الخاتمة، وهو المعجزة الباقية الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أنزله الله على نبيه ﷺ ليصحح به مسار البشرية التى انحرفت عن منهج الله، وتردت فى مستنقعات الضلالة، هذا الكتاب الكريم الذى يكشف فى كل يوم عن الجديد من أسراره، تكفل الله بحفظه ليكون نبراسا وهاديا للبشرية جمعاء: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ الحجر: آية ٩

حفظ القرآن

عن القرآن الكريم ومعجزته تحدث المفكر الإسلامى الدكتور محمد عمارة قائلا: إن الله تعالى لم يتعهد إلا بحفظ القرآن الكريم، ولم يتعهد بحفظ الكتب قبله ذلك أن الرسالات التى نزلت فيها هذه الكتب كانت موقوتة بوقتها، ولكن عندما شاءت إرادة الله ختم الرسالات السماوية، كان لابد من تشريع ليس بعده تشريع، وكتاب ليس بعده كتاب.

وأضاف: إن كل المعجزات التى سبقت نزول القرآن الكريم كانت معجزات مادية، ولكن عندما بلغ العقل الإنسانى الرشد جاءت معجزة عقلية لا تدهش العقل مثل غيرها من المعجزات الحسية، ولذلك فإن هذا القرآن يمثل تحديا مستمرا للآخرين على مر الزمان وتعدد المكان رغم كل ما يوجه إليه من مطاعن لا يمكن أن تنال منه من قريب أو بعيد.

تحدى أهل البيان

وأوضح الدكتور محمد عمارة أن تحدى القرآن المشركين أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بعشر سور أو حتى سورة واحدة مثله - وهم من هم أهل فصاحة وبيان - كان تحديا واضحا وصريحا بقوله تعالى: **﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا﴾**، ولأنهم عجزوا عن قبول التحدى فقد نسبوه إلى الشعر وشياطين الشعر والسحر وذلك دليل دامغ على عجز أهل الفصاحة والبلاغة والبيان.

ولما كان للقرآن من تأثير قوى على سامعيه، فقد تحاشى المشركون الاستماع إليه، ونصبوا سرادقات بها كل أنواع اللهو، حتى يصرفوا الناس عن سماع القرآن خشية أن تخشع قلوبهم **﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله﴾**.

شهادة حق

وأكد الدكتور عمارة أن كل من قرأ القرآن أو استمع إليه بحياد وعدل لا يستطيع إلا أن يعترف للقرآن بإعجازه وأنه ليس بقول بشر؛ فهذا الوليد بن المغيرة وكان من قضاة الجاهلية المشهود لهم حتى إنه كان يلقب بالعدل، عندما سمع الوليد القرآن قال لقومه: لقد سمعت من محمد كلاما ماهو من كلام الإنس ولا الجن، والله ماهو بمجنون وماهو بشاعر لأنى عرفت الشعر، وماهو بساحر، والله إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أصله لمغدق، وإن فرعه لمثمر.

وأشار إلى أن قصة مسيلمة الذى زعم أنه يأتى بمثل هذا القرآن لها فى عصرنا الحالى قصص شبيهة بها، فهناك من يطعن فى القرآن الكريم مرددا أكاذيب ومقولات مضللة، وهناك نوع من الإفلاس لدى أحفاد مسيلمة.

د. سعاد صالح:

أهملنا أسس الإيمان الصحيح وانشغلنا بالفروع فتأخرنا وتقدم غيرنا

الإسلام ليس مجرد مواعظ وإرشادات، أو تعليمات تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فحسب، وإنما هو منهج حياة متكامل ينظم شئون الفرد والمجتمع، ولايزال هذا الدين وسيظل شامخا متدفقا متجدد العطاء يقدم الحلول الناجحة لشتى قضايا المجتمع فى كل عصر وأوان. لكن بقى أن يجتهد المسلمون ليستخلصوا من كتاب الله وسنته ما يصلح شأنهم وشأن أمتهم.

تدبر آيات القرآن

تتساءل الدكتورة سعاد صالح - عميد كلية الدراسات الإسلامية للبنات بجامعة الأزهر - أين نحن من آيات القرآن الكريم التى تؤكد على محتواه ومكنونه العظيم الذى يهذب السلوك ويرقى بالأمة؟ وتضيف: فلنقرأ معا قول الحق تبارك وتعالى: **﴿إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات﴾** الإسراء: آية ٩، وقوله تعالى: **﴿وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾** الإسراء: آية ٨٢، لكن الناس فى غفلة لا يتدبرون آيات هذا الكتاب.

إن من يقرأ القرآن الكريم يزداد خشية وخشوعا، وينتظر لقاء الله سبحانه وتعالى: **﴿يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم﴾** الحج: آية ١.

سلوكيات رمضانية

وتستنكر الدكتورة سعاد صالح هؤلاء الذين ينفصل سلوكهم بعد رمضان عن سلوكهم خلال الشهر الكريم الذى يكثر فيه البعض من العبادة حتى يحول النافلة إلى فريضة، لكنه يتحول بعد انتهاء الشهر الكريم إلى إنسان آخر لا يواصل طريق العبادة، بل إنه يقترب من الخالق فى شهر واحد، مع أن رب رمضان هو رب كل الشهور.

واستطردت بقولها: نحن نشغل أنفسنا بأمور فرعية ونترك اتقان العمل وقول الصدق والأمانة وهى الأسس التى يقوم عليها الإيمان فتخلفنا وتقدم غيرنا، حتى وجدنا الاتهامات توجه للإسلام ذاته بالباطل، بأنه دين تخلف وإرهاب.

أثر العبادة

وأوضحت الدكتورة سعاد صالح أن لكل عبادة من العبادات هدفا ساميا فلا ينبغى أن نصلى ونؤدى حركات شكلية دون أن تترك الصلاة أثرا فى سلوكنا وتساءلت: كيف يصلى الإنسان ولا يتقن عمله، ويخوض فى الأعراض ولا ينهى عن المنكر ويأمر بالمعروف **﴿قد أفلح المؤمنون* الذين هم فى صلاتهم خاشعون* والذين هم عن اللغو معرضون* والذين هم للزكاة فاعلون﴾** المؤمنون: الآيات ١ ـ ٤.

كذلك الصيام، غايته التقوى التى تجعلك تلتزم بأوامر الله وتبتعد عن نواهيه، فشهر رمضان ليس شهرا للنوم والتسلية والسهر فى اللهو، فالإسلام بهذه الصورة هو إسلام مبتور يفصل بين العبادة والعمل والسلوك.

المقصود بالعبادة

وأكدت الدكتورة سعاد صالح أن العبادة ليست قاصرة على الصلاة والزكاة والصيام والحج، وإنما هى كل قول أو فعل يرضى عنه الله ورسوله **﴿يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخيرات لعلكم تفلحون﴾** المؤمنون: آية ٧٧.

فالإحسان إلى الجار وبر الوالدين والالتزام بالوعد والصدق، والبعد عما نهى الله عنه، كل ذلك من أفعال الخير.

د. آمنة نصير:

أدرك العلماء خطورة الصدام بين الحضارات فعمدوا لنشر لغة الحوار والتفاهم

لا يمل الغرب أبدا من ترديد مقولاته الكاذبة وإطلاق افتراءاته المغرضة طعنا فى الإسلام، واتهاما له بما ليس فيه كنوع من الحقد الدفين الذى يعتمل فى صدره، فينفث سمومه التى تحمل الكراهية للإسلام والمسلمين بدلا من أن يمتلك الشجاعة ليعترف بفضل الاسلام وسبقه لكافة الأديان والحضارات بما يملكه من فكر متطور وروح خلاقة.

دين البشرية كافة

هناك العديد من الحقائق التى تخص الإسلام توضحها الدكتورة آمنة نصير ـ أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر ـ فتقول:

إن الحقيقة الأولى التى يجب أن يعيها الناس جميعا أن الدين الإسلامى لم يأت لقوم بعينهم ولا يخاطب فئة دون غيرها، وإنما هو الدين الذى ارتضاه الله للبشرية جمعاء ودين جميع الأنبياء السابقين على محمد ﷺ.

لغة الحوار

الحقيقة الثانية أن عقيدة المسلم لا تتم إلا بالإيمان بأنبياء الله جميعا من آدم إلى إبراهيم إلى كل نبى قصه القرآن علينا، وهذه حقيقة العقيدة الإسلامية؛ فنحن لا ندين بكراهية للأديان السابقة كاليهودية والمسيحية، فالحقد والكراهية للأديان نابعان من نفوس البشر، وهذا ما مارسته البشرية فوجدت المصادمات والكراهيات.

لكن العلماء أدركوا هذه السلبية وعملوا على إعادة السلام والحب لنفوس البشر، ومن هنا نشطت لغة الحوار والمؤتمرات يشارك فيها رجال الدين والفكر والثقافة.

التاريخ لا يكذب

وأضافت الدكتورة آمنة نصير إن صفحات الإسلام مشرقة بالحب والحميمية واستقراء صفحات التاريخ يؤكد ذلك، أما ما يطلق من أكاذيب تتهم الإسلام بالوحشية والتخلف، فذلك ما لا يقبله عقل ولا منطق ومن ذلك مقولة إن الإسلام انتشر بحد السيف وهو ما تدحضه نصوص القرآن الكريم حيث يقول تعالى: ﴿لا إكراه فى الدين﴾ البقرة: آية ٢٥٦.

مفهوم خاطئ

ولننظر لوصايا الرسول ﷺ وصحابته إلى قواد الجيوش بألا يقتلوا طفلا أو امرأة أو عجوزا أو يجهزوا على جريح أو يقطعوا شجرا، ولا يتعقبوا الجيش المهزوم.

لم يعرف الإسلام طوال تاريخه مثل تلك السجون الوحشية التى يساق إليها الأبرياء كما رأينا فى جوانتنامو

وقالت: إن الإسلام صاحب أرقى حضارة عرفتها البشرية وهذه الحضارة هى التى قدمت أعرق وأزهى حضارة فى الكيمياء والطب والرياضيات، وكانت منهلا لكل طلاب العلم من الشرق والغرب حتى إن أكبر علماء الغرب قد أكدوا أنه لولا الحضارة العربية لتأخرت الحضارة الأوروبية ولظلت حتى اليوم تغط فى سبات عميق.

د. محمد حسن الحفناوى

دور الداعية لا ينبغى أن يقتصر على الوعظ والإرشاد وإنما يتعداه إلى نشر الوعى وإيقاظ الهمم

عجيب أمر هذه الأمة التى سادت الدنيا كلها بحضارة متجددة متطورة كانت محط أنظار الأمم الأخرى بما حملته من نور وضياء لهذه الأمم التى كانت غارقة فى ظلمات الجهل والوثنية، فما بالنا اليوم نفرط فى إرث نهلت منه الأمم جمعاء، ليصيبنا التراجع فى شتى مجالات الحياة ونتذيل الأمم فى سلم الحضارات؟

الوقوف عند الموروث

علامات استفهام كثيرة تفرض نفسها فى ظل الحالة المتردية التى تعيشها الأمة الإسلامية يضعها أمامنا الدكتور محمد حسن الحفناوى - الأستاذ بطب عين شمس وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - حيث يقول: قضيتنا أننا توقفنا عند الموروث ولم نواكب تطورات العصر نحن نريد خطابا دينيا مستنيرا نخاطب به المجتمع ونعالج قضاياه.

وليس من المعقول أن أمة اقرأ لا تقرأ ولم تستطع أن تتخطى حاجز الأمية. ورغم أن القرآن الكريم يحثنا على إعمال العقل فى العديد من آياته **﴿أفلا يتدبرون﴾ ﴿أفلا يعقلون﴾**، لكننا لا نتدبر ولا نعمل عقولنا فى العديد من قضايانا التى تستعصى على الحل بسبب عدم الأخذ بهذا المنهج القويم.

إيقاظ الهمم

واستطرد الدكتور حسن الحفناوى: إن لدينا من الكنوز والمعادن المدفونة بالأرض ما تحتاج إلى حُسن استغلالها والاستفادة منها فى تطوير الصناعة، لكننا لم نحقق أقل القليل مما نصبو إليه بسبب تقاعسنا، وهنا يأتى دور الداعية الذى لا ينبغى أن ينحصر فى الوعظ والإرشاد فحسب وإنما يتعداه إلى نشر الوعى وإيقاظ الهمم وحث أفراد المجتمع على العمل والإخلاص.

تجارب إسلامية ناجحة

وضرب الدكتور الحفناوى مثلا للإصرار على النجاح والأخذ بالأسباب بشعوب جنوب شرق آسيا ومنها ماليزيا التى استطاعت أن تنفض عن نفسها غبار التخلف، وتطور العديد من صناعاتها لتنافس أعرق الدول فى سوق الإنتاج العالمى.

الإسلام المستنير

وأضاف: إن الإسلام ليس مجرد تشكيل جماعات، كل جماعة تتشدد لرأيها، وإنما نريد إسلاما مستنيرا يتبناه رموز الفكر المستنير من علماء الدين، ولابد من فقه معاصر يحافظ على الدين ويدعو إلى إعمال العقل والمشاركة فى صنع المستقبل مع تطوير التعليم الذى تقوم عليه التنمية الشاملة.

نحن بحاجة إلى البناء من أجل حل مشكلات الشباب ومعالجة مشكلة الفقر، والحل فى السوق الإسلامية المشتركة إذا أردنا أن نقف على قدم المساواة مع الدول الأخرى وإذا أردنا أن ندخل سوق المنافسة بجدية.

مشكلتنا داخلية

واختتم الدكتور الحفناوى حديثه بقوله: إن المشكلات التى يعانى منها مجتمعنا الإسلامى نابعة من داخلنا بالدرجة الأولى، وإنما سلبيتنا هى التى حملت الآخرين على التدخل فى أمورنا؛ فنحن قد تجمدنا وتقوقعنا على أنفسنا ولم نتطور الأمر الذى جعلنا نلجأ للآخرين نبحث عندهم عما نقتات به أو نلبسه أو يعيننا فى خضم الحياة.

د. أحمد كمال أبو المجد:

لا قدسية لتراث بعد رسول الله ﷺ ولا تصادم بين العقل والنقل

يعجب المسلم ويشتد عجبه أن ينتمى إلى دين يحوى كل مقومات الخيرية وكافة عوامل التطور والرقى ويتبنى دعوة تحمل كل قيم الحق والعدل والمساواة وحقوق الإنسان، ومع ذلك يتراجع المسلمون عن مسيرة التقدم ويتقهقرون عن سباق الحضارة بعدما أصابهم من تقاعس وتخاذل وما حلّ بهم من وهن جعلهم يتنازلون عن مكانتهم التى كانوا بها خير أمة أخرجت للناس.

حالة من القلق والحيرة

الدكتور أحمد كمال أبو المجد - المفكر الإسلامى - يتعرض بالتحليل الدقيق لواقع هذه الأمة، ويشخص أدواءها ويصف الدواء مؤكدا على أن أى حديث لا يجب أن يكون منفصلا عن واقع الأمة؛ فالمسلمون اليوم فى حالة قلق وحيرة غير راضين عن كثير من أحوالهم، وعدم الرضا منبعه أنهم لا يملكون سوى أن يتساءلوا عن وعد الله لهم أن جعلهم خير أمة أخرجت للناس وأن يبدل خوفهم أمنا، ولكن حين ينظر المسلمون إلى واقعهم يجدوا أن بأسهم بينهم أشد من بأسهم مع عدوهم، ومن هنا يتساءلون أين الخطأ فيما نحن فيه وكيفية الخروج من الأزمة.

أسئلة حائرة

ويؤكد الدكتور أبو المجد : أن الخروج من الأزمة منحصر فى الإجابة على أسئلة خمسة هى:

أولا: هذا الإسلام الذى نعتز به ونريد له العزة، ماهو وماذا يريد الإسلام من الإنسان وكيف تُحدد معالم وقيمة الإنسان؟

ثانيا: هل الإسلام حقيقة، كيان مختلف ومتميز عن كل ما عداه بحيث يتعامل مع المسلمين وحدهم ويبتعد عن كل ماهو خارج الديار الإسلامية والمجتمع الإسلامى، أم إنه دعوة للرشد والصلاح؟

ثالثا: هذه الحضارة التى ورثناها، هل هى فى خصومة مع الإنسانية؟

رابعا: كيف يدعو المسلم إلى الإسلام فى هذا الزمان؟

خامسا: كيف تصل مبادئ الإسلام إلى الناس؟

وهل يملك المسلمون أن يتدرجوا فى عرض الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة؟

دين الله الواحد

وبكلمات موجزة يتحدث الدكتور أحمد كمال أبو المجد، موضحا أن الإسلام دين الله المنزل بالوحى على أنبيائه - عليهم السلام - ومن يؤمن به فإنه يؤمن بالله وكتبه ورسله وباليوم الآخر وهو دعوة لنشر قيم العدل والرحمة والتكافل، فدعوة الإسلام ليست دعوة جديدة وعلى المسلمين أن يدركوا ذلك، فالله تعالى يقول: **﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾** الشورى: آية ١٣.

الغث والسمين

وأكد الدكتور أبو المجد على أن الماضي لا قدسية له فإلي جوار صحابة رسول الله ﷺ كان هناك وفى نفس الوقت كفار ومشركون يكيدون للإسلام، ومن ثم فالتراث من بعد رسول الله فيه الغث والسمين، نأخذ منه ما يتفق مع العقل ونرفض ما يخالف العقل والعقل والنقل فى التراث الإسلامى متكاملان ولا تصادم بينهما.

القرآن الكريم وعلومه

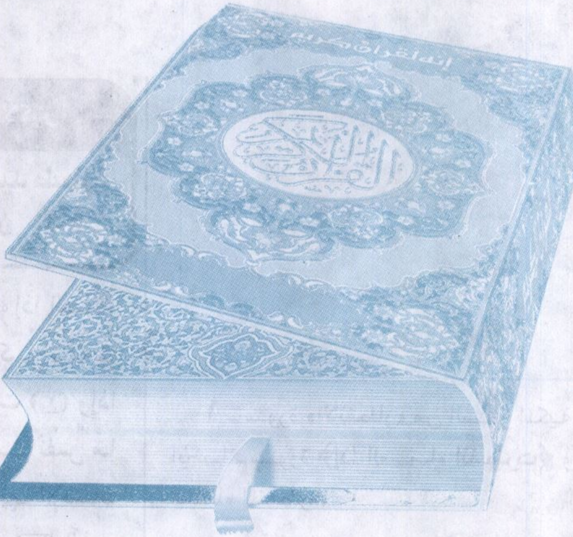

- تفسير سورة الانفطار
- القرآن دستور الإسلام
- مفهوم الحق وتطبيقاته من خلال آيات «قل»
- دراسات من المكتبة القرآنية: «تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة»

نظرات فى كتاب الله تعالى

تفسير سورة «الانفطار»

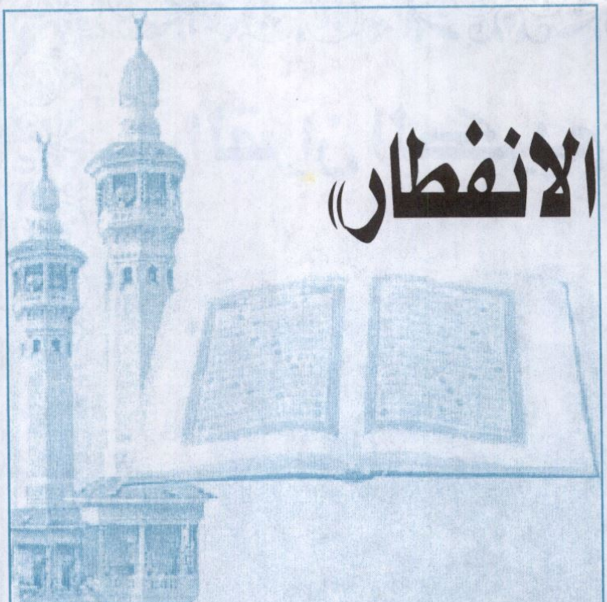

لفضيلة الإمام الأكبر

الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى

شيخ الأزهر

قال الله - تعالى - : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ
انفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ
۝٢ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا
الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا
قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ
مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝٦ الَّذِي
خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِي أَيِّ
صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلْ
تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ
لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١
يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢ إِنَّ الْأَبْرَارَ
لَفِي نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ
۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمْ
عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۝١٦ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ
الدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ
۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا
وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩ ﴾

[الانفطار: ١ - ١٩]

١ - سورة «**الانفطار**» من السور المكية الخالصة، وتسمى - أيضا - سورة ﴿**إذا السماء انفطرت**﴾ وسورة «المنفطرة» أى: السماء المنفطرة.

وعدد آياتها: تسع عشرة آية، وهى السورة الثانية والثمانون فى ترتيب المصحف.

أما ترتيبها فى النزول، فكان نزولها بعد سورة «النازعات»، وقبل سورة «الانشقاق». أى: أنها السورة الثانية والثمانون - أيضا - فى ترتيب النزول.

وقد اشتملت هذه السورة الكريمة على إثبات البعث، وعلى أهوال يوم القيامة، وعلى تنبيه الناس إلى وجوب الاستعداد لهذا اليوم الشديد، وعلى جانب من نعم الله على خلقه، وعلى بيان حسن عاقبة الأبرار، وسوء عاقبة الفجار.

٢ - وقوله - سبحانه -: ﴿**إذا السماء انفطرت**﴾: بيان لما ستكون عليه السماء عند اقتراب قيام الساعة.

ومعنى: «انفطرت»: انشقت. من الفطر - بفتح الفاء - بمعنى الشق، كما قال - تعالى - فى أول سورة الانشقاق: ﴿**إذا السماء انشقت**﴾. يقال: فطرت الشىء فانفطر. أى: شققته فانشق.

والمعنى: إذا السماء تصدعت وتشققت فى الوقت الذى يريده الله ـ تعالى ـ لها أن تكون كذلك.

﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾: أى: وإذا النجوم تهاوت وتساقطت وتفرقت.

يقال: انتثر الشئ على الأرض، إذا ألقيته عليها متفرقا. فانتثار النجوم معناه: تفرقها عن مواضعها التى كانت فيها.

﴿وإذا البحار فجرت﴾: أى: شققت جوانبها، فزالت الحواجز التى بينها، واختلط بعضها ببعض فصارت جميعها بحرا واحدا.

فقوله: «**فجرت**» مأخوذ من الفَجر ـ بفتح الفاء» وهو شق الشئ شقا واسعا.

يقال: فجّر فلان الماء فتفجر. إذا شقه شقا واسعا ترتب عليه سيلان الماء بشدة.

﴿وإذا القبور بعثرت﴾ أى: صار باطنها ظاهرها، وخرج ما فيها من الموتى مسرعين. يقال: بعثر فلان متاعه، إذا فرقه وبدده وقلب بعضه على بعض.

والمقصود: أن التراب الذى كان فيها يبعثر ويزال، ويخرج الموتى من تلك القبور للحساب والجزاء.

وقوله ـ تعالى ـ: **﴿علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾**: جواب «إذا» فى الآيات الأربع.

والتقدير: إذا حدث كل ذلك من انشقاق السماء، ومن تفرق النجوم، ومن زوال الحواجز بين البحار، ومن خروج مافى القبور.. علمت كل نفس جميع أقوالها وأفعالها، ما تقدم منها وما تأخر، وحوسبت عليها.

اشتملت السورة الكريمة على إثبات البعث وأهوال يوم القيامة ووجوب الاستعداد لهذا اليوم

٣ ـ **قال بعض العلماء:** «واعلم أن المراد من هذه الآيات: أنه إذا وقعت هذه الأشياء التى هى علامات الساعة، فهناك يحصل الحشر والنشر، وهى هنا أربعة: اثنان منها يتعلقان بالعلويات ـ وهى السماء والكواكب ـ واثنان يتعلقان بالسفليات ـ وهى البحار والقبور.

والمراد بهذه الآيات: بيان تخريب العالم، وفناء الدنيا، وانقطاع التكاليف.

وإنما كرر لفظ «**إذا**» أربع مرات، لتهويل ما فى حيزها من الدواهى.

وجواب لفظ «**إذا**» هو قوله ـ تعالى ـ: **﴿علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾**. أى: علمت كل نفس وقت حدوث هذه المذكورات الأربعة، ما قدمت من الأعمال وما أخرت منها فلم تعمله.

ومعنى علم النفس بما قدمت وأخرت: العلم التفصيلى، وذلك عند نشر الصحف. أما العلم الإجمالى فيحصل فى أول زمن الحشر، لأن المطيع يرى آثار السعادة، والعاصى يرى آثار الشقاوة فى أول الأمر، وأما العلم التفصيلى فإنما يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة»(١).

٤ ـ وبعد أن أشار ـ سبحانه ـ إلى أهوال علامات الساعة التى من شأنها أن تنبه العقول والحواس والمشاعر، أتبع ذلك بنداء للإنسان، فقال ـ تعالى ـ: **﴿ياأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾**.

والغرور: الخداع. يقال: غر فلان فلانا، إذا خدعه وأطمعه بالباطل. والخطاب لجنس الإنسان.

و«ما» استفهامية. والمقصود بالاستفهام: الإنكار والتعجيب من حال هذا الإنسان المخدوع.

والمعنى: يأيها الإنسان المخلوق بقدرة ربك وحده، أى شىء غرك وخدعك وجعل جانبا من أفراد جنسك يعبد غير خالقه - عز وجل - وجانبا آخر يعصى ربه، ويقصر فى أداء حقوقه؟

والمقصود بهذا النداء هنا: التنبيه لما سيأتى بعده من توجيهات، وليس طلب الإقبال على شىء معين.

وإيثار تعريف الله - تعالى - بصفة الرب، لما فى معنى الرب من التربية والرعاية والمِلْكية والإيجاد من العدم.

ففى هذا الوصف تذكير للإنسان بنعم خالقه الذى أنشأه من العدم، وتعهده بالرعاية والتربية.

وكذلك الوصف بالكريم فيه - أيضا - تذكير لهذا الإنسان بكرم ربه عليه، إذ مقتضى هذا الكرم منه - تعالى - أن يقابل المخلوق ذلك بالشكر والطاعة.

وقوله - سبحانه -: **﴿الذى خلقك فسواك فعدلك* فى أى صورة ما شاء ركبك﴾**: صفات أخرى للرب - عز وجل - الكريم المنان.

والخَلْق معناه الإيجاد على مقدار معين. والتسوية: جعل الشىء سويا قويما سليما خاليا من الاضطراب والخلل.

وقوله - تعالى -: **﴿فعَدَلَك﴾**: قرأها بعضهم بفتح الدال مع التخفيف. وقرأها آخرون بفتحها مع التشديد، وهما متقاربان فى المعنى، إلا أن التشديد يفيد المبالغة فى التعديل، الذى هو جعل بنية الإنسان معتدلة، متناسبة الأعضاء. فالتسوية ترجع إلى عدم النقصان فى الأعضاء والتعديل يرجع إلى عدم التخالف فيها.

والمعنى: يأيها الإنسان أى شىء خدعك وجرأك على معصية ربك الكريم الذى من مظاهر كرمه أنه **«خلقك فسواك»** بأن جعل أعضاءك سوية سليمة، مهيأة لاكتساب منافعها على حسب ما تقتضيه حكمة خالقك **«فعدلك»** بأن جعل أعضاء جسدك متناسقة متوازنة بعضها مع بعض.

فى الآيات تذكير للإنسان بنعم خالقه الذى أنشأه من العدم

فلم يجعل - مثلا - احدى يديك طويلة والأخرى قصيرة، ولم يجعل - مثلا - جانبا من جسمك أبيض والآخر أسود.

ومن مظاهر قدرته وكرمه - أيضا - أنه - سبحانه - ركبك ووضعك فى أى صورة من الصور المتنوعة التى اقتضتها مشيئته وحكمته، وهى صورة فيها ما فيها من العجائب والأسرار، فضلا عن أنها أحسن صورة وأكملها، كما قال - تعالى -: **﴿لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم﴾**.

فالمقصود من هذه الآيات الكريمة: تذكير الإنسان بفضل ربه - تعالى - عليه، وحضه على طاعته وشكره، وتوبيخه على تقصيره وجحوده، وتهديده بسوء المصير إذا ما استمر فى غفلته وغروره.

هذا، وإن خلق الإنسان على هذه الصورة الجميلة السوية المعتدلة الكاملة الشكل والوظيفة.. لأمر يستحق من كل إنسان عاقل التدبر الطويل، والشكر الجزيل، لربه الكريم **﴿الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى﴾**.

٥ - ثم بين - سبحانه - أن من أسباب غرور بعض الناس وغفلتهم عن طريق الحق، هو تكذيبهم بيوم القيامة وما فيه من حساب ومن

ثواب ومن عقاب، مع أن هذا اليوم آت لا ريب فيه فقال: **﴿كلا بل تكذبون بالدين* وإن عليكم لحافظين* كراما كاتبين* يعلمون ما تفعلون﴾**.

وحرف «**كلا**» للزجر والردع. وهو هنا للزجر والردع عن الاغترار بكرم الله - تعالى - وعن جعل هذا الكرم ذريعة إلى الكفر والفسوق والعصيان وقوله سبحانه: **﴿بل تكذبون بالدين﴾**، إبطال لوجود ما يدعو إلى غرورهم لو كانوا يعقلون.

والمعنى: كلا - أيها الضالون المكذبون - ليس هناك شئ يقتضى غروركم بالله تعالى - ويجرؤكم على معصيته لو كنتم تعقلون وتتفكرون.

ولكن تكذيبكم بيوم القيامة وما فيه من حساب وثواب وعقاب، هو الذى حملكم على هذا الغرور الذى هوى بكم إلى الكفر والفسوق والعصيان.

واعلموا - أيها الناس جميعا - إن عليكم ملائكة يسجلون أقوالكم وأعمالكم عليكم دون أن يتركوا شيئا منها دون إحصاء، ودون محاسبة عليها.

واعلموا - أيضا - أن هؤلاء الملائكة لهم عند الله - تعالى - الكرامة والمنزلة الحسنة، وأنهم يكتبون أعمالكم وأقوالكم كلها، وأنهم يعلمون أفعالكم التى تفعلونها سواء أكانت قليلة أم كثيرة، صغيرة أم كبيرة.

فالمقصود من هذه الآيات الكريمة: بيان أن البعث حق، وأن الحساب حق، وأن الجزاء حق، وأن أعمال الإنسان مسجلة عليه تسجيلا تاما، بواسطة ملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

أما كيفية هذه الكتابة من الملائكة لأعمال الإنسان، وعلى أى شىء تكون هذه الكتابة، ومتى تكون هذه الكتابة، فمن الأمور التى يجب الإيمان بها كما وردت، مع تفويض كيفيتها إلى الله - تعالى - وحده، لأنه لم يرد حديث صحيح عن المعصوم ﷺ يعتمد عليه فى بيان ذلك.

٦ - ثم بين - سبحانه - النتائج المترتبة على كتابة الملائكة لأقوال وأفعال الإنسان فقال - تعالى -: **﴿إن الأبرار لفى نعيم* وإن الفجار لفى جحيم* يصلونها يوم الدين* وماهم عنها بغائبين﴾**.

والأبرار: جمع بَر - بفتح الباء - وهو الإنسان المؤمن التقى النقى من كل مالا يليق.

أى: إن المؤمنين الصادقين لفى نعيم دائم، وهناء مقيم. وإن الفجار الذين فجروا وأشركوا فى العبادة مع الله آلهة أخرى، لفى نار متأججة بعضها فوق بعض، يدخلونها ويقاسون حرها يوم الحساب، وماهم عنها بغائبين بل هم ملازمون لها.

ثم فخم - سبحانه - وعظم من شأن يوم الحساب فقال: **﴿وما أدراك ما يوم الدين* ثم ما أدراك ما يوم الدين﴾**.

والتكرار ليوم الدين وهو يوم الجزاء والحساب للتهويل والتعظيم لهذا اليوم الذى تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها..

والمعنى: وأى شىء أدراك عظم وشدة يوم الحساب والجزاء، ثم أى شىء أدراك بذلك؟ إننا نحن وحدنا الذين ندرك شدة هوله، وقد أخبرناك بجانب مما يحدث فيه من شدائد لتنذر الناس، حتى يستعدوا له بالإيمان والعمل الصالح.

ثم فصل - سبحانه - جانبا من أهواله فقال: **﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئا* والأمر يومئذ لله﴾**.

أى: يوم الدين والجزاء والحساب، هو اليوم الذى لا تملك فيه نفس لغيرها شيئا من النفع، وإنما الذى ينفع كل نفس ما قدمته من إيمان كامل، ومن عمل صالح، والأمر فيه لله - تعالى - وحده، ولا سلطان ولا تصرف لأحد سواه.

وهكذا اختتمت السورة الكريمة كما بدئت بالتهويل من شأن يوم القيامة، ليزداد العقلاء استعدادا له، عن طريق الإيمان والعمل الصالح الذى يرضى الله - تعالى -.

الهامش:

١ - حاشية الجمل على الجلالين جـ٤ ص٤٩٨.

القرآن دستور الإسلام

إن أعظم ما يقف عليه المسلم فى القرآن: حديث القرآن عن نفسه وما أروع حديث القرآن عن نفسه، إنه حديث الصدق فى أسمى درجاته، وحديث الطهر فى أنقى صوره، لأنه مصون عن كل المؤثرات، محفوظ من التبديل والتغيير.

قال الله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ الحجر: آية ٩، وقد أقسم الله تعالى على ذلك، فقال: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لايمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين﴾ الواقعة: آية ٧٥.

أ. د. أحمد عمر هاشم

وقد ضرب الله الأمثلة على عظمة القرآن، وأنه لو أنزل على جبل لخشع وتصدع من خشية الله، قال تعالى: **﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾** الحشر: آية ٢١.

هذا وأن القرآن الكريم لهو أجل النعم الإلهية وأولها، ولذا صدر القرآن به حديثه عن النعم الوافرة. وذكرها قبل نعمة النطق وغيرها من النعم والآلاء.

فقال: **﴿الرحمن* علم القرآن* خلق الإنسان* علمه البيان* الشمس والقمر بحسبان* والنجم والشجر يسجدان* والسماء رفعها ووضع الميزان﴾** الرحمن: الآيات ١ ـ ٧.

كتاب الكون المفتوح بما يحويه من مظاهر العظمة الإلهية دليل دامغ على صدق الكتاب المُنزَّل

وحين سمع الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ رسول الله ﷺ يقول: **ستكون فتن.. إلخ.** سأله عن المخرج من الفتن، فأجابه الرسول ﷺ قائلا: **«كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، هو حبل الله المتين ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجبا، من علم علمه سبق ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم».**

وإذا تبين لنا مما سبق عظمة القرآن ومنزلته التى تمثلت:

أولا: فى الهداية ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب، قال تعالى: **﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾** النحل: آية ٤٤، وقال: **﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه﴾** النحل: آية ٦٤، وقال: **﴿إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم﴾** الإسراء: آية ٩.

كما بين القرآن نتيجة من أعرض عنه فى قوله: **﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا* ونحشره يوم القيامة أعمى* قال رب لم**

حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ طه: الآيات ١٢٤ ـ ١٢٦.

ثانيا: فى الإعجاز وما اشتمل عليه القرآن من كونه معجزة دالة على صدق الرسول ﷺ، جاء به فى وقت اكتملت فيه كل ملامح القوى البلاغية ووسط قوم ملكوا زمام الفصاحة والبيان فجاءهم بمعجزة من نوع ما برعوا فيه فعجزوا عن الإتيان بمثله. قال تعالى: **﴿وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾** البقرة: آية ٢٣، بل إن التحدى كان للإنس والجن معا فكان عجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله واضحا قال تعالى: **﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾** الإسراء: آية ٨٨.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «**ما من الأنبياء نبى إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة**» رواه البخارى ومسلم.

ولقد حفظ الله كتابه فى القديم وفى الحديث، من بين يديه ومن خلفه **﴿وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾** فصلت: آية ٤٢.

وقد حاول بعض المعاندين أن يثيروا حول القرآن الكريم بعض الشبه وأن يقولوا تنزلت به الشياطين، فرد الله تعالى عليهم بقوله: **﴿وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون﴾** الشعراء: آية ٢١٢.

أما تنزل الشياطين فلا يكون إلا على أهل الإفك والكذب والزور: **﴿قل هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ❁ تنزل على كل أفاك أثيم﴾** الشعراء: الآيتان ٢٢١، ٢٢٢.

ولما كان رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام نصرانى يقال له جبر، زعم أعداء الدين أن جبرا هذا هو الذى يعلم الرسول أغلب ما يأتى به وحاولوا ترويج تلك الفرية فنزل قوله تعالى: **﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين﴾** النحل: آية ١٠٣.

تتجلى عظمة القرآن الكريم فى أنه لو نزل على جبل لخر خاشعا متصدعا

بل إنهم تخبطوا فى ضلالات كثيرة وأثاروا حول القرآن شبها عديدة لا يثبتون على حال ولا يهدأ لهم بال شأن كل متحد فمرة يقولون عنه: إنه خلط من أخلاط الأحلام وأخرى يقولون عنه: إنه افتراء، وأخرى: بل هو شاعر. **﴿بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾** الأنبياء: آية ٥.

وعندما فكر الرسول ﷺ فى الالتقاء بوفود العرب والقبائل فى موسم الحج يدعوهم إلى الله، اجتمع بعض المعاندين من قريش إلى الوليد بن المغيرة يتشاورون، وقالوا: ماذا عسى أن يقال فى شأن محمد للعرب القادمين إلى موسم الحج، حتى لا يختلف بعضهم على بعض، ويكذب بعضهم بعضا، واقترح بعضهم أن يقولوا أن محمدا كاهن، فرد الوليد هذا الرأى: أن ليس ما يقول محمد بزمزمة الكاهن ـ أى كلامه الخفى ـ ولا بسجعه واقترح آخرون أن يزعموا أن محمدا مجنون، فرد

الوليد هذا الرأى بأنه لا تبدو عليه لهذا الزعم ظاهرة واقترح غيرهم أن يتهموا محمدا بالسحر، فرد الوليد بأن محمدا لا ينفث فى العقد ولا يأتى من عمل السحرة شيئا. وبعد حوار اقترح الوليد عليهم أن يقولوا للحاج من العرب إن هذا الرجل ساحر البيان وأن ما يقوله سحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته. أ. هـ.

وفى صدد بيان تلك الفرى التى افتراها أعداء الإسلام يتحدث القرآن الكريم عنها، ويفندها ويبددها فى قول الله تعالى: **﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين* أم يقولون افتراه قل إن افتريته فلا تملكون لى من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بينى وبينكم وهو الغفور الرحيم﴾** الأحقاف: الآيتان ٧، ٨. إلخ الآيات.

وجاءت هذه الآيات الكريمة لتقرر قضية الوحى الإلهى فى أجل صورها وأسماها وهى آيات الله البينات التى اشتمل عليها القرآن الكريم وقد عالجت هذه الآيات ذلك الموضوع المهم المتعلق بأمر الوحى، بعد أن تصدت الآيات السابقة لها من صدر سورة «الأحقاف» إلى تقرير عقيدة التوحيد عن طريق بيان ما أنزل الله من كتاب. وما خلق من السموات والأرض وما بينهما. وكتاب الكون المفتوح بما فيه من شواهد العظمة الإلهية والقدرة القوية شاهد على صدق الكتاب المنزل الذى يهدى للتى هى أقوم، وكلاهما يتضافران فى بيان أوضح الأدلة على وحدانية الله تعالى.. ومن عجب بعد كل هذا الوضوح أن يعرض الذين كفروا عن تلك الحقيقة الواضحة التى لا لبس فيها ولا غموض **﴿حم* تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم* ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾** الأحقاف: الآيات ١ ـ ٣.

ثم أخذت الآيات بعد ذلك تطرح تساؤلاتها القوية والحجج المفحمة وتتحدى من يعبدون أحدا غير الله، وتبين عجز الجميع أن يخلقوا شيئا **﴿أرونى ماذا خلقوا من الأرض﴾**.

إن نهايتهم ونهاية ما عبدوا فى الدنيا عجز ومهانة.

وأما نهايتهم فى الآخرة فهى وقوع العداوة بينهم وبين معبودهم وتبرؤهم منهم وكفرهم بهم: **﴿وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾** الأحقاف: آية ٦، وهكذا أبطلت الآيات السابقة عقيدة الشرك وأثبتت قضية التوحيد فى جلاء ووضوح.

بعد هذا أخذت الآيات فى اثبات قضية الوحى الإلهى فبينت كيف جاء القرآن وحيا جليا وآيات بينات، ومع هذا فإنهم لا يملكون أمام اعجاز القرآن إلا أن يقولوا: **﴿هذا سحر مبين﴾**.

ثم بينت ما آل إليه أمرهم من التخبط والتضارب فيقولون: افتراه، وهنا يبرز القرآن هذه الفرية الأخرى لا فى صورة الخبر بل على صورة الاستفهام لأن هذا لا ينبغى أن يقول به عاقل، ومن المستبعد أن ينطق به انسان ومعه عقله، **﴿أم يقولون افتراه﴾**، وهنا تأتى الإجابة أمرا من عند الله تعالى يتضمن استبعاد تلك الفرية على طريق التدرج معهم حتى يأتى عليها من القواعد، فعلى فرض ما ادعيتم فهل يكون مفترى من أجل أن تؤمنوا، وماذا يجدى ايمانكم لو آخذنى ربى؟ **﴿قل إن افتريته فلا تملكون لى من الله شيئا﴾** الأحقاف: آية ٨.

ولكن الحقيقة واضحة، ويعلم الله ما تندفعون فيه من طعون زائفة وكفى به شهيدا على صدق ما جئت به وعلى افتراء ما تطاولتم به **﴿هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بينى وبينكم﴾** الأحقاف: آية ٨.

وفى وسط هذا الجو الخانق لديهم، ومع هذا الحوار الشديد يكشف القرآن عن أسرار الرحمة الإلهية، ويشعرهم بحلم الله عليهم رغم تلك الجرائم والافتراءات فيقول: **﴿وهو الغفور الرحيم﴾** فقد تتداركهم هداية الله فيهديهم وقد يثوبون إلى رشدهم فيرحمهم، وبعد مناقشة المشركين فى ضوء تلك الآيات البينات وبيان أنها حق أخذت فى مناقشتهم عن طريق من أنزل عليه القرآن وهو الرسول ﷺ فهو لا يختص نفسه بشىء ولا يصدر فى أمر إلا عن وحى الله، أن قلبه واثق من ربه فلا يمد عينيه إلى سر ما من الأسرار وأنه ليس أول رسول جاء برسالة ربه فقد سبقه من قبل الرسل **﴿قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم أن اتبع إلا ما يوحى إلى وما أنا إلا نذير مبين﴾** الأحقاف: آية ٩، أما ما أشارت إليه الآية **﴿وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم﴾** فالمراد به مالم يكن عليه من وظائف النبوة كالحوادث والوقائع الدنيوية أما ما يحدث فى الآخرة من ثواب وعقاب أو غير ذلك فإنه علم مثل هذا من شئون النبوة ووظائفها ولذا ختمت الآية الكريمة بما يبين انذار الرسول ﷺ بعقاب الله تعالى لهم: **﴿وما أنا إلا نذير مبين﴾**.

كما أخذت الآيات بعد ذلك فى اثبات صدق القرآن عن طريق أحد بنى إسرائيل، كواحد من جنس المعاندين. إنه استدل على صدق الآيات من نفس القرآن، ثم استدل على صدقها أيضا عن طريق واحد من نوع المعاندين وجنسهم وهو: «عبدالله بن سلام» لماسمع عبدالله بن سلام بمقدم رسول الله ﷺ أتاه فنظر إلى وجهه الكريم فعلم أنه ليس بوجه كذاب. وتأمله فتحقق أنه النبى المنتظر، فقال له: إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى: ما أول شرائط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ والولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ فقال - عليه الصلاة والسلام - أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الولد فإن سبق ماء الرجل نزعه وإن سبق ماء المرأة نزعته، فقال: أشهد أنك رسول الله حقا، فقام ثم قال: يارسول الله إن اليهود قوم بهت فإن علموا بإسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى عندك، فجاءت اليهود فقال لهم النبى - عليه الصلاة والسلام -: «**أى رجل عبد الله فيكم؟ فقالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال: أرأيتم إن أسلم عبدالله؟ قالوا أعاذه الله من ذلك، فخرج إليهم عبدالله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله..**» فقالوا: شرنا وابن شرنا وانتقصوه، قال: هذا ما كنت أخاف يارسول الله وأحذر. قال سعد ابن أبى وقاص رضي الله عنه ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشى على الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام وفيه نزل: **﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدى القوم الظالمين﴾** الأحقاف: آية ١٠.

ورحم الله البوصيرى إذ يقول:

آيات حق من الرحمن محكمة
قديمة صفة الموصوف بالقدم
لم تقترن بزمان وهى تخبرنا
عن المعاد وعن عاد وعن إرم
دامت لدينا ففاقت كل معجزة
من النبيين إذ جاءت ولم تدم
ما حوربت قط إلا عاد من حرب
أعدى الأعادى إليها ملقى السلم

نفعنا الله تعالى بالقرآن الكريم ووفقنا إلى العمل به إنه سميع مجيب.

مفهوم الحق وتطبيقاته من خلال آيات «قل» فى القرآن الكريم

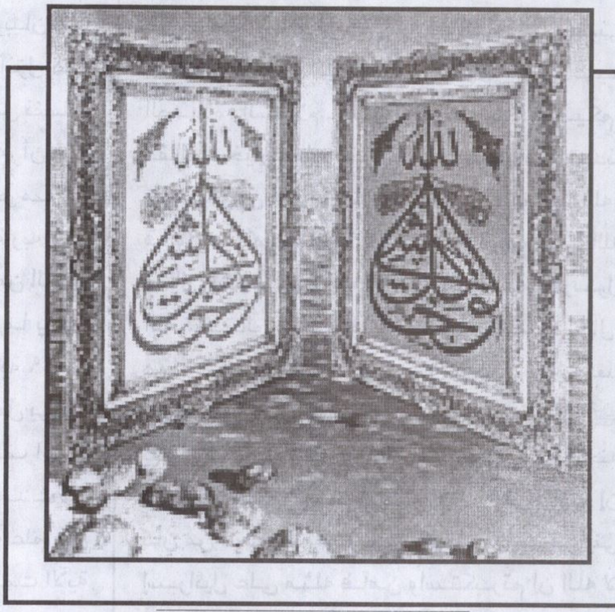

أ.د. محمد محمد أبو ليلة

الحق هو الله تعالى وكذلك كل ما يتصل بذاته وصفاته وأفعاله وأوامره ونواهيه وإخباره وكلامه كل ذلك حق لا شك فى ذلك وكل ما أوجبه الله تعالى على عباده فهو حق سواء تعلق هذا الحق به تعالى أو برسله أو تعلق بعباده ومخلوقاته؛ وقوةُ الحق من قوة الله، لأن الله هو مصدر الحق عند المسلمين، والحق المتعلق بالإنسان يعدل الكرامة تصان إذا صين، وتنزع إذا نزع؛ والله تعالى هو الحفيظ على الحق، ولكنه يحب من يدافع عن الحق، ويضحى فى سبيله، كان له هذا الحق أو كان عليه؛ وخير الناس من أنصف الناس من نفسه؛ والحق والحقيقة صنوان لا ينفصلان؛ والحق ليس نسبيا أو شخصيا يعتمد على مدى الطاقة الإنسانية، ويتأثر سلبياً أو إيجابياً بسبب الأحوال والظروف، وإنما هو مطلق، وثابت وملزم فى كل الأحوال والأوقات.

وقد ورد الحق فى القرآن الكريم فى كثير من السور والآيات، واستُعْمِل فى عدة قرائن وفى التعبير عن معان متنوعة نذكرها فى موضعها فى هذا المقال.

وإذا كان غرضنا أن نكتب عن الحق وتطبيقاته من خلال آيات «قل» فى القرآن الكريم، فإن الحق قد جاء مُعَرّفاً بالألف واللام هكذا فى أكثر من آية على النحو التالى:

يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ يونس: آية ٨،، ويقول تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الحج: آية ٥٤، ويقول تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ الإسراء: آية ٨١، ويقول تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً﴾

الكهف: آية ٢٩، ويقول: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ المؤمنون: آية ١٨، ويقول تعالى: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ سبأ: آية ٤٩، ويقول تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾ الشورى: آية ١٨.

معنى الحق ومفهومه:

الحق فى اللغة هو إحكام الشىء وصحته، وهو نقيض الباطل والضلال. يقال: حَقَّ الشىءُ، أى وجب، وصار الشىء حقاً أى وقع وتحقق كما فى قوله: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ يوسف: آية ١٠٠، أى صيَّرها من عالم الروح إلى عالم الحس.

ويقال: «احْتَقَّ الناسُ فى الدّين»، إذا ادَّعى كل واحد الحق. و«حقاً» بمعنى نَعَم ومؤكد، وتقال فى اليمين، وتقول: حقَّقت الأمرَ، وأحققتُه، أى صرتُ على يقين منه(١).

الحق اسم من أسماء الله تعالى يقول عز وجل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ لقمان: آية ٣٠.

والحق هو الموجود، والباطل هو المعدوم؛ فالله هو الحق لأنه الثابت فى ذاته، الواجب من جميع جهاته، أو الثابت لهيئته وصورته بما لا شك لصاحب عقل سليم حكيم فيه.

ومعنى ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ أى أن كل ما عدا الله تعالى معدوم فى حد ذاته، باطل بمعنى أنه لا يقوم بنفسه، ولا يمكن أن يستقل بوجوده فهو معدوم إلا إذا أوجده الحق تبارك وتعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ الأنعام: آية ١، ويقول تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ المؤمنون: آية ١١٦، ويقول تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ الإسراء: آية ٨١.

الله هو المالك المطلق الذى لا ينازع فى ملكه، ومن عداه مملوك بالذات ومالك بالعرض، الحق هو الذى يحق ويبطل، ويوجد ويعدم، يحيى ويميت، ويكون كل شىء منه ومتوقف عليه، بقاءً وتدبيراً، لذلك جاء بعده ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

وقد أُتبع هذا الوصفُ بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ..﴾ أى بإحسانه وقدرته وتهيئة لأسباب الجريان والنجاة ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ﴾ أى دلائله التى تبرهن على أنه وحده الله القادر، وما عداه مخلوق عاجز. من الذى ينجى من المهالك، من الذى بيده الموت والإحياء والبعث والنشور والحساب والعقاب، إنه الله - عز وجل - وَعْدَ، ووعدُه الحقُّ ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ لقمان: آية ٣٣، لا يتخلف: يقول تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ الأنعام: آية ٦٢، ومعنى ﴿رُدُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ أى رجعوا إليه، ليحكم بينهم، ويجازيهم على أفعالهم، إنْ خيراً فخيراً، وإنْ شراً فشراً، ومعنى ﴿مَوْلاهُمُ﴾أى متولى جميع أمورهم. إن الله وحده هو الذى يحاسب الناس جميعاً، من بداية الخلق إلى نهاية العالم.

والحق الشريعة أو الشرع ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً...﴾ البقرة: آية ١١٩، ﴿وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: آية ٤٢.

والحق بمعنى العدل ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ..﴾ ص: آية ٢٦، أى: احكم بينهم بالعدل؛ العدل ميزان الله فى الأرض،

والحق هو القائم على الميزان...

العدل فى الحكم شريعة واجبة، وسنة إسلامية وإنسانية ماضية، تتعطل الحياة، ويتعطل العمران، ويعم الفساد الأرض عندما لا يحكم فى الناس بالعدل، ولذلك كثرت الآيات التى يحض الله فيها على تحقيق العدل فى كل شىء **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ...﴾** النحل: آية ٩٠، **﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ...﴾** الشورى: آية ١٥، **﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾** المائدة: آية ٨، يكون العدل فى الحكم **﴿ .وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ..﴾** النساء: آية ٥٨، **﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** المائدة: آية ٤٢، يكون فى معاملة الزوجة والذرية، ويكون فى القول **﴿... وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾** الأنعام: آية ١٥٢، ويكون فى الصلح بين الناس **﴿ .وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾** الأنفال: آية ١، **﴿ .فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** الحجرات: آية ٩، ويكون العدل فى الشهادة **﴿.. وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾** الطلاق: آية ٢. وفى الحديث الشريف «**كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة...**» البخارى ومسلم.

وعن أبى هريرة **قال: قال رسول الله ﷺ: يا أبا هريرة «عدل ساعة أفضل من عبادة ستين سنة، قيام ليلها، وصيام نهارها، يا أبا هريرة: جور ساعة فى حكم أشد وأعظم عند الله ـ عز وجل ـ من معاصى ستين سنة». وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: رسول الله ﷺ: «يومٌ من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة، وحدٌ يقام فى الأرض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين صباحاً»** رواه **الطبرانى فى الكبير والأوسط بإسناد حسن.**

وعواقب الظلم والجور فى الدنيا والآخرة وخيمة ومدمرة؛ عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «**كيف أنتم إذا وقعت فيكم خمس؟ وأعوذ بالله أن تكون فيكم وتدركوهن: ما ظهرت الفاحشة فى قوم قط يُعمل بها فيهم علانية إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم؛ وما منع قومٌ الزكاة إلا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، وما بخس قوم المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المُؤْنَة، وجور السلطان؛ ولا حَكَم أمراؤهم بغير ما أنزل الله إلا سلط الله عليهم عدوهم فاستنقذوا بعض ما فى أيديهم، وما عطلوا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ إلا جعل بأسهم بينهم (شديد)**» رواه الحاكم.

والفاحشة الزنا والفجور، والطاعون الكوارث والأوبئة وكل أنواع الفساد والأمراض التى لم تكن معروفة من قبل؛ والقطر هو المطر، ومعنى: بَخْس المكيال والميزان أى ظلم وجار فيهما؛ والسنين القحط والأزمات بكل أنواعها، وغلاء الأسعار، وقلة الإنتاج والمحاصيل، والأوبئة الفتاكة ورفع البركة، وشيوع الفقر والحاجة بين الناس. وظلمُ الأفراد يصيب الأمة كلها بالخراب والأزمات. عن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «**لا تقدس أمة لا يُقضى فيها بالحق، ولا يأخذ الضعيف حقه من القوى غير متعتع**» رواه الطبرانى، ومعنى لا تقدس: أى لا تكون دولة شرعية؛ وغير متعتع: يعنى أن الضعيف يأخذ حقه من القوى دون أن يلحق به أدنى أذى أو مضايقة أو تهديد.

ومن رسالة للإمام على ـ كرم الله وجهه ـ للأشتر حين ولاّه مصر يقول: «أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك، وممن لك فيه هوى من رعيتك: فإنك إذا لا تفعل

تظلم، ومَنْ ظلَم عبادَ الله كان الله خصمه دون عباده؛ ومن خاصمَه الله، أدحض حُجته، وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب. وليس شئٌ أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم؛ فإن الله سميعٌ، يسمعُ دعوة المظلومين وهو للظالمين بالمرصاد؛ وليكن أحب الأمور إليك أوسطها فى الحق، وأعمها فى العدل، وأجمعها لرضا الرعية؛ فإن سخط العامة يُجْحف برضا الخاصة، وإن سخط الخاصة يُغتفر مع رضا العامة..(٢).

والحق النصيب الواجب فى مال الغنى للفقير **﴿وفِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾** الذاريات: آية ١٩، **﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ...﴾** الأنعام: آية ١٤١، والحق الأدبى داخلٌ فى عموم الحق فى الإسلام، فالاحترام والتوقير والرحمة بالناس كلها حقوق للناس بعضهم على بعض.

وأصل الحق المطابقة والموافقة مطابقة الشئ للشئ حتى يمكن أن ينسجما معاً نفسيا أو عقليا أو مادياً أو عملياً، وحتى يمكن لهما التعاون والاتفاق على أداء ما يراد منهما **﴿... مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ...﴾** الملك: آية ٣.

والحق يطلق على:

● مُوجِد الشئ بسبب ما تقتضيه الحكمة، ولذلك سَمَّى الله تعالى نفسه «الحق». يقول تعالى بالإضافة إلى ما سبق ذكره: **﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾** يونس: آية ٣٢، فى الآية استفهام استنكارى، أى ليس بعد الحق - وهو الله وعبادته وحده - إلا الضلال، فمن تعدّى الإيمان بالله كما وصف تعالى به نفسه، تخبط ووقع فى الضلال والحيرة، وكيف ينصرف الإنسان عن الحق إلى الباطل لمحض المكابرة؟!.

والحق أبين ما يكون فى الدلالة على الله، ومعرفة الله تعالى من خلال مخلوقاته هو نور العقل الذى يرى به نفسه، كما يرى به غيره، وهو دليل حياة العقل وسلامته.

● **المعنى الثانى للحق:** هو أنه يقال للمُوجَد بحسب الحكمة، ولهذا يقال: فعلُ الله كله حقٌّ. يقول تعالى: **﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** يونس: آية ٥، ومن هذا قوله **﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ* لا الشَّمْسُ يَنبَغِى لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾** يس: الآيتان ٣٩، ٤٠، **﴿... فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾** المؤمنون:آية ١٤، **﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾** القمر: آية ٤٩، وقال تعالى: **﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّى إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾** يونس: آية ٥٣.

ومعنى **«يَسْتَنبِئُونَكَ»** يسألونك، وكلمة «يَسْتَنبِئُونَكَ» توحى بعِظَم شأنِ المسئول عنه، وهو يوم القيامة أو النبوة أو القرآن. ويقول تعالى: **﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ...﴾** التوبة: آية ٢٣، والإسلام هو دين الله الحق الذى اجتمع عليه الأنبياء جميعاً.

وبعد أن قال تعالى: **﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾** الذاريات: آية ٨، يعنى أنهم كانوا فى جدل وخلاف حَوْل الرسول ﷺ، أو حول القرآن، أو البعث **﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾** الذاريات: آية ٩، أى ينحرف أو يبعد عنه من اختار الضلال على الهدى **﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾** الذاريات: آية ١٠، وهذا دعاءٌ على المنكرين المكذبين بالهلاك **﴿الَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾** الذاريات: آية ١١، يعنى هؤلاء الذين غطوا على عقولهم وقلوبهم، ولم يتركوا لأنفسهم منفذا لمعرفة الحق.

يقول تعالى، بعد ذلك: **﴿وَفِى الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾** الذاريات: آية ٢٠. أى أن فى الأرض

على سطحها، وفى باطنها دلائل كثيرة على وجود الخالق وقدرته وعظمته، يدركها أهل اليقين والتثبيت الذين قادهم النظر إلى الإيمان بالله ـ عز وجل ـ فآمنوا تمام الإيمان بالله ذاتاً وصفات، متخذين دلائل الوحى ودلائل العقل والمشاهدة سبيلا إلى الإيمان الجازم ﴿وفِى أنفُسِكُمْ أفَلا تُبْصِرُونَ﴾ الذاريات: آية ٢١، أحالهم الله إلى النظر والتفكير فيما تشتمل عليه أجسامهم ونفوسهم وطبائعهم من أسرار ومعاجز لا يعلمون عنها إلا أقل القليل والتى لا يمكن لبشر أن يدعى خلق مثلها.

﴿وفِى السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ ومَا تُوعَدُونَ﴾ الذاريات: آية ٢٢، إشارة إلى أن الإنسان لا يملك حتى رزق نفسه، وإن الرزق بعيد ما لم يقربه الله، وييسر لصاحبه الوصول إليه، ﴿أمَّنْ هَذَا الَّذِى يَرْزُقُكُمْ إنْ أمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُوا فِى عُتُوٍّ ونُفُورٍ﴾ الملك: آية ٢١، سؤال تبكيت وتعنيت لمدعى النظر والفكر، من أين تأتيهم المواد التى بها قوام حياتهم. والاستدلال هنا بشىء مادى يمس وجودهم. إن هذه العناصر والظواهر والأسباب المختلفة التى تترتب عليها أرزاق العباد كلها مخلوقة ومصيرة مثلهم، ولا بد لها من خالق يجب الإيمان به والتعرف عليه والالتزام بشرائعه.

﴿فَورَبِّ السَّمَاءِ والأَرْضِ إنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ الذاريات: آية ٢٣، أى كما أنكم لا تشكون فى كلامكم حالة النطق به، فإن ما أخبركم الله تعالى على لسان رسوله من الآيات والرزق والوعد والوعيد والبعث هو حقٌّ، أى واقع وحاصل لا شك فيه. ﴿وإنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ...﴾ البقرة: آية ١٤٩، ﴿.. فَلا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ ولَكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾ هود: آية ١٧، والحقُّ فى هذه الآية هو يوم القيامة أو القرآن أو أى شىء آخر يجادل فيه المبطلون لقلة نظرهم واختلاط فكرهم، والمرية معناها الشك.

● يطلق الحق على الفعل والقول بحسب ما يجب، وبقدر ما يجب، كقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ يونس: آية ٣٢، أى ثُبِّتَتْ ولزمت، ويقول تعالى: ﴿ويُرِيدُ اللَّهُ أن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ويَقْطَعَ دَابِرَ الكَافِرِينَ﴾ الأنفال: آية ٧، أى يثبته بوحيه ﴿لِيُحِقَّ الحَقَّ ويُبْطِلَ البَاطِلَ ولَوْ كَرِهَ المُجْرِمُونَ﴾ الأنفال: آية ٨، أى أن الله حرّض المؤمنين على القتال وشجّعهم وأيدهم بأنواع .وإحقاق الحق يكون بالأدلة والآيات الكونية وآيات الأنفس .ويحق الحق بمشيئته وقدرته ﴿.. واللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ ولَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ﴾ الصف: آية ٨، ﴿هُوَ الَّذِى أرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى ودِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ..﴾ التوبة: آية ٣٣.

● ويطلق الحق كذلك ويراد به الإسلام أو الشريعة أو محمد ﷺ، يقول الله تعالى عن القرآن: ﴿ولِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ أنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وإنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الحج: آية ٥٤، ويقول: ﴿تَنزِيلُ الكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ العَالَمِينَ* أمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ السجدة: الآيتان ٢، ٣.

الحق مطلق وليس نسبيباً، سواء أريد بالحق الذات الإلهية، أو أريد به أعمالُه تعالى وأحكامه يقول تعالى: ﴿والْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ..﴾ الأعراف: آية ٨، أريد به العدل فى الأحكام، والصدق فى الأقوال والأفعال، ولولا ثباتُ الحق لخرب العالم، لأن الناس أهواء شتى ومنازع متعددة مختلفة يقول تعالى: ﴿ولَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ والأَرْضُ ومَن فِيهِنَّ...﴾ المؤمنون: آية ٧١.

فلو اتبع الحق أهواء الناس لانقلب الحق باطلاً، ولاخترع كل إنسان ما يراه مناسبا لهواه

وتعبد له، وقاتل عليه، ولأنكر كلُّ واحد منا ما يراه الآخر، وقاتله على ذلك، وإذن تتعدد الآلهة الزائفة، وتختلط القيمُ والمعايير، وتعم الفوضى حياةَ الناس، ونحن اليوم نشتكى من ازدواجية المعايير فى السياسة الدولية التى لا يؤمن أصحابها إلا بالمصلحة، ونسبية الأخلاق والقيم(٣) والمطالع لتقرير لجنة الشفافية التابعة للأمم المتحدة يزعجه ما ورد فيه من فساد مالى يعوق التنمية ويعمق للفقر والتخلف فى معظم دول العالم.

يقول تعالى: **﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْىَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾** الأعراف: آية ٣٣، **﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لا يَهِدِّى إِلا أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ* وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلا ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾** يونس: الآيتان ٣٥، ٣٦.

وفى ختام الكلام عن الحق فى القرآن نذكر أن كلمة **«حق»** و**«استحق»** بمشتقاتها وردت (١٢) مرة فى القرآن، وكلمة «الحق» ذكرت (٢٢٢) مرة، وكلمة «حقاً»(١٧) مرة، و«حقه» (٣) مرات و«أحق»على جهة التفضيل (١٠) مرات. وهذا يُظهر قيمةَ الحق فى ذاته، وفى أثره فى الفرد والمجتمع.

حقوق العباد

القيام بحقوق العباد وحسن معاملتهم ركن من أركان الدين، وأصل من أصول المجتمع السليم المترابط، والإنسان فى الدنيا كما يقول حجة الإسلام الإمام الغزالى «إما أن يكون وحده، أو يكون مع خواصه من أهل وولد وقريب وجار، أو يكون مع عموم الخلق .فهذه ثلاثة أحوال، وعليه حسن الصحبة وأداء الحقوق فى جميع هذه الأحوال»(٤).

فإذا كان الإنسان وحده فليعلم أنه بنفسه عالم، وأن باطنه يشتمل على أصناف من الخلق مختلفى الطباع والأخلاق، فإن لم يحسن صحبتهم، ولم يقم بحقوقهم هلك، يقول تعالى: **﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾** الإسراء: آية ٣٦، ويقول تعالى **﴿... وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾** النساء: آية ٢٩، ويقول: **﴿... وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾** البقرة: آية ١٩٥، **﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ..﴾** التحريم: آية ٦.

ويقول النبى ﷺ: «**إن لنفسك عليك حقاً وإن لبدنك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً فأعطِ لكل ذى حق حقه**».

وإساءة الإنسان إلى نفسه أو بدنه أو عقله أو ماله أو أهله وولده من أعظم أنواع الإساءات. إن فى الإنسان شهوةً يجذب بها إلى نفسه النافعَ، ويحافظ بها من خلالها على وجوده، فإذا أساء استعمال هذه الشهوة جنى على نفسه، وله عقل يدبر به أموره فإذا أساء استعمال عقله ضل وذل وانتهى به الحال إلى نهاية مؤلمة.

وأحسنُ ما يستعمل الإنسان فيه عقله هو جلب المصلحة ودرء المفسدة والتقيد بأحكام الشرع التى فيها صلاحه ووقايته، وإذا كان الإنسان فى جماعة أو صحبة وجب عليه أن يحسن معاملتهم، ويعرف كيف يتواصل معهم .وقد ذكر الله تعالى وذكر رسوله ﷺ حقوق الوالدين والزوجة والأبناء والجدان، وأمر المسلم بأن يحسن فى أداء حق هؤلاء جميعاً ابتداء من الابتسامة، والكلمة الطيبة، وفيهما راحة نفسية عظيمة لكلا المتبادلين لهما، وانتهاءً بمد يد المساعدة المادية والأدبية للمحتاج وإكرام السائل بالعطاء والرد الجميل، وأن يدخل السرور على قلوب الذين من حوله ويحترم

مشاعرهم وأن يعفو ويصفح ولا يتتبع العورات ولا يبحث عن مواضع التهم والذلات.

وعلى المسلم أن يحقق الأخلاق الطيبة مع كل من يتعامل معهم من بنى الإنسان مسلمين وغير مسلمين.

حقوق الله

وحقوق الله لابد أن تؤدى وليس للعبد اختيار فى ذلك: فليس له أن يسقط منها شيئاً أو يضيف إليها شيئاً ليس منها، ومن حق الله على العبد أن يعبده وحده لا شريك له، ولا يكون ذلك إلا بأداء ما افترض عليه وأن يلتزم بأوامره ونواهيه، وأن يحقق فى واقع حياته الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله والحدود، وكذلك سائر العادات التى ثبت فيها حق الله تعالى أو حق الغير من العباد، كل هذه من حقوق الله - عز وجل -(٥)، وقد أجمع العقلاء على أهمية القيم بالنسبة للإنسان ولبقاء العمران.

حقوق الإنسان فى الإسلام وعند الغربيين:

فى البداية نقول إن عبارة «حقوق الإنسان» تعنى: «صيانة الحياة والكرامة الإنسانية والأمور الأخرى ذات العلاقة»، وهناك تعريفات كثيرة لهذا التعبير يهمنا أن نشير من بينها إلى تعريف أندرو ليفن Andrew Levine هو «أى مطالبة مشروعة يتقدم بها فرد أو مجموعة من الأفراد» فى هذا التعبير ربطٌ بين نشوء الحق والشرعية يعنى أن المطالبة بأمر غير شرعى أو غير مسموح به قانوناً لا يعتبر حقاً، كالمخدرات مثلاً وكل ما يمثل خطراً على الفرد أو المجتمع.

ويرى فريق من العلماء الغربيين أن مفهوم الحق ثابت وليس مثيراً للجدل فوجود حقوق الإنسان يعتمد على اتفاق المجتمع الانسانى على مفهوم تلك الحقوق وأن طبيعة حقوق الإنسان ومداها يعتمد على شخصية ذلك المجتمع(٦).

عندما نتكلم عن حقوق الإنسان فلا بد من أن ننبه على نقطتين مهمتين:

١ - ارتكاز الحق على الواجب إلا فى ما استثناه الشرع.

٢ - أن حقوق الإنسان فى الإسلام ترتبط بالعقيدة وسائر التشريعات الإسلامية وتنطلق من القرآن يقول تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾** الإسراء: آية ٧٠، ، وإيصال الحقوق إلى أهلها والإسلام رسالة إلهية جاءت لصالح الإنسان.

وحقوق الإنسان شاملة وليس فيها استثناء، وليس لأحد أن يعطلها تحت أى ظرف من الظروف، وذلك لأنها تكتسب شموليتها وقدسيتها من الإسلام نفسه، فهى حقوق روحية ومادية معاً، كما أنها حقوق دينية بالنسبة للمسلمين وحقوق دينية مدنية أو مجتمعية بالنسبة لغير المسلمين **﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** الممتحنة: آية ٨، و«البر» يعنى القيام بحقهم المادى والأدبى. ويقول ﷺ: **«لهم ما لنا وعليهم ما علينا».**

أما بالنسبة لحقوق الإنسان فى الغرب فإن أوروبا، والغرب بشكل عام، لم يهتم بمسألة الحقوق لا على المستوى الداخلى، ولا على المستوى الخارجى إلا بعد قرون من مبعث النبى ﷺ، فقد كان هناك الرق والاضطهاد الدينى وإنكارا الآخر والتنقص منه، وكانت هناك العنصرية ثم الاستعمار بنوعيه القديم والحديث. كان الإنسان فى العصور الوسطى محكوما بطبقة رجال الدين ليس له أى حق فى التصرف أو التفكير واتخاذ

القرار، وظل الأمر على هذا المنوال إلى أن طحنت الحرب العالمية الأولى والثانية أوروبا، اللتان ضاع ضحيتهما أكثر من مائة مليون شخص، مما ألجأ أوروبا إلى التفكير فى حقوق الإنسان.

وكان أول ما صدر بهذا الشأن هو الإعلان العالمى لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨م، والذى نصّ على الحريات الشخصية للفرد؛ حق التنقل وحق الأمن وحرية المسكن وسرية المراسلات... إلخ؛ وحرية الفكر والتعبير عن النفس وإبداء الرأى وحرية العقيدة وحرية التعلم وحرية الصحافة، ثم حرية المجتمع أو الاجتماع، وهذا يعنى أنه قد أصبح من حق الإنسان أن ينشئ جمعيات أو يعقد اجتماعات. يضاف إلى ذلك مجموعة الحريات الاقتصادية التى تضم حق الملكية وحق التصرف وحرية التجارة والصناعة .ثم حرية الحقوق والواجبات الاجتماعية، وتشمل حق العمل، والحق فى الراحة والفراغ، والحصول على معونة من الدولة عند الشيخوخة أو العجز.

لقد أصبحت هذه الحقوق من السمات المميزة للمجتمع الغربى وصارت حقوق الإنسان اليوم مادة أساسية فى القانون الدولى، بل وصارت فرعاً قائماً بذاته فى الدراسات الإنسانية والقانونية الحديثة، وقد عُقدت المؤتمرات الكثيرة والبحوث المتعددة حول هذا الموضوع؛ بل حول مفردات هذه الحقوق والأشخاص الذين يتعلق بهم الحق فهناك حق المرأة، وحق الطفل، وحق العامل... الخ(٧).

الأديب الإنجليزى هكسلى (١٨٩٤ ـ ١٩٦٣)

وربما يكون من باب الترويح عن النفس أو تعزيتها أو السخرية منها، أن ألتقط بعض الكلمات التى وردت على لسان بعض شخصيات الروائى والمفكر الإنجليزى الشهير هكسلى فى روايته «عالم رائع جديد» وهى من روايات الخيال العلمى، حيث قال موند للهمجى بجسارة «فى الحقيقة، إنك تطالب بحقك، فى أن تكون غير سعيد». رد الهمجى بجسارة: «لا بأس إذن، أن أطالب بحقى فى أن أكون غير سعيد» «هذا فضلا عن أن تغدو عجوزاً قبيحاً وضعيفا. وإن لك الحق فى المعاناة من الأمراض، الحق فى أن يكون لديك القليل لتأكله، الحق فى أن تعيش فى خوف دائم مما قد يحدث غداً، الحق فى أن تقع فريسة للآلام من كل نوع». ثم أضاف الهمجى: «أنا أطالب بكل ذلك». فرد عليه موند قائلا: «أهلا بك»(٨).

أقول يبدو أن من حق العالَم الثالث (هكذا صنفوه) أن يظل فقيراً، مريضا، منهوباً، متخلفاً، وأن يكون ضحية للظلم والاضطهاد.

وما لم يغير المسلمون أنفسهم، فإن الله لن يُغَيّر ما هم فيه من عبث ومشقة، لأن الله تعالى لا يتولى عنا عملاً كلّفنا أن نقوم به وأن نحسنه ﴿...إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ...﴾ الرعد: آية ١١.

الهوامش:

١ ـ مقاييس اللغة مادة حق

٢ ـ القلقشندى. صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٣، الهيئة العامة لقصور الثقافة٢٠٠٤م.

٣ ـ انظر تفسير البيضاوى. تفسير الآيات المذكورة، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهانى ٢٤٦، ٤٦٧ .

٤ ـ انظر كتاب الأربعين فى أصول الدين-بيروت دار الآفاق الجديدة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢ ص ٥٦ .

٥ ـ انظر الشاطبى ـ الموافقات فى أصول الشريعة جـ٢ ص ٢٨٤-٢٨٥ .

(6) Human Rights and Freedom. London. N.D. P.137، وإبراهيم المرزوقى .حقوق الإنسان فى الإسلام .ص ٤٢٤ .

٧ ـ انظر ثروت بدوى، النظم السياسية- ص٤١٦ وم ـ الوجيز فى حقوق الإنسان وحرياته الأساسية ـ غازى صارينى ص٢١٧ ـ الوسيط فى القانون الدولى العام ـ ص٢٦١ ـ حقوق الإنسان بين الشريعة والقانون ـ منير بياتى.

٨ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٢ص٢٥٦.

دراسات فى المكتبة القرآنية:

تأويل مشكل القرآن «لابن قتيبة»

أ.د/ محمد الدسوقى

لابن قتيبة عدة مؤلفات فى الدفاع عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ضد ما أثاره الزنادقة والذين ادعوا على القرآن والحديث التناقض والاختلاف، وابن قتيبة هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، ولد سنة: ٢١٣هـ بالكوفة على الرأى الراجح، ثم سكن بغداد، وقضى معظم حياته فيها، وأخذ عن علمائها ـ وهى فى أوج مجدها العلمى ـ علوم الحديث والتفسير والفقه واللغة والنحو والأدب والأخبار.

ولم يكن ابن قتيبة يأخذ العلم عن الشيوخ فحسب، أو يقصر ثقافته على علوم الدين والعربية، فقد قرأ علوم الهنود واليونان والفرس، وقرأ التوراة والإنجيل وأفاد منها فى كتبه، وبخاصة فى عيون الأخبار، وتأويل مشكل الحديث، وتأويل مشكل القرآن والمعارف، وكان بجانب الأخذ عن الشيوخ يستعين بمن يترجم له ما لا يعرفه من اللغات.

لقد كانت ثقافة ابن قتيبة تمثل كل ألوان المعرفة فى عصره، ذلك العصر الذى يعد عصر النهضة الفكرية والعلمية فى العالم الإسلامى، وهذه النهضة كانت الأساس الراسخ للثقافة الإسلامية فى عصورها المختلفة، فقد وضعت أسس كل العلوم تقريبا فى عصر ابن قتيبة، وقلّ أن نرى علما إسلاميا نشأ بعده، ولم يكن قد وضع فى هذا العصر.

وأعان ابن قتيبة على ما بلغ إليه من غزارة المعرفة، واتساع الثقافة وتنوعها ذكاء قوى، وطبع سليم، وفهم فى العلم الدقيق، فلا غرو أن أصبح مثالا للعالم المسلم الممتاز فى القرن الثالث الهجرى.

توفى ابن قتيبة سنة: ٢٧٦هـ فهو قد عاش نحو ثلاثة وستين عاما ولكنه فى هذا العمر القصير نسبيا كتب ثروة علمية تشهد له بأنه قضى حياته كلها جهادا موصولا فى البحث والدرس والتحصيل والتأليف، وأنه من ثم أسهم بنصيب موفور فى أوجه النشاط الثقافى التى عرفها عصره، ولقد خلف ابن قتيبة مؤلفات بلغ تعدادها ثلاثمائة مصنف، وبعض هذه المصنفات من عدة أجزاء كعيون الأخبار وغريب الحديث، وقد فقدت معظم مؤلفات هذا العالم، ولم يصلنا منها إلا نحو عشرين كتابا، وهذه المؤلفات باتفاق كلمة العلماء والمؤرخين من خير ما ألف فى بابها، فكل منها فى موضوعه مصدر أصيل، ولذلك ذاعت شهرتها بين العامة والخاصة والشرق والغرب، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن أهل المغرب كانوا يعظمون ابن قتيبة ويقولون: كل بيت ليس فيه شىء من تصنيفه لا خير فيه.

وهذه المؤلفات إلى جانب أصالتها يسودها الطابع اللغوى والأدبى، فقد كان ابن قتيبة يستعين باللغة ونصوصها فى توضيح آرائه والرد على خصومه وهذا يؤكد بأن الرجل كان إماما ضليعا فى اللغة والأدب، وأنه عول عليهما فى مصنفاته

فجاءت مزاجا من البحث العلمى والدرس اللغوى والأدبى، كما أنها تمثل معارف القرن الثالث الهجرى، ويغلب عليها التنسيق والوحدة والموضوعية..

مشكل القرآن:

هذا الكتاب كما أومأت آنفا كتبه ابن قتيبة للرد على الذين أثاروا بعض الشبهات والشكوك حول ما جاء فى كتاب الله، وقد ورد فى مقدمة هذا الكتاب ما يوضح الغاية من تأليفه، قال ابن قتيبة: وقد اعترض كتاب الله بالطعن ولغوا فيه وهجروا، أى قالوا قولا فاحشا، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله بأفهام كليلة، وأبصار عليلة، ونظر مدخول، أى فاسد، فحرفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوا عن سبيله، أى حادوا ومالوا، ثم قضوا عليه بالتناقض والاستحالة فى اللحن وفساد النظم، والاختلاف وأدلوا فى ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف القحر، والحدث الغر، والقحر هو الذى لا تجربة عنده، ولا دراية له، والغرّ هو من يخدع إذا خدع.. ثم يقول: فأحببت أن أنضح عن كتاب الله.. بالحجج النيرة والبراهين البينة، واكشف للناس ما يلبسون فألفت هذا الكتاب جامعا لتأويل مشكل القرآن، مستنبطا ذلك من التفسير، زيادة فى الشرح والإيضاح وحاملا مالم أعلم فيه مقالات لإمام مطلع على لغات العرب لأرى به المعاند موضع المجاز وطريق الإمكان من غير أن أحكم فيه برأى، أو أقضى عليه بتأويل.

ولم يجز لى أن أنص بالإسناد إلى من له أصل التفسير، إذ كنت لم أقتصر على وحى القوم حتى كشفته، وعلى إيمائهم حتى أوضحته، وزدت فى الألفاظ ونقصت وقدمت وأخرت وضربت لبعض ذلك الأمثال والأشكال حتى يستوى فى فهمه السامعون.

وابن قتيبة فى هذا النص يحدثنا عن أمور ثلاثة:

أولا: موقف هؤلاء الملحدين والمفسدين الذين ظنوا أنهم بما يقترفون ويدعون سينالون من كتاب الله، أو يصرفون الناس عنه، أو يلقون فى قلوبهم الشك من جهته، وبخاصة أولئك الذين ليس لديهم تجربة أو دراية تجعلهم لا ينخدعون بما يموه به هؤلاء المضللون من زخرف القول وباطله.

مشكل القرآن
كتاب أضاء الطريق لمعرفة أنواع المجاز وتبويبها

ثانيا: الدفاع عن كتاب الله ضد تلك المزاعم الفاسدة، وهو دفع ينهض على براهين ساطعة وأدلة دامغة تكشف الزيف وتدحض الباطل وتحق الحق، إنه دفاع عالم متمكن من لغة الكتاب العزيز، ومن أوجه صور البيان فى العربية، ليكون الرد مفحما لمن عاند وكابر، فلا تصبح لدعاوى هؤلاء المفسدين حجة تقوم وتنهار كل الشبهات التى روجوا له، وبذلك يذهب الزبد جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض.

ثالثا: المنهج العلمى الذى أخذ به ابن قتيبة فى عرض آراء خصومه: إنه يذكر أنه لم يلتزم فى إيراد هذه الآراء النص، وإنما تصرف فيه، وهو تصرف لم يغير من الجوهر شيئا، وأنه إلى هذا ساق بعض الأمثال والنظائر حتى يفهم الجميع ما يقول، إنها الأمانة العلمية التى كان ابن قتيبة علما من أعلامها والتى كان بها صورة من صور لا تحصى لعلماء الإسلام عبر عصور التاريخ فى

أخذهم بأصول المنهج العلمى فى التحليل والمناقشة والرد، والنقض، وهم بهذا سبقوا كل المفكرين فى العالم، فلم يعرف هؤلاء المفكرون أصول المنهج العلمى فى البحث والدرس إلا فى العصر الحديث.

وقد حدد ابن قتيبة مفهوم المتشابه والمشكل فقال: وأصل التشابه أن يشبه اللفظُ اللفظَ فى الظاهر والمعنيان مختلفان، قال الله - عز وجل - فى وصف ثمر الجنة: **﴿وأتوا به متشابها﴾** أى متفق المناظر مختلف الطعوم، وقال: **﴿تشابهت قلوبهم﴾**، أى يشبه بعضها بعضا فى الكفر والقسوة، ومنه يقال: اشتبه علىّ الأمر، إذا اشتبه غيره فلم تكد تفرق بينهما، وشبهت علىّ: إذا لبّست الحق بالباطل، ثم يقال لكل ما غمض ودق متشابه وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره، ثم قال: ومثل المتشابه: المشكل، وسمى مشكلا، لأنه أشكل، أى دخل فى شكل غيره، فأشبهه وشاكله ثم قد يقال لما غمض - وإن لم يكن غموضه من هذه الجهة أى جهة المشابهة - مشكل.

وفى مقدمة كتاب مشكل القرآن تحدث ابن قتيبة عن القرآن الذى أنزله الله فيما مفصلا بينا، والذى شرفه وكرمه ورفعه وعظمه.. وجمع الكثير من معانيه فى القليل من لفظه، ثم ساق بعض الآيات التى تدل دلالة واضحة على حقائق الكتاب العزيز وتفرده بالبلاغة والفصاحة التى أعجزت أرباب القول وفرسان القريض.

وبعد هذه المقدمة أورد بابا ذكر فيه العرب وما خصهم الله به من العارضة والبيان واتساع المجاز، قال فى مستهله: وإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها فى الأساليب، وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس فى جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة والبيان واتساع المجاز ما أوتيته العرب خصيصى من الله لما أرهصه فى الرسول، وأراده من إقامة الدليل على نبوته بالكتاب.

وتحدث بعد ذلك عن معجزات بعض الأنبياء، وانتقل من هذا إلى الحديث عن طرف من خصائص العربية، وما امتازت به وربط بين ما تحدث عنه وما جاء فى كتاب الله من ضروب التعبير، وأوجه البيان واستخلص من هذا أن ترجمة القرآن إلى غير العربية أمر غير مستطاع، ولا يقدر عليه أحد من المترجمين بخلاف الكتب التى نزلت قبل القرآن، فقد ترجمت إلى غير اللغات التى نزلت بها.

وأخذ ابن قتيبة بعد حديثه عن العربية وما امتازت به يحكى ما جاء عن الطاعنين والمشككين من شبهات وسرد بعض هذه الشبهات ثم قال: وقد ذكرت الحجة عليهم فى جميع ماذكروا وغيره مما تركوا وهو يشبه ما أنكروا ليكون الكتاب جامعا للفن الذى قصدت له، ولأن الطاعنين كانوا يثيرون الشبهات حول بعض الألفاظ الغريبة فى القرآن آثر ابن قتيبة أن يفرد الغريب بكتاب كى لا يطول مشكل القرآن وليكون على حد تعبيره متصورا على معناه، خفيفا على من قرأه إن شاء الله تعالى.

وإذا كان ابن قتيبة قد أجمل شبهات الطاعنين فإنه بعد ذلك أخذ يعرض لكل منها بشىء من التفصيل، فتحدث عن وجوه القراءات وما فيها من الاختلاف مبينا خطأ التأويل فى قول رسول الله ﷺ نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف فاقرأوا كيف شئتم، وبين أن تأويله أن القرآن نزل على سبعة أوجه من اللغات متفرقة فى القرآن، ثم بين وجوه الاختلاف فى القراءات وأرجعها إلى سبعة أوجه، وأن كل هذه الوجوه نزل بها الوحى.

وأما ما ادعى على القرآن من اللحن فهو باطل من القول، والذين ذهبوا إليه خلطوا بين بعض الكتاب أو القراء وبين قراءة رسول الله ﷺ وخيار السلف والتابعين والقراء العالمين فتمسكوا

بشبهات لا أساس لها، وظنوا أنهم قد وقعوا فى كتاب الله على لحن أو مخالفة لقواعد العربية ولكنهم ذهبوا بعيدا، وظنوا ظنا فاسدا، فالقرآن كتاب أحكمت آياته لا يعرف نقصا أو زيادة أو لحنا.

وعقد ابن قتيبة بابا للتناقض والاختلاف فى القرآن كما يدعى المبطلون وبين أنه لا اختلاف ولا تناقض فى كتاب الله، فمثلا يذهب المبطلون إلى أن قول الله تعالى فى سورة الرحمن: **﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾**، يتناقض مع ما جاء فى سورة الحجر: **﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾** ويرد ابن قتيبة على هذه الشبهة قائلا: إن يوم القيامة يكون كما قال الله تعالى: **﴿مقداره خمسين ألف سنة﴾** ففى هذا اليوم يسألون وفيه لا يسألون، لأنهم حين يعرضون يوقفون على الذنوب ويحاسبون فإذا انتهت المسألة ووجبت الحجة.. **﴿وانشقت السماء فكانت وردة كالدهان﴾**، وانقطع الكلام، وذهب الخصام، واسودت وجوه قوم، وابيضت وجوه آخرين، وعرف الفريقان بسيماهم وتطايرت الصحف من الأيدى فأخذ ذات اليمين إلى الجنة، وأخذ ذات الشمال إلى النار.

وقد تتبع ابن قتيبة فى هذا الباب ما ظنه المبطلون تناقضا واختلافا وهو ليس كذلك، وبين وجه الصواب والحق فيما أثاروه المبطلون والملحدون من أوجه التناقض والاختلاف.

وكان الباب الثانى خاصا بالمتشابه، وقد أورد فى أوله تساؤل المبطلين قال: وأما قولهم ماذا أراد بإنزال المتشابه فى القرآن من أراد بالقرآن لعباده الهدى والتبيان، وجاء جواب ابن قتيبة أن القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها ومذاهبها فى الإيجاز والاختصار والإطالة، والتوكيد والإشارة إلى الشىء، وإغماض بعض المعانى حتى لا يظهر عليها إلا اللقن أى سريع الفهم، وإظهار بعضها، وضرب الأمثال لما خفى.

ولو كان القرآن كله ظاهرا مكشوفا حتى يستوى فى معرفته العالم والجاهل لبطل التفاضل بين الناس، وسقطت المحنة، أى الابتلاء والاختبار، وماتت الخواطر ثم قال: ولو كان كل فن من العلوم شيئا واحدا لم يكن عالم ولا متعلم، ولا خفى، ولا جلى، لأن فضائل الأشياء تعرف بأضدادها فالخير يعرف بالشر، والنفع يعرف بالضر، والحلو بالمر والقليل بالكثير، والصغير بالكبير والباطن بالظاهر.

وعلى هذا المثال كلام رسول الله ﷺ وصحابته والتابعين وأشعار الشعراء وكلام الخطباء ليس منه شىء إلا وقد يأتى فيه المعنى اللطيف الذى يتحير فيه العالم المتقدم، ويقر بالقصور عنه النقاب المبرز، ثم ساق بعض النماذج من أحاديث رسول الله ﷺ وكلام العرب وأشعارهم موضحا ما اشتمل عليه من المعانى التى لا يسبر غورها إلا العلماء المنقبون، وانتهى من هذا الباب بأن المتشابه فى القرآن يعلمه الراسخون فى العلم، فالله لم ينزل شيئا من القرآن إلا لينفع به عباده، ويدل به على معنى أراده، ولذلك لم نر المفسرين توقفوا عن شىء من القرآن فقالوا هذا متشابه لا يعلمه إلا الله بل أمروه كله على التفسير حتى فسروا الحروف المقطعة فى أوائل السور مثل: الر، وحم، وطه، وأشباه ذلك.

وتحدث ابن قتيبة بعد هذا فى أبواب ثمانية عن المجاز والاستعارة، والمقلوب والحذف والاختصار وتكرار الكلام، والزيادة فيه والكناية والتعريض ومخالفة ظاهر اللفظ معناه، وباب فى تأويل الحروف التى ادعى على القرآن بها الاستحالة وفساد النظم.

وابن قتيبة فى كل هذه الأبواب ينطلق من أن القرآن جاء على سنن العربية وأن لغة العرب عرفت كل هذه الأبواب، ويورد شاهدا على ذلك

من النصوص الشعرية، ففى تأويل قوله تعالى: **﴿يوم يكشف عن ساق﴾**، قال: عن ساق، أى شدة من الأمر وأصل هذا أن الرجل إذا وقع فى أمر عظيم يحتاج إلى معاناته والجد فيه شمر عن ساقه فاستعيرت الساق فى موضع الشدة، قال دريد بن الصمة:

كميش الإزار خارج نصف ساقه

صبور على الجلاء طلاع أنجد

وبعد أن انتهى من تلك الأبواب الثمانية مبطلا ما ورد بكل باب من الشبهات التى أخذ بها الطاعنون، وحاولوا بها التشكيك فى بلاغة القرآن أو فصاحته عرض لبعض آيات من كتاب الله وفسرها تفسيرا ينفى عنها اللبس والإشكال الذى قد يخطر ببال من يقرأ القرآن، وهو فى هذا التفسير لم يلتزم ترتيب السور، ومع هذا شرح بعض قصار السور كلها ومنها سورة الجن وعلل لهذا بقوله: فى هذه السورة إشكال وغموض، ربما وقع فيها من تكرار أن واختلاف القراء فى كسرها ونصبها، واشتباه ما فيها من قول الله تعالى وقول الجن، فاحتجنا إلى تأويل السورة كلها.

فابن قتيبة يؤول ويشرح ما فيه اشتباه وغموض، ومن ثم اقتصر على آيات من بعض السور، وقد بلغ عدد السور التى فسر بعض آياتها نحو خمسين سورة.

فى سورة الفرقان فسر قوله تعالى: **﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا* ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا﴾** الفرقان: الآيتان ٤٥، ٤٦، قال: امتداد الظل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، كذلك قال المفسرون ويدل عليه أيضا قوله فى وصف الجنة: **﴿وظل ممدود﴾**، أى لاشمس فيه، كأنه ما بين هذين الوقتين، ولو شاء لجعله ساكنا، أى مستقرا دائما حتى يكون كظل الجنة التى لا تنسخه الشمس، **«ثم جعلنا الشمس عليه دليلا»**، يقول: لما طلعت الشمس دلت عليه وعلى معناه، وكل الأشياء تعرف بأضدادها، فلولا الشمس ما عرف الظل، ولولا النور ما عرفت الظلمة، ولولا الحق ما عرف الباطل، وهكذا سائر الألوان والطعوم، قال الله - عز وجل -: **﴿ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾** الذاريات: آية ٤٩، يريد ضدين ذكرا وأنثى وأسود وأبيض وحلوا وحامضا وأشباه ذلك.

«ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا» يعنى الظل الممدود بعد غروب الشمس، وذلك أن الشمس إذا غربت عاد الظل الممدود، وذلك وقت قبضه، وقوله: **«قبضا يسيرا»** أى خفيا، لأن الظل بعد غروب الشمس لا يذهب كله دفعة واحدة، ولا يقبل الظلام كله جملة، وإنما يقبض الله - عز وجل - ذلك الظل قبضا خفيا شيئا بعد شىء، ويعقب كل جزء فيه بقبضه بجزء من سواد الليل حتى يذهب كله، فدلل الله - عز وجل - بهذا الوصف على قدرته فى معاقبته بين الشمس والظل والليل لمصالح عباده.

وبعض المفسرين يجعل قبض الظل بنسخ الشمس إياه ويجعل قوله: **«قبضا يسيرا»**، أى سهلا خفيفا عليه، وعقب ابن قتيبة على هذا بقوله: وهو وجه غير أن التفسير الأول أجمع للمعانى وأشبه بما أراد.

وعلى هذا النحو فسر ابن قتيبة بعض آيات من الذكر الحكيم، وهى الآيات التى رأى أن المبطلين بما أثاروا حولها الافتراءات، فأراد أن يبين تأويلها، ويرد على هؤلاء زعمهم الفاسد، وقولهم الساقط.

وقد تفاوت نفس ابن قتيبة من حيث الطول والقصر فى شرحه للآيات، ولعل مرد هذا إلى أن ما أوجز القول فيه لم يكن فيما يرى فى حاجة إلى مزيد من التفصيل والبيان، وأما الأبواب التى ختم بها ابن قتيبة كتاب تأويل مشكل القرآن فثلاثة: عرض فى الباب الأول منها إلى اللفظ الواحد ذى المعانى المختلفة، وفسر فى الباب الثانى حروف المعانى وما شاكلها من الأفعال التى لا تتصرف،

وخص الباب الثالث والأخير لدخول بعض حروف الصفات مكان بعض، وقد أورد فى الباب الأول أربعة وأربعين لفظا بدأها بلفظ القضاء وختمها بلفظ الأمر، وهو فى كل لفظ يبين دلالته التى وردت فى القرآن الكريم، مستشهدا أحيانا ببعض النصوص الشعرية، ويذكر فى مستهل كلامه عن كل لفظ غالبا دلالته اللغوية، ثم ما يتفرع عن هذه الدلالة، ويشير أحيانا فى نهاية كلامه إلى أن كل دلالات اللفظ ترجع إلى أصل واحد، وهو ما ذكره أولا.

فى لفظ الأمة قال: أصل الأمة الصنف من الناس والجماعة كقوله عز وجل: **﴿كان الناس أمة واحدة﴾**، أى صنفا واحدا فى الضلال فبعث الله النبيين، ثم تصير الأمة الحين كقوله - عز وجل -: وادكر بعد أمة، ثم تصير الأمة الإمام والربانى كقوله تعالى: **﴿إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا﴾** النحل: آية ٢٠، أى إماما يقتدى به الناس، لأنه ومن اتبعه أمة، فسمى أمة لأنه سبب الاجتماع.

وقد يجوز أن يكون سمى أمة، لأنه اجتمع عنده من خلال الخير ما يكون مثله فى أمة، ومن هنا يقال: فلان أمة وحده، أى هو يقوم مقام أمة.

وقد تكون الأمة جماعة العلماء كقوله: **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير﴾**، والأمة الدين، قال تعالى: **﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾** أى على دين، قال النابغة:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة

وهل يأثمن ذو أمة وهو طائع

(أى ذو دين).

وفى الباب الثانى وهو الذى عقده لتفسير حروف المعانى وما شاكلها من الأفعال التى لا تتصرف فقد فسر فيه سبعة وثلاثين حرفا، بدأها **بـ«كأين» وختمها بـ«لدن»**، ففى حرف أنى قال: أنى يكون بمعنيين: يكون بمعنى كيف، قال تعالى: **﴿أنى يحيى هذه الله بعد موتها﴾**، أى كيف يحييها، وقوله: **﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾** أى كيف شئتم ويكون بمعنى من أين قال تعالى: **﴿قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾**، وقوله: **﴿أنى يكون له ولد﴾** والمعنيان متقاربان، يجوز أن يتناول فى كل واحد منهما الآخر.

وفى الباب الثالث والأخير تحدث ابن قتيبة عن دخول بعض حروف الصفات مكان بعض، وفى هذا الباب عرض لخمسة عشر حرفا، أولها فى وآخرها الباء، قال عن فى بأنها تدخل مكان على كما فى قوله تعالى: **﴿ولأصلبنكم فى جذوع النخل﴾** أى على جذوع النخل.

وبعد فإن كتاب «تأويل مشكل القرآن» يعد ثمرة طيبة من ثمار ذلك الدفاع العلمى الذى أبلى فيه ابن قتيبة بلاء حسنا، وقد سلك فى هذا الكتاب مسلكا لم يسبق به، وتناول قضايا كثيرة مهمة بعقلية علمية وأسلوب رصين فكانت لمن أتى بعده نورا أضاء الطريق للبحث والدرس، فما كتبه فى أنواع المجاز وتبويبها أبوابا مفصلة كان مادة علمية انتفع بها ابن المعتز فى كتابه: البديع، وما جاء عن اللفظ الواحد ومعانيه مختلفة له قيمة تاريخية عظيمة، فقد أرجع ابن قتيبة المعانى المختلفة للفظ الواحد إلى أصل واحد نشأت منه وتفرعت عنه، وهو بهذا سبق علماء اللغة كابن جنى وأبى على الفارسى وابن فارس الذى اعتمد على تأويل مشكل القرآن فى كتابه مقاييس اللغة، كل الاعتماد، وانتفع بمباحثه انتفاعا كبيرا، ونقل منها إلى كتابه نقولا كثيرة، وإن لم يشر غالبا إلى ذلك.

إن ابن قتيبة فى تأويل مشكل القرآن مفسر وعالم لغوى وبلاغى غزير المادة، وقد ظل كتابه حتى الآن مرجعا أصيلا فى موضوعه، فضلا عما امتاز به هذا الكتاب من السبق التاريخى والدراسة العلمية الجادة والدفاع المنهجى المتميز عن كتاب الله ضد المحرفين للكلم عن مواضعه، والذين ظنوا أنهم بهرائهم وافترائهم سينالون من هذه المعجزة الخالدة، والتى لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، ولكن هيهات؟

رحم الله ابن قتيبة وجزاه عما قدم لدينه ولغة القرآن خير الجزاء.

هذا هو العيد

شعر الدكتور / عبد الحميد إبراهيم بركات أبو سعدة

سلمت أمرى لرب العرش مولانا ... مدبر الأمر سوانا وأحيانا
سلمت أمرى لمن أحيا ومرجعنا ... يوم الوفاة بلا عود لدنيانا
إنى إلى الله أرجو أن يسامحنا ... ويغفر الذنب في الدنيا وأخرانا
أشكو إلى الله من جاروا ومن ظلموا ... والناكثين لعهد ثم من خانا
هذا هو العيد يأتى كى يمتعنا ... ويجعل الفرح بشرا في محيانا
هذا هو العيد يا قومى فلا تهنوا ... أو تحزنوا دائما فالله يرعانا
لعل صوما بصبر قد تعلمتم ... أو صنتم الحق إسلاما وإيمانا
صوموا تصحوا ولاتسعوا لمعصية ... وأحسنوا في أداء الحق إحسانا
إن الصيام صيام عن محارمه ... وأن تعيشوا عباد الله إخوانا
فغاية الصوم تقوى الله فى ورع ... وليس جوعا وتعذيبا وحرمانا
وليس جوعا لجوف ثم نتخمه!! ... ويقبل العيد والأمراض تغشانا
أكل وشرب ولا إسراف فانتبهوا ... وقد تلوتم كتاب الله قرآنا
هذا هو العيد لا تنسوا من افتقروا ... ولم يمدوا يدا للناس حرمانا
لا تجعلوهم أسارى ذل مسغبة ... بل فاجعلوا عيدهم بالفرح ملآنا
هلا وصلتم بحب من ذوو رحم ... حتى تصيروا لحب الود عنوانا
الله يأمرنا دوما لصالحنا ... بالعدل حقا وبالإحسان أوصانا
الله ربى له الطاعات قد وجبت ... وللرسول وذي عدل لدنيانا
سيروا إلى الله بالطاعات أجمعها ... وقدموا الصدق والإخلاص برهانا

«محنة شاعر»
يزيد بن مفرغ الحميرى

د. محمد رجب البيومى

-١-

دخل عمر بن عبيد الله على الأحنف بن قيس فوجده على غير عادته صامتا تلوح فى وجهه أمارات الضيق، وعهده به طلق الأسارير، متفتح النفس، تفدحه الكوارث فلا تغير من طبيعته الراضية، فظن أن شرا كبيرا قد حاق بأعز الناس لديه، فهو مشغول بما نزل، فأراد أن يعرف دخيلته، وكان ذا حظوة لديه فابتدره قائلا:

مالك ياأبا بحر على غير عادتك ساهما كاسف البال، وكنت تلاقى الأهوال الفادحة فى ساحة الحرب فيضحك سنّك، ويبش وجهك! ماذا حلّ؟

فنظر الأحنف إلى صاحبه وقال فى هدوء: ما اعتدت أن أخذل أحدا استجار بى إلا اليوم فقد رددت سائلى مقهورا، وما درى أنى أشد قهرا منه، حين عجزت عن حمايته، وكأنه لم يأت إلى سيد بنى تميم!

قال عمر: أفصح ياأخى فقد يكون لى رأى فيما تقول:

فاعتدل الأحنف فى مجلسه، ووجه نظره إلى صاحبه، ثم قال متأملا: حضر إلىّ اليوم يزيد بن المفرغ الحميرى، وهو من هو؟ بلاغة قول، وجراءة لسان، وشجاعة قلب، لأجيره من أمير البصرة عبيد الله بن زياد، فضاقت الدنيا فى وجهى لأنى أعرف شدة عبيد الله، وأعلم أنى إذا استشفعت لم أشفع، فماذا أصنع؟

قال عمر: لقد جاءنى قبل أن يأتى إليك، وقلت له، إنك كنت ذا حمق، حين هجوت أخاه عبادا أبشع الهجاء، ثم سببت أباه، وهو أبو عبيد الله بن زياد، وتجاوزت فسببت زيادا الكبير، ومعاوية أمير المؤمنين، ويزيد ابنه، ولا رأى يعلو عنده فوق رأى عبيد الله وأخيه عباد! لقد اقتحمت عرين الأسد دون مبالاة، فلابد أن يفترسك بأنيابه، وإذا احتميت بغيرك فلن يصد هجوم أمير البصرة، بل لن يصد نقمة أمير المؤمنين!

قال الأحنف، لقد حدثتنى نفسى أن أرحل إلى دمشق، لأسترضى يزيد عنه، ولكنى علمت أن الخليفة يعرف أنى من أنصار على - كرم الله وجهه - وقد قابلت جيوش أمية يوم صفين بما أحدث الزلزال فى جيش الشام، ولولا خدعة التحكيم ما قام لمعاوية سلطان، أترانى بعد علويتى الصارخة أهلا لأن يستجيب لى يزيد؟

قال عمر، وقد جدّ من الأحداث ما أكد انحرافك عن يزيد، فهو يعلم أن شيوخ القبائل قد سعت إليه مهنئة بالخلافة، وفيهم الخطيب المتحمس، والشاعر المالئ، ولكن شيخ بنى تميم لم يرحل مع المهنئين، فأسرها فى نفسه دون نزاع.

فرد الأحنف يقول: يعرف يزيد عنى أكثر من هذا، فقد كان حاضرا مجلس أبيه، حين سألنى عن كفايته لإمارة المؤمنين من

بعده، فسكت، فقال معاوية: لماذا لا تنطق ياأبا بحر فقلت إن أرضيتك أغضبت الله، وإن أغضبت الله أرضيتك، ورضا الله فوق رضى أمير المؤمنين.

فتبسم معاوية عن ضيق، وقال: لقد أعفيناك من الإجابة ياأبا بحر؟

فضحك عمر، وقال وهل أنت لم تجب؟ لقد أوضحت الأمر بجلاء، فكيف يعفيك إذن من الجواب؟

فقال الأحنف: إنه معاوية، وأنت أدرى، ثم ساد الصمت قليلا ليقطعه عمر بن عبدالله بقوله: وماذا دفع يزيد بن المفرغ إلى هجاء عبادّ؟

فشخص الأحنف ببصره إلى صاحبه، وقال كأنك لا تعلم كثيرا من أمرهما، وقد جاءك يزيد مستشفعا، ولابد أنه روى فأشبع، وتكلم فأطال.

قال عمر، الحق أنه لم يجد لدى مجالا للقول، لأننى حين علمت أنه يريد شفاعتى عند عبيد الله سددت عليه الطريق، لا ضيقا به، بل لمعرفتى الأصيلة بطبيعة ابن زياد.

قال الأحنف، إن كنت لا تعرف ما كان من شأن يزيد مع آل أبى سفيان، فاسمع فضحك عمر وقال تقول أنت أيضا مع آل أبى سفيان كأن ابن سمية وأولاده قد صاروا حقيقة من بنى عبد شمس.

فرد الأحنف، دعك من هذا، واستمع إلى ماكان، لقد كان يزيد بن المفرغ شاعرا أثيرا لدى سعيد بن عثمان بن عفان، يخصه بعطفه وجاهه، ويستمع إلى مدائحه مقدرا، ثم خف إلى ولاية خراسان فعرض عليه أن يصحبه إلى مقر إمارته، ولو كان الشاعر سديد النظر، حسن التقدير، لما ارتضى بغيره بديلا، ولكن عباد بن زياد تولى إمارة سجستان وعرض عليه أن يصحبه فسرعان ما استجاب!

قال عمر: ويح يزيد لقد أغضب سعيدا بعد أن رعاه واجتباه.

فقال الأحنف لم يغضبه فى شىء، بل كان سعيدا حليما مسامحا، وقد قال ليزيد فى عطف، أعرف أن عبادا متغطرس صلف، ومثله لن يعاملك كما ترى من معاملتى، فإذا لم ترتح إليه، فهلم إلىَّ، وما أقرب خراسان من سجستان.

فقال عمر: سعيد كريم ابن كريم! والحق أن هذه أخلاق عثمان بن عفان أمير المؤمنين، فكيف استبدل يزيد به سواه؟

قال الأحنف: ادّعى لنفسه الفراسة وبعد النظر، فقال إن يزيد بن معاوية، يفضل آل زياد عن آل عثمان، وأن الكلمة لهم وحدهم، فأمرهم نافذ، وكلمتهم فى دمشق ذات نهى وأمر، أما سعيد فبينه وبين نفسه، يعلم أن معاوية لم يصل إلى الخلافة إلا لتمحكه بما يزعم من ثأر أبيه، وأن الذين انضموا إليه قد غضبوا لقتل عثمان حين موّه عليهم معاوية الأمر ففهموه على غير وجهه الصحيح، فهو يعد يزيد وأباه مغتصبين، وهما يعلمان فى قرارة نفسيهما ما يكن سعيد، ويحاولان استرضاءه، وهو مضطر إلى الإذعان، إذ لا ناصر لديه، أما آل زياد فى رأى ابن مفرغ فسيجعلونه شاعر الخلافة، ويدعونه صاحب حول وأتباع! هذا ما توهم، وقد غفل التغلغل فى طبائع الناس ليضع كل إنسان موضعه الصحيح.

ثم قال الأحنف: ولكى ننصف عبيد الله بن زياد نقول، إنه لم يرتح لصحبة عباد يزيد بن المفرغ، فدعا الشاعر ليقول له: لقد آثرت أخى عبادا، وتركت سعيد بن عثمان، وأخى عباد صلف تياه، وقد يشتغل عنك بما توجبه الإمارة من أعباء فلا تحاول أن تقول شعرا تهجوه به، فتلحقنا جميعا معرته، ولكن استئذن منه إذا أحسست ضيقا، وهلم إلى فسأرضيك! قال يزيد، هو ماترى أيها الأمير ولن أخالفك فى قول، ثم إن عبيد الله بن زياد دعا أخاه وقال له: لماذا تصحب يزيد، وهو شاعر طويل اللسان، ولست بفارغ له حتى تحوز إعجابه، إذا شئت أن تصرفه إلى صاحبه سعيد بن عثمان فافعل، فإن عارفى يزيد يؤكدون تسرعه

ونزقه، ولشعره سيرورة وانتشار، فماذا تصنع إذا غضب عليك، أتراه سيقتصر على هجائك وحدك، أم يمتد بالفحش إلى حيث لا نملك أن نمنع الأعداء من ترديد ما يقول! ولكن عبادا صمّم، ويزيد استجاب، فوقع الشر.

قال عمر: ألا أعلم كيف وقع؟

فأجاب الأحنف: رحل يزيد مع عباد وفى ظنه أنه سيكون أمين سره، وموضع نجواه، إذ آثره واجتباه، وبناء على هذا الظن توقع أن يجد لدى الأمير مكانة الآمر الناهى، فهو لا يقنع بما يرضى به شاعر يلزم ولى نعمته مستجيبا إلى إشارته، ولكنه اشرأب إلى أن يكون ذا جاه وحظوة ومال، وكأنى بعباد وقد لحظ ذلك فيما قرأه من أحوال صاحبه، فلم يشأ أن يرده إلى أرض الواقع فى رفق ولين، ولكنه مكر به، فجعله يسرف فى الآمال، وقد اشترى الرقيق، وجمع أفخر الثياب، واحتفظ فى مأكله ومشربه بطابع ذوى الميسرة من الأمراء، وكل ذلك على سبيل الديْن، إذ لا شئ فى يده، إذ قدر أن عبادا سيغدق عليه ما يملأ طموحه عيشا ومنزلة، ثم تطاولت الأيام عن شح ناضب، وكيد خفى، فأيقن الشاعر أنه خدع فى صاحبه، ولم يكن لديه حزم يمنعه أن يستر ما أكنّ، فأخذ ينتقد الأمير فى مجالسه، بل جعل يسخر بمظهره الشخصى، إذ كانت لعباد لحية مستطيلة تبلغ مكان ثديه، ثم هبت الريح فجعل شعرها ينتشر حتى حجب وجهه، وكتم الحاضرون ابتسامهم، ولكن يزيد قد أسر لمن يجاوره بقوله:

ألا ليت اللحى صارت حشيشا

فنعلفه خيول المسلمينا

وقد انتقل البيت إلى عباد، فصمت على غيظ، ثم حان وقت ركب فيه الأمير جواده، وانطلق سابقا زملاءه، فقال يزيد لبعض مجاوريه، سبق عباد، وصلت لحيته، وطار القول إلى عباد، فلم يشأ أن يؤاخذ الشاعر بما قال عنه، كيلا يتردد هزؤه بين الناس فتكون لحيته مصدر سخرية، ولكنه فكر فعلم أن الشاعر مدين لأهل سجستان من تجار وأثرياء، وأنه يعتز بعبد له يسمى بُردا، وبجارية تسمى الأراكة، فأوعز لدائنيه أن يطالبوه، وسيعجز عن السداد، وحينئذ يرفعون الأمر إليه، لينصفهم ممن أكل حقوقهم، وكان القوم يرغبون فى ذلك، ويخافون سطوة الأمير إن قاضوا شاعره، فحين وجدوا عبادا نفسه يدعوهم إلى المقاضاة أسرعوا مسرورين، ووقف الشاعر ذليلا يعتذر بضيق اليد، وأنه اتكل على عطف الأمير حين اقترض واشترى، فصاح عباد: وهل صحبتنى لتأكل أموال الناس بالباطل ثم تتعلل بانتمائك إلىّ! إما السداد العاجل، وإما السجن غير آجل، وليس لدى الشاعر ما يرضى غرماءه، فكان السجن!

لم يكتف عباد بسجن يزيد إذ كان فيه وحده شفاء لموجدته، ولكنه أمر أن يباع ما بمنزله من الأثاث سدادا للدين، وإذا كان قد جاءه أن (بردا) أثير لدى الشاعر لا يطيق فراقه، وأن الأراكة حبيبته التى لا يسلوها، فقد شاء إمعانا فى كيده، أن يبيع بردا ويبيع الأراكة، كما باع الأثاث ليكمل الانتقام على وجهه المهول، وجاء الخبر للشاعر فى سجنه، والقيود تصل فى يده، فكان فراق برد والأراكة صاعقة، نزلت عليه كأشد ما تكون الصواعق، وجعل يهذى ويبكى ثم يرسل الشعر ترويحا عن مأساته فيقول فيما قال:

فارقت بردا ولو ملكت صفقته

لما تطلبت فى بيع له رشدا

أما الأراك فكانت من محارمنا

عيشا لذيذا، وكانت جنة رغدا

ياليتنى قبل ما ناب الزمان به

أهلى لقيت على عدوانه الأسدا

قد خاننا عيش من لم نخش عثرته

من يأمن اليوم أم من ذا يعيش غدا

ويظهر أن حسرته على فراق برد كانت أشد وأنكى فقد عاود بكاءه أسفا على بيعه فى مقطوعات أخرى يقول فى إحداها:

لهفى على الأمر الذى
كانت عواقبه ندامه
تركى سعيدا ذا الندى
والبيت ترفعه الدعامهْ
وتبعت عبد بنى علا
جٍ تلك أشراط القيامهْ
وشريت بردا ليتنى
من بعد برد كنت هامهْ
هتافة تدعو صدى
بين المشقر واليمامهْ
فالهول يركبه الفتى
حذرا لمخازى والسآمه
والعبد يقرع بالعصا
والحر تكفيه الملامهْ

قال عمر: هى قصة غريبة؟ ولكن كيف خرج ابن المفرغ من السجن؟

فأجاب الأحنف، كان خلوه بنفسه فى ظلمات السجن الموحش باعث تفكير له، فيما أتى وما ترك، وقد أيقن أن لا نجاة بدون رضى عباد، فجعل يقول للسجان: لم يظلمنى الأمير فى شىء، أنا الذى قلت البيت والبيتين أحسب أنهما من باب الفكاهة المستملحة وقلت إن عبادا سمح النفس واسع الصدر، وسيغتفر لمثلى حين يتفكه بشىء لا معابة فيه، لأن كبر اللحية ليس بعيب، ولو كنت أعلم أنه موضع غميزة ما تجرأت على أن أقول شعرا يسلمنى لغضبه، أما إذا غضب فقد أيقنت أنه يرى مالا أرى، وله العذر حين يؤدبنى بالسجن! فإنه حر انتصر لنفسه من رجل تعدى طوره فأساء.

أخذ يزيد يكرر هذا المعنى، ويطنب فى مدح الأمير حتى بلغ عبادا ما قال، فعلم أنه رجع عن خطئه، وأدركته عليه رقة فأطلقه، وخرج يزيد ليكون فردا فى غمار الناس ولم يؤذن له أن يرد مجلس الأمير، وحسبه أن يأتيه رزقه يوما بيوم، وهذا ما يثقل عليه، فأخذ يحتال حتى هرب من سجستان، فلما رأى أنه أصبح بمنجاة من عباد، أخذ يردد الأشعار فى هجائه وهجاء آل زياد جميعا، ويكتب ما قال على جدران المنازل وأبواب المساجد ليتناقله الناس!

قال: عمرو، ويله لم يعتبر بما تقدمت به النذر من قبل، أنسى أن الدولة لأمية، وأن عبيد الله بن زياد سيد العراق، وإذا نجا من عباد فلن ينجو من عبيد الله، بل إذا نجا من عبيد الله فلن ينجو من يزيد، وقد سبّ أباه وجده.

فرد الأحنف، هذا ما أعجب له، وقد خاطبته فى سوء ما صنع، فقال إن الناس فى كل مكان ينزل به يشجعونه على هجاء القوم، فهم لهم كارهون، وقد أقبلوا على رواية شعره ونقلوه فى أوراقهم كيلا يضيع؟ فاندفع يقول دون اكتراث، وقد غرّه طول استماعهم إليه، وترحيبهم به، وفيهم من نقلوا الهجاء إلى عباد بسجستان وإلى عبيد الله بالعراق فأقسم ليقتلنه إذا ظفر به، وجاءنى اليوم ليستشفع بى لديه، وقد مضى زمن أبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ أيام كان الأحنف مشفعا لدى صحابة رسول الله ﷺ وعشت لأجد الأمر بيد ابن زياد، وقد تملأ غرورا فما ينثنى، أفأقدم شفيعا إلى رجل لا يعرف قيمة نفسه، فضلا عن أن يعرف قيمة الناس!

قال عمر، وعلى أى شىء عزم ابن مفرغ بعد أن يئس من شفاعتك!

قال الأحنف: عرضت عليه أن يذهب إلى المنذر العبدرى صهر ابن زياد، فعساه بمنزلته منه يحد من غربه قليلا!

فقال عمر: رأى مصيب، فماذا تم بعد ذلك!

فعجل الأحنف يقول: لم يكن رأيا مصيبا، لأن ابن زياد أدركته وضاعة منبته فسخر من صهره على الملأ، وقال فى غلظة إن كنت تدل على بمكانة ابنتك منى، فلا على إذا أعلنت طلاقها، لينقطع ما بينى وبينك من وداد، ولم يرحم مكان المنذر وهو رئيس قومه! ماذا عليه لو سكت. ثم خلا به،

ليفهمه فداحة ما ارتكب يزيد، بدل أن يخجل صهره أمام القوم! أفتدرى ما صنع المنذر بعد لقاء ابن زياد، لقد أغلق بابه عليه حزينا، وخجل أن يشافه الناس!

فقال عمر: المنذر رجل مروءة، وقد قام ملبيا هواتف النخوة فى صدره فإذا أخفق فلا ملام، وقد أطلت حديثى وحان أن أنصرف.

فرد الأحنف: إذا شئت فبسلامة الله.

-٢-

مضت سنوات وقتل عبيد الله بن زياد ومات عباد أخوه، ودعى الأحنف لزيارة الموصل على رأس فريق من بنى تميم، فتناهى إلى سمعه أن شاعرا كبيرا قد ملأ المدينة بشعره، وقد تزوج فتاة فارسية رائعة الجمال تسمى (أناهيد) فحملته من النفقات مالا يطيق، إذ خضع لسحرها الخالب، وكلما اشتدت عليه فى طلب المال إرضاء لحاجاتها التى لا تنفد جعل يستدين، وغرماؤه لا يتعجلونه خشية من أن يسلقهم بلسانه الحاد، وإذا كان لم يترك عبيد الله بن زياد فى عنفوان سلطانه، وسطوة جاهه، بل ذم أباه وذمه بأقسى ما يوجه من اللوم، أفيسكت عمن يلاحقونه بالسداد، ولا شىء معه! بل إنه يحاول أن يزيد الدين بما يكرر من الطلب، ثم قال قائلهم: إننا لنعجب من صاحب هذه الشاعرية الفذة كيف خضع لسلطان فتاة فارسية لم يطف بذهنها أن ترأف به، فتختصر ما تتطلبه من مرهقات المسكن والمطعم والملبس وكيف يستجيب لما تود دون إمهال.

سمع الأحنف ما يقال، فقال للقوم:

تقولون: إنه هجا آل زياد! ما اسمه إذن؟ فصاحوا: يزيد بن مفرغ الحميرى فقال: ما كنت أعلم أنه يسكن الموصل، وقد سمعت من زمن ماض أنه يتنقل فى ربوع الشام، أنذهب لزيارته أم تقومون بدعوته، وسيحضر سريعا حين يعرف أن الأحنف بالموصل، وأنه يدعوه!

وكان ظن الأحنف فى موضعه، فسرعان ما حضر يزيد، وكأنه كان يطير لا يمشى لتعجله المتسرع، واستقبل الأحنف مبتسما ملاطفا، فصاح به سيد بنى تميم: لم أدر شيئا عما تم مع ابنى زياد فى أمرك، فحدث القوم لأسمع معهم.

فقال يزيد: كأنك لا تدرى شيئا عما كابدت من الأهوال؟

أنت تعلم أن صهر ابن مرجانة - يزيد عبيد الله ابن زياد - قد حاول الشفاعة لديه ملحا ملحفا، فقوبل بشر ما يقابل به شفيع، وحين أتانى والقيد فى كفى وقدمى ما منيت به شفاعته من الخذلان، علمت أن الموت منى قاب قوسين، فتشهدت وجعلت اقرأ آيات من كتاب الله تكون عونا لى فى ما يمهد لى من العذاب، ورآنى السجان مذهوب العقل، مسلوب السداد، فرحمنى، وقال، سأخبر أحد أصدقاء الأمير ببلواك، فقد يفيدك بما يخفف عنك بعض الشىء، وكان السجان رجل مروءة فعجل بالذهاب إلى صاحبه، فقال له: الأمر عسير، والأمير غضوب ظلام، ولكنى سأحتال! ثم ذهب إلى ابن زياد، فأخبره بأن أمير المؤمنين بدمشق، سيغضب لو قتل يزيد دون أن يرجع إليه، فعليه إذا هم بقتله أن يستجيزه معددا سوءاته، كيلا يقع منه فى ملام. فسكت ابن زياد، ثم قال إذن سأذيقه أشد العذاب، لكن لا أبلغ به حد القتل حتى يأتى الأمر من الشام!

ولا تسل عما لاقيت من عذاب جهنم! بل إنى لأعتقد أن عذاب جهنم سيكون دون ما لاقيت، فلم يشف البغيض الحاقد أن يسلط على عذاب السوط فى غياهب السجن ثلاث مرات فى اليوم، بل شاء أن تكون الفضيحة ذائعة شائعة يشهدها البصريون جميعا، فهداه خياله إلى أن يطاف بى على الملأ. وقد سقانى مسهلا وقرننى بخنزيرة وهرة، فكنت أفيض على نفسى، والصبيان من ورائى يصيحون ويضحكون، والناس ما بين ساخر وصامت حتى أغمى علىّ فرددت مقهورا إلى السجن.

قال أحد الجلساء: علمنا ذلك، وعرفنا أنك سجلته فى بعض قصائدك:

قال الأحنف، عجبا، وهل يسجل العار على نفسه! ما كان له أن يفعل!

فرد يزيد، لا عار علىّ مع ظالم غشوم، إن العار على من سكت عن نصرتى من قريش وحمير وأنا رهين الأغلال، ثم إنى سجلت عليه عار الأبد حين قلت فى مأساتى:

ما أتيت الغداة أمرا دنيا

ولدى الله كابر الأعمال

فاخش نارا تشوى الوجوه ويوما

يقذف الناس بالدواهى الثقال

يغسل الماء ما صنعت وقولى

راسخ منك فى العظام البوالى

وبعد أن اشتهر أمرى بالبصرة، شاء أن يعيد الكرة فى سجستان فأرسلنى مع عبيد غلاظ يرهقوننى أشد الإرهاق، ويحتمون علىّ أن أطوف بكل خان نزلت به من قبل، لأمحو بأظافرى ما كتبت على الجدران من هجاء لآل زياد، بعد أن اشتهر وذاع، فكنت أفعل ذلك، والسياط تلهب جسمى، حتى تقلصت أظافرى وسال الدم دفاقا من اللحم، وحين جئنا سجستان رأيت من عباد شر ما يرى مطيع من فاسق إذ كرر فضيحتى فى الملأ ثم رمانى فى غياهب السجن، حتى جاء الأمر من دمشق بإطلاقى بعد شفاعة الرءوس من حمير وقريش! ولم أصدق إلا حين وجدتنى أركب راحلتى منطلقا إلى حريتى، فقلت مخاطبا فرسى:

عدس، مالعباد عليك إمارة

نجوت، وهذا تحملين طليق

قال الأحنف، كفى يا يزيد فقد أوجعتنا!

وحضر الطعام، فأكل الجمع، وكلهم يخص الشاعر بإكرامه وملاطفته، ثم بدا للأحنف أن يسأل يزيد، فقال:

وما صنعت بعد فراق برد والأراكة!؟

فقال يزيد: لا تُثر مواجعى يا سيد بنى تميم! لقد كان بردا آية الآيات فى الذكاء، فحين فوجئ بعباد يبيعه مع الأراكة بحجة سداد الدين، كظم غيظه، حتى إذا رحل مع من اشتراه، قال له: لقد جلبت عليك عار الدهر، أتظن أن سيدى يزيد سيسكت عنك، وما سكت عن معاوية ويزيد وابنى زياد! إنه سيرسل الهجاء مشهرا بك، فيجعلك مثلا بين الناس، وكان لدى الرجل مروءة تعصمه أن يذل، فأعتق بردا والأراكة بعد أن تأكد من نجاتى بأمر يزيد، وبعثهما إلىّ فقال الأحنف:

وهل تزوجت هذه الفارسية، ومعك الأراكة؟

فبادر يزيد يقول فى لوعة ليتها ظلت معى، فقد فاجأها الموت على غير انتظار وتوقع، إذا استحمت بالماء الساخن، ثم خرجت إلى السطح الأعلى فلفحها الهواء، وظننت المسألة هينة حين علمت بمرضها! ولكنى فوجئت بنعيها فى صباح مشئوم!

ثم استدرك يزيد يسأل: وكيف علم الأحنف بزواجى من الفارسية!

فقال الأحنف: لم أعلم وحدى! ولكن الموصل كلها تعلم، وقد تحدثت عن دلالها الذى أفقرك بعد اغتناء! ولعلك تفىء معها إلى الصواب!

قال يزيد: أردت أن أتسلى عن الأراكة، وما تسليت! ولم أشأ الخلاص من (أناهيد) لأنها تملكنى ولا أملكها، وكم حاولت فعجزت.

قال الأحنف: معاذ الله أن أفرق بينك وبين من تحب يا يزيد! ولكنى أوصيك بالتبصر وحسن التدبير، وإذا كنت لم أقم من قبل بشفاعتى عند ابن زياد، لما أعلم من غلوائه، فسأقوم اليوم بسداد دينك، على ألا تعود إلى الإسراف فابتسم يزيد وهو يقول: ما كنت لأقبل منة من غير الأحنف سيد بنى تميم، بل سيد العرب، حين نضع السيادة فى موضعها الصحيح!

ثم تنقل الحديث إلى شجون مختلفة، بحيث تعدى منطقة يزيد.

الحضارة والعلوم

- الماء آية لا يعقلها كثير من الناس
- الصحة النفسية والعضوية من سكينة النفس
- الإسلام دين الإنسانية والعالمية جمعاء
- مكانة العقل فى العقيدة الإسلامية

الماء

آية لا يعقلها كثير من الناس

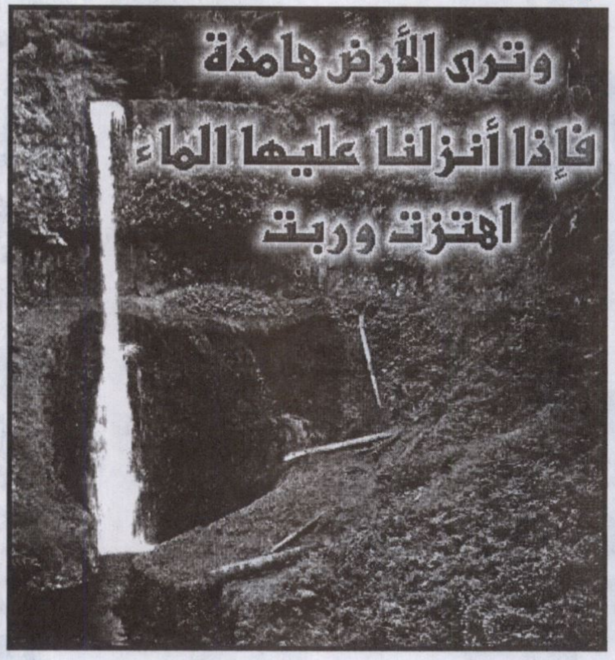

أ.د. كمال إبراهيم عبدالفتاح

الماء معجزة خلقها الله ذات صفات خاصة تتميز بها على باقى المواد تجعلها أساس وجود الحياة بجميع صورها على سطح الأرض حيث يقول سبحانه وتعالى فى سورة النور: ﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شىء قدير﴾ آية ٤٥، ويقول سبحانه: ﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى﴾ الأنبياء: آية ٣٠.

إن الماء يملأ ثلاثة أرباع الأرض وهو المكون الأساسى لأجسام الكائنات الحية ويوجد على سطح الأرض فى ثلاث صور هى:

الأولى: الصورة الصلبة (الجليد والثلج): ويتركز هذا النوع فى المناطق القطبية للأرض والمناطق الشديدة البرودة فى الشتاء. والثلج الموجود فى القطبين (القطب الشمالى والقطب الجنوبى) يعتبر مخزنا كبيرا للمياه العذبة على سطح الأرض. والماء فى صورة الصلابة هذه يطفو فوق سطح الماء فى الصورة السائلة وذلك لأنه أقل كثافة من الماء السائل وهذا له فائدة كبيرة للأحياء المائية حيث إنه عازل للحرارة فيمنع وصول البرودة إلى الأحياء المائية وكذلك يمنع زيادة سمك الثلج مما يساعد الكائنات على الحياة وممارسة أنشطتها.

***

والصورة الثانية: هى الصورة السائلة (الماء المالح والماء العذب): وهى التى تمثل أكثر من ٩٨٪ من الماء الموجود على سطح الأرض. ويقول الله سبحانه وتعالى فيها **﴿وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا**

وحجرا محجورا﴾ الفرقان: آية ٥٣.

والصورة السائلة للماء على الأرض تكون أغلبها فى صورة مالحة حيث إن الملوحة ضرورية للمحافظة على كفاءة الماء فى استمرارية التوازن البيئى وكذلك استمرارية الحياة فى داخله **﴿وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾** النحل: آية ١٤، فالماء المالح أكثر قدرة على الاحتفاظ بالأكسجين الضرورى للحياة ولا يكون وسطا صالحا لحياة الميكروبات الضارة كما أنه يعتبر مخزنا كبيرا للكثير من العناصر المهمة والضرورية للحياة مثل اليود والصوديوم والكلور والبوتاسيوم وغيرها من العناصر التى يحتاج إليها الكائن الحى فى بناء جسمه.

أما الماء العذب فإنه يوجد فى الأنهار والأمطار والمياه الجوفية وهو ضرورى جدا لحياة الكائنات حيث يشكل حوالى ٧٠٪ من وزن الأجسام الحية ليساعدها على القيام بجميع أنشطتها ووظائفها، فمثلا لو فقد الإنسان ٢٠٪ من ماء جسمه فإنه يتعرض للهلاك والموت ومن هنا نجد أن الإنسان يستطيع أن يصبر على الجوع فترة أطول من صبره على العطش.

***

أما الصورة الثالثة التى يوجد عليها الماء فهى الصورة الغازية (بخار الماء والسحب) والسحب هى أعظم وسيلة لنقل كميات كبيرة من الماء العذب لمسافات طويلة دون إهدار لأى جزء منه عبر الصحارى والجبال والبحار.

ملوحة البحار ضرورية للحفاظ على التوازن البيئى وعلى استمرارية الحياة

فعندما تتعرض مياه البحار لحرارة الشمس يتبخر جزء منها ويرتفع إلى طبقات الجو العليا الباردة فيتكثف وتتكون السحب التى تحملها الرياح إلى أماكن أخرى بعيدة فتسقط فى صورة أمطار **﴿وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات﴾** الأعراف: آية ٥٧.

***

والماء له خصائص تميزه وتجعله متفردا على باقى المواد الموجودة على سطح الأرض نذكر منها:

الصفة الأولى: الحرارة النوعية: وهى كمية الحرارة اللازمة لرفع درجة حرارة واحد جرام من الماء درجة واحدة مئوية. وبمقارنة الماء بالسوائل الأخرى نجد أن الحرارة النوعية للماء تعتبر عالية ومعنى ذلك أن الماء يحتاج إلى كمية كبيرة من الحرارة لتغيير درجة حرارته سواء بالارتفاع أو بالانخفاض.

وللحرارة النوعية العالية للماء أهمية كبيرة حيث إنها تساعد الأنهار والبحار والمحيطات على الاحتفاظ بدرجة حرارتها ثابتة تقريبا على مدى طويل من الفترات الزمنية ـ كما أنها تساعد على اعتدال درجة حرارة الهواء فى الصيف والشتاء حيث يمكن الإحساس بذلك الاعتدال على مدار العام فى المناطق الساحلية على عكس المناطق الداخلية البعيدة عن البحار، كما أن هذه الصفة تساعد على تحفيز حركة تيارات المياه فى المحيط والرياح.

***

الصفة الثانية: الحرارة الكامنة: وهناك من الناحية الفعلية نقطتان فيما يختص بالحرارة الكامنة وهما: الحرارة الكامنة للانصهار والحرارة الكامنة للبخر.

ويمكن تعريف الحرارة الكامنة للانصهار بأنها كمية الطاقة اللازمة لتحويل واحد جرام من المادة الصلبة إلى الحالة السائلة عند نقطة (درجة) الانصهار، أما الحرارة الكامنة للبخر فهى كمية الطاقة اللازمة لتحويل جرام واحد من المادة من الحالة السائلة إلى الحالة الغازية عند نقطة الغليان. وتصل الحرارة الكامنة للانصهار بالنسبة للماء إلى حوالى ٨٠ سعرا حراريا بينما تصل الحرارة الكامنة للبخر إلى ٥٣٦ سعرا حراريا. ويمكن تعريف السعر الحرارى بأنه كمية الطاقة المطلوبة لرفع درجة حرارة جرام من الماء درجة واحدة مئوية. وبالتالى فإن تميز الماء بهذه الصفة يعود على البيئة والكائنات بفوائد عديدة منها:

١ - أنه عندما تبرد بركة ماء إلى درجة التجمد فإن الفاقد بعد ذلك من الحرارة لا يخفض درجة حرارتها تحت هذه الدرجة. ونلاحظ أن وجود كمية كبيرة من الثلج يؤدى إلى تدفئة الهواء القريب كما نلاحظ برودة الهواء فى المناطق القريبة من شواطئ البحار فى المناطق ذات الجو الحار.

***

٢ - تجعل عملية النتح فى أوراق النبات قادرة على خفض درجة حرارة الجو المحيط بها وترطيب الهواء ويمكن الشعور بذلك عند الجلوس تحت ظل الأشجار فى اليوم شديد الحرارة.

***

الصفة الثالثة: الكثافة: حيث تتميز المياه بصفة فريدة هى وصول الكثافة إلى الحد الأقصى (أى تكون أثقل ما يمكن) عند درجة حرارة ٤°م وتقل كثافتها عند درجات الحرارة الأعلى والأقل.

وتعتبر هذه الخاصية ذات أهمية كبيرة من الناحية البيئية حيث إنها المسئولة عن وجود الماء فى الحالة السائلة بصفة شبه دائمة. فعند وصول درجة الحرارة إلى الصفر يتكون الثلج ويصبح أخف من الماء فيطفو فوق سطحه وبذلك يكون قريبا من ضوء الشمس الذى يرفع درجة حرارته مرة ثانية فيعود إلى صورة المياه السائلة. أما لو كان الثلج أثقل من الماء لهبط إلى القاع وأصبح بعيدا عن الشمس وبالتالى يتراكم مما يعرض الحياة فى البحار للخطر.

يعتبر الماء المكون الرئيسى للصفات الوراثية لكافة الكائنات الحية

***

الصفة الرابعة: القدرة على الإذابة: حيث لا توجد مادة خاملة كيميائيا أخرى يمكن مقارنتها بالماء فى قدرته على الإذابة. ولهذه الخاصية فائدة كبيرة فى تدوير المواد الغذائية من خلال إذابتها والمساعدة فى إتاحة المزيد من القدرة لها على الحركة فى الأجسام الحية والطبيعية.

الصفة الخامسة: التأيين: والتأيين هو التحلل الإلكترونى وهو المسئول عن معظم الظواهر الكهربية والعديد من الظواهر الكيميائية للمحاليل، ويتفوق الماء على جميع المذيبات الأخرى فى مدى التنوع الكبير فى إمكانية التأين، وهذه الصفة مفيدة جدا للكائنات الحية بسبب إثرائها وتوفير كميات هائلة من الأيونات فى الطبيعة.

***

الصفة السادسة: التوتر السطحى: حيث إن جزيئات الماء لها أعظم قابلية للتماسك مما يتسبب عنه انكماش سطحها إلى أقل مساحة (بعد عنصر الزئبق) ويعد ذلك نتيجة مباشرة للروابط الهيدروجينية. وبالإضافة إلى الأهمية البيئية لهذه الصفة فى الامتصاص والحركة داخل الأنابيب الشعرية فى النبات فإنه يوفر تنوعا كبيرا فى الكائنات التى تسكن سطحه مما يجعله غنيا بالغذاء ومنتجات هذه الكائنات.. وتبارك الذى يقول: **﴿ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾** الروم: آية ٢٤.

***

عزيزى القارئ بعد أن ذكرنا أهم الصفات التى تميز الماء دون غيره من المواد.. تعال معى لنتعرف الآن على بعض الأدوار الحيوية للماء فى تركيب وكيان الكائن الحى. يقول الله تبارك وتعالى: **﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾** النور: آية ٤٥، فالماء بالإضافة إلى أنه يسهل عمل المركبات الحيوية فى جسم الكائن الحى. مثل الإنزيمات والهرمونات والمضادات الحيوية بكافة أنواعها وكذلك تسهيل عمل الخلايا الحية وحفظ ما يسمى بالتوازن الحمضى القاعدى وغيرها من الوظائف العديدة الحيوية والضرورية لجسم الكائن الحى والتى يصعب أو يستحيل حدوثها فى غياب الماء.

بالإضافة إلى كل ذلك فإننا نجد أن المركبات الرئيسية التى يتكون منها جسم الكائن الحى أو يحتاج إليها عبارة عن مواد كربوهيدراتية (سكريات ونشويات) ومواد دهنية (زيوت ودهون)، ومواد بروتينية. وإذا تأملنا فى تركيب المواد الكربوهيدراتية فسوف نلاحظ أنها تتكون بصورة أساسية من ثلاثة عناصر أولية هى الكربون والأكسجين والهيدروجين، ونسبة الأكسجين إلى الهيدروجين فيها هى ٢:١ وهى نفس النسبة بينهما فى الماء وذلك لأن المواد الكربوهيدراتية يقوم بتصنيعها النبات عن طريق المادة الخضراء فى أوراقه وطاقة الشمس من الماء وثانى أكسيد الكربون الموجود فى الهواء.

وهكذا فإننا نرى أكبر مصدر للطاقة بالنسبة للكائنات يتكون من الماء وكذلك المواد الدهنية والمواد البروتينية يدخل فى تركيبها الماء.

***

أما عن دور الماء فى استمرار نوع الكائن الحى والمحافظة على صفاته الوراثية وانتقالها عبر الأجيال كما جاء فى الآية الكريمة من سورة الفرقان حيث يقول المولى تبارك وتعالى: **﴿وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا﴾** آية ٥٤.

***

فبالتعرف على تركيب الحامض النووى الحامل والناقل للصفات الوراثية وهو DNA أو ما يسمى «دنا» وهو اختصار اسمه العلمى وهذا الحمض عبارة عن سكر خماسى على شكل سلسلتين متوازيتين وحلزونيتين ويربط بينها ذرات الفوسفور وقواعد أمينية.

وهذا الحامض وجد أنه فى الإنسان يحتوى على ٦ بلايين جزىء سكر. وكل جزىء سكر يدخل فى تكوينه خمسة جزيئات ماء. أى أن هذا الحمض الحامل لجميع الصفات الوراثية للإنسان يحتوى على ٣٠ بليون جزىء ماء.

أى أن الماء هنا هو الذى يشكل المكون الرئيسى للصفات الوراثية للكائنات الحية وهذا يؤيده قول الله تعالى فى سورة النور: **﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شىء قدير﴾**.

الصحة النفسية والعضوية من سكينة النفس

السكينة عموما هى طمأنينة القلب وهدوء النفس وهى حالة تأتى من الرضا بما قسم الله وبالقضاء والقدر حلوه ومره، خيره وشره، وهى السلام النفسى الذى يحظى به أهل الإيمان الصادق قال تعالى: ﴿هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم﴾ الفتح: آية ٤، وقال جل من قائل: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ الرعد: آية ٢٨.

وحينما يصدق الإيمان فإن الله تعالى يكافئ عبده بالحياة الطيبة فى الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾ النمل: آية ٩٧.

والحياة الطيبة فى الدنيا لا تعنى أن المؤمن لا تصيبه محن أو شدائد، بل على العكس من ذلك، فإن البلاء يكون على قدر إيمان المرء. فالمؤمن إن أصابه خير شكر فكان خيرا له وإن أصابته مصيبة صبر فكان خيرا له.

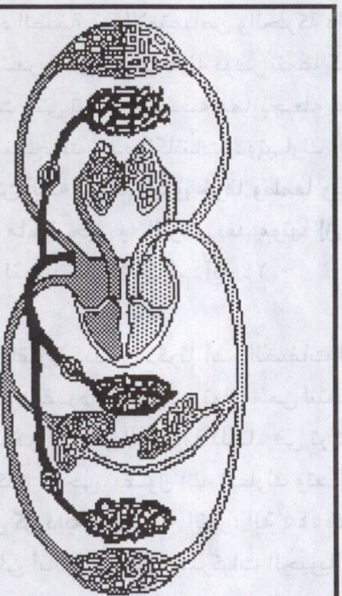

الجهاز الدورى

أ.د. عبدالمعبود عمارة

قد أفلح من زكاها:

النفس كالطفل تنشأ على الإيمان إذا أراد لها صاحبها تزكيتها بعمل الخير والعطف على الفقراء والمساكين والأخذ بيد الضعيف وقضاء مصالح الناس وصلة الأرحام وزيارة المرضى وأن يكون المؤمن ريحانة طعمها طيب وريحها طيب يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يقدم لنفسه ودينه ووطنه الخير ويسعى بالصلح بين المتخاصمين ويقرن ذلك كله بقراءة القرآن بتدبر ويدعو الله خوفا من عذابه وطمعا فى رحمته، وأن يكون المؤمن متسامحا يأخذ العفو ويأمر بالعرف ويعرض عن الجاهلين لقوله تعالى: **﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾** الفرقان: آية ٦٣.

وقال تعالى: **﴿ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم﴾** فصلت: آية ٣٤، وإذا أصاب المؤمن مكروه فلا يحزن ولا ييأس ولا يقنط لقوله تعالى: **﴿إنه لا ييأس**

من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ يوسف: آية ٨٧.

وقال ﷺ: **«ما أصاب العبد المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»** متفق عليه.

هذا شأن المؤمنين الصابرين الصادقين لهم فى الدنيا حياة طيبة وفى الآخرة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

بعض أمراض الهلع واليأس والعياذ بالله تعالى:

هناك فئة من الناس يطلبون الدنيا ويجرون وراءها جرى الوحوش وكل همهم جمع المال واكتنازه وينسون الله فيما يجمعون، يذهبون طيباتهم فى الحياة الدنيا ويستمتعون بها، وحينما تصيبهم مصيبة فإن اليأس والقنوط والعياذ بالله يبدو عليهم وتصيبهم الأمراض النفسية والعضوية ولا يكون لهم إلا ما أراده الله تعالى.

أمراض الجهاز الدورى والقلب:

إن الهلع والوساوس والبعد عن الإيمان الحقيقى يجعل الإنسان مهموما خائفا فزعا قلقا فيصاب بالاكتئاب والاضطرابات النفسية وهذا يؤثر على القلب والجهاز الدورى، فيرتفع ضغط الدم، وتفرز مادة الأدرينالين التى تسبب القصور فى الشرايين التاجية المغذية للقلب وتحدث أزمات الذبحة الصدرية أو هبوط القلب أو الإصابة بأمراض الكلى ونزيف المخ وشبكية العين.

الهلع والبعد عن الإيمان الحقيقى يصيب الإنسان بالاضطرابات النفسية ويرفع من ضغط الدم

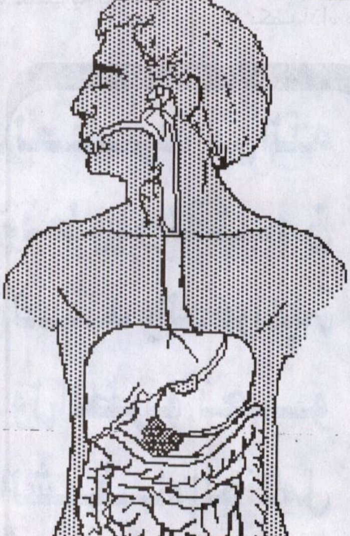

الجهاز الهضمى

قرحة المعدة واضطراب الجهاز الهضمى:

من أمراض القلق والاضطرابات النفسية التى تؤدى إلى أمراض عضوية مرض قرحة المعدة والاثنى عشر، وقرحة المعدة عبارة عن التهاب وتآكل فى جدار المعدة أو الجزء العلوى من الأمعاء الدقيقة بسبب زيادة الأحماض والإفرازات المتولدة بالمعدة نتيجة التغيرات التى تحدث بالجسم عند زيادة التوتر والقلق وعدم الرضا بما قسم الله.

ومن مضاعفات القرحة النزيف الداخلى والالتهاب البريتونى، ومن أمراض الجهاز الهضمى التى يسببها القلق اضطرابات الهضم والإخراج وخاصة القولون العصبى.

مرض السكر ومضاعفاته:

هناك علاقة وطيدة بين الحالة النفسية المضطربة ومرض السكر، وهو يرجع إلى عجز الجسم عن إفراز كمية كافية من هورمون الأنسولين الذى يساعد على التمثيل الغذائى للمواد الكربوهيدراتية المولدة للطاقة، ومن مضاعفات هذا المرض التهاب الأعصاب الطرفية. كما

يؤثر على وظائف الكبد والكلى وشبكية العين والقلب. وأهم سبل العلاج هو الطمأنينة والسلام النفسى وأخذ العلاج عن طريق الطبيب المختص.

أمراض الغدة الدرقية والسمنة:

يؤدى الاضطراب النفسى إلى حدوث خلل فى وظائف الغدة الدرقية زيادة أو نقصا، وقد يصاب المريض بالصداع الكلى أو النصفى، وقد يصاب المضطرب نفسيا بالسمنة نظرا لوجود دوافع لا شعورية قوية تدفع الإنسان إلى تناول المزيد من الطعام فى حالات الاكتئاب أو الضيق، وقد أثبتت معظم الدراسات إلى أن معظم حالات السمنة ليست ناتجة عن أسباب عضوية بل عن أسباب نفسية أيضا.

أمراض أخرى يسببها القلق والتوتر واضطراب النفس: منها أمراض نقص المناعة وأمراض الحساسية والجهاز التنفسى والأمراض الجلدية وسقوط الشعر واضطرابات التبول، وفقد النطق أو شلل الأطراف الهيستيرى.

العلاج من هذه الأمراض:

لابد من العودة إلى طريق الله والارتباط بالإيمان الصحيح وذكر الله تعالى والتوكل عليه وحده والأخذ بأساليب العلاج الحديثة والدعاء إلى الله تعالى أن يفرج الكرب والهم والغم والصلاة لوقتها لقوله تعالى: **﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾** البقرة: آية ٤٥.

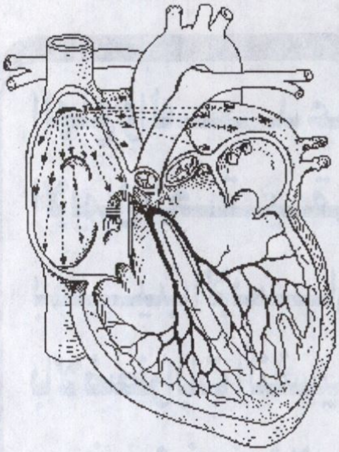

ومن وسائل العلاج لهذه الأمراض: الصبر على البلاء قال تعالى: **﴿ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين* الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون* أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾** البقرة: الآيات ١٥٥ - ١٥٧.

من أسباب الشفاء أيضا تطهير القلب من مشاعر الحسد والحقد والكراهية، فالحسد والبغضاء والمجادلة بالباطل تأكل الجسد وتنهش فيه ولا راحة أبدا لحسود أو حقود، وعلى المؤمن أن يكف أذاه ويسعى إلى مساعدة الناس وإدخال السرور عليهم.

العودة إلى الله وتطوير القلب من الحسد والكراهية أول الطريق نحو الشفاء الكامل

وعلى المؤمن أن يرضى بقضاء الله تعالى وقدره ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه قال تعالى: **﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾** البقرة: آية ٢١٦.

وعلى المؤمن أن يسلك طريق الخير ويصادق أهل الصلاح ويأخذ المشورة من أهل الطب والدين قال تعالى: **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾** الرعد: آية ١١.

الإسلام دين الإنسانية والعالمية جمعاء

أ. د. إبراهيم سليمان عيسى

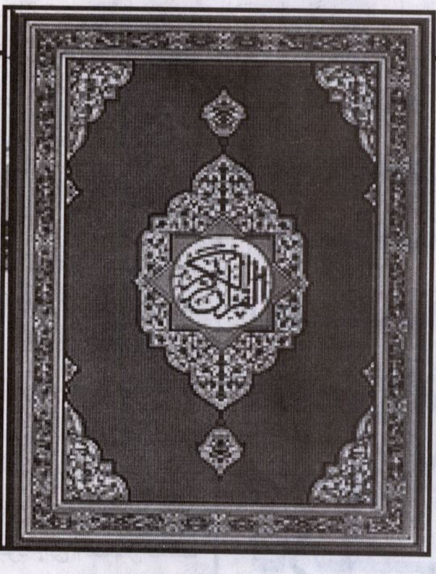

تتمثل مقومات الإنسانية فى الإسلام فى ثلاث فضائل، الحب والرحمة والعدل، تلك الفضائل التى تعتبر مرد الخير والسلام، والأمل، فى حياة الناس كافة «المسلم وغير المسلم» ذلك أن الإنسان، ككائن حى له صفات عامة تربط بينه وبين غيره من الكائنات الحية التى تشاركه البقاء على الأرض وتقاسمه ثمراتها.

وهذه الصفات الثلاثة تستهدف بقاء نوعه، وصيانة وجوده، بالإضافة إلى صفاته الخاصة به - كإنسان - وهى تلك المميزات النبيلة التى تمثل تفوق هذا الإنسان على الجانب الأرضى فى تركيبه، وتتعالى بذاته عن ما سواه من الكائنات الحية الأخرى، وتستهدف لوجوده حياة أعلى، ورسالة أشرف، وترسم لنوعه صورة من الكمال المبدع، يشرق من وراء ظلالها وألوانها، جلال الحياة وعظمة الإنسان، الذى كرمه الله سبحانه وتعالى.

وتعتبر هذه الفضائل التى أشرنا إليها - وهى الحب، والرحمة، والعدل، الحد الفاصل المميز، بين المجتمعات البدائية، التى لم تجاوز فى سلسلة النشوء الاجتماعى، طور البداوة والتوحش، وبين المجتمعات المتقدمة التى قطعت فى تجاريب الحضارة، ومعاناة المدنية، شوطا حقيقيا.

والجدير بالذكر أن هذه الفضائل الأصول، وما يتفرع عنها فى عالم الأخلاق هى التعبير البارز المعبر عن ذلك الجزء الإلهى القائم فى سريرة الإنسان والذى يقوده دائما إلى الترقى فى صفات الخير، ويرتفع بمثله إلى الأعالى، ولقد أقبل الإسلام كموج البحر، زاخرا، بالدعوة المؤكدة الواسعة إلى تحقيق هذه الفضائل الأساسية الكبرى، فى حياة الجماعة والأفراد كما أثار الإسلام فى نفوس المجتمع الذى رسم حدوده الأخلاقية والنفسية فكرة الحب على نطاق واسع - حب العقيدة الذى يجعل جلائل المبادئ هدفا يفوق الحياة بكل

مالها من إيثار، وسلطان على نفس الإنسان، وحب الخير العام الذى يسقط عن النفس حظوظها الخاصة، وينتزع من أعماقها جذور الأنانية - والطمع، والحسد، والحب الذى يكون عاطفة رقيقة نبيلة تبعث على مودة الإنسان لأخيه الإنسان، فقط لأنه إنسان.

هذه الأنواع الثلاثة من الحب، وهى تشمل كل أنواع الحب، قد أثارها الإسلام وأكد طلبها فى الناس، قال تعالى: ﴿**ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله**﴾ البقرة: آية ١٦٥، وقال ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان - أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار**» رواه البخارى ومسلم.

فقد بينت الآية والحديث إلى أى مدى يكون حب الإنسان لعقيدته، وفى تصوير الحب الإنسانى المجرد النابع من محض الشعور بأخوة الإنسان للإنسان، ورد ذلك الحديث البديع الذى يتعالى بهذا الإخاء عن كافة أنواع المنفعة والغرض الشخصى، وذلك قوله ﷺ: «**أن رجلا زار أخا له فى الله فأرصد الله له ملكا فى الطريق - فقال أين تريد، قال أريد أن أزور أخى فلانا، فقال لحاجة لك عنده؟ قال، لا: قال لقرابة بينك وبينه؟ قال، لا: قال فبنعمة له عليك، قال، لا، قال فيم؟ قال أحبه فى الله، قال فإن الله أرسلنى إليك يخبرك بأنه يحبك لحبك إياه، وقد أوجب لك الجنة**» رواه مسلم.

وكذلك دعا الإسلام إلى التخلق بالرحمة دعوة

الحب الإنسانى المجرد نابع من محض الشعور بأخوة الإنسان للإنسان

لم تكن معروفة من قبله - رحمة عامة شملت الإنسان، ولم تدع شيئا مما يمكن أن يحس بأثر الرحمة إلا تناولته ونبه على أنها من صفات الله قبل أن تكون من صفات الإنسان قال تعالى: ﴿**فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة**﴾، ثم قال ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن**» متفق عليه.

وأما العدل - فإن كلام الله وكلام رسوله ليفيض فيضا بتقرير حقيقته، وتأكيد طلبه، وبيان أنواعه، والعدل الأخلاقى الذى ينهض حكما بين المرء ونفسه فى معاملة الناس، وفى التعريف به ورد مثل قوله تعالى: ﴿ **ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**﴾ المائدة: آية ٨، وقوله ﴿**وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى**﴾ الأنعام: آية ١٥٢. **الشنآن هو البغض**، نهت الآية أن يكون للحزازات الشخصية أثر فى إقامة العدل بين الناس، فإن التنزه عن ذلك الضعف أقرب للتقوى وأدنى من الإيمان.

والعدل القضائى الذى يقطع النزاع بين المتخاصمين، وقد ورد فيه قوله تعالى: ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**﴾ النساء: آية ٥٨، والعدل الاجتماعى - الذى يستهدف إقامة مجتمع تعاونى سليم لا مكان فيه لمظاهر الأثرة والاستغلال والسخرة، والكبرياء، والجبرية، تقوم فى رحابه جميع الضمانات المنطقية المشروعة لكى يعيش الناس عيشة راضية، بالتوسعة عليهم فى مجال سعيهم، وتنمية شخصياتهم، واستثمار مواهبهم على الوجه الأكمل، وقد ورد فى بيان ذلك قوله تعالى: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء**

ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾ النحل: آية ٩٠.

فهذه الآية الجامعة تصور لنا عناصر العدل الاجتماعى الذى يجب أن ترسو فى الأمة جذوره، وتعلو مظاهره ويستقر فى ضمائر الناس سلطانه وحكمه.

هكذا يرسم الإسلام المثل العليا للإنسانية العليا ويتجاذب معها سعادة البشر وتقدم الحياة وفى هذا الضوء الساطع يتجلى أن الإسلام والإنسانية صديقان متلازمان، وعنصران متحدان فأينما بحثت عن الإسلام وجدت الإنسانية وأينما بحثت عن الإنسانية وجدت الإسلام.

وتتصاعد إنسانية الإسلام إلى المناداة بالأمة الواحدة والعالم الواحد، حيث تعمل البشرية جمعاء، فى تعاون مثمر، وهناءة مستتبة، وأمن باسط ذراعيه، لا تغتال فيه حرية، ولا تنتقص كرامة. قال تعالى: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ الأنبياء: آية ٩٢.

ولقد خلق الله الناس من نفس واحدة ليكونوا على الأرض أمة واحدة - قال تعالى: ﴿ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة﴾ النساء: آية ١.

وكان من طبيعة خلق الناس على الأرض - هذا الكوكب المترامى الذى تشكل فواصله الإقليمية وأحداثه التاريخية طبيعة أهله - وإن اختلفوا - جنسا، ولونا، ولسانا ومذهبا، وفى جميع مظاهر حياتهم، ومقومات وجودهم وبرغم أن هذا الاختلاف قد جعله الله آية، من آيات قدرته، وحكمته قال تعالى: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ الروم: آية ٢٢، بالرغم من ظهور هذه الآية فى حكمة الله وقدرته - فإن الإنسان - وكان - كما وصفه القرآن - ظلوما جهولا - أبى إلا أن يجعل مدلولات هذه الآية أسبابا للعصبية، وأن يقيم منها حدودا تفصل بينه وبين غيره من البشر.

وهى الحدود المشئومة، التى جعلت الناس أعداء، وحولت أخصب، وأعظم، وأثمن، ما تتكلفه طاقاتهم الحيوية عن طريق الخير، والمنفعة إلى طريق الشر والمأساة.

وما من حرب اندلع فى العالم لهيبها منذ أقدم العصور فدمرت المدنية، وزوت زهرة الحضارة إلا كانت بسبب هذه الحدود والعصبيات الظالمة.

ويتلخص ذلك فى ثلاثة أشياء: العنصرية، والاستعمار، والإكراه على العقيدة الدينية، أو المذهب الاجتماعى.

أما عن العنصرية، فقد زعم قوم لأنفسهم أنهم جنس أفضل من غيرهم، كلمة قالوها، فلم تزل لعنتها تتمثل فى خراب ديارهم، وديار غيرهم، ولم تزل ألوف القتلى من أينع زهرات الأمم تروي قصتها الفاجعة، فى بحار من الدماء المسفوكة وبحار أخرى من الدموع المسكوبة، ولم تزل على الشاطئين، تنبعث أصوات الشقاء وتتراءى هزيمة المنطق والحكمة.

وأما عن الاستعمار فإن منطق الاستعمار، أن تكون مواطن الشعوب أقطاعا عالميا، لمن يملك السيف والمؤامرة، دون أصحابها الذين صنعوا تاريخها، ونبتوا من ترابها ومنذ بدرت أوائل هذا الاستعمار - بمعناه الحديث - فى مطالع القرن الخامس عشر والعالم تهب الانقسامات، والتعاسات، والحروب، التى لم تكن خيرا حقيقيا قط، لا فى مصلحة الغالب ولا فى مصلحة المغلوب.

وأما عن اختلاف العقيدة الدينية، والمذهب الاجتماعى فى مجال التفريق الأممى فعلى الرغم من أن العقيبدة لا تسمى عقيدة، إلا إذا أخذت عن رضا واختيار، وكان سبيلها إلى النفس، الفهم

والاقتناع، إلا أن كثيرا من الناس جعلوا من تباين العقائد الدينية، واختلاف المذاهب الاجتماعى، سبيلا للضراوة والإكراه، وأعطوا لأنفسهم وصاية مزيفة على ضمير البشر، فقادوا العالم إلى ضروب من المظالم والتوحش، تتعاظم طاقة الخيال والفكر تصورها.

ولو تمثلنا العقائد أشخاصا حية تعى وتدرك، ثم أشرفنا بها على المذابح التاريخية التى أقيمت قربانا لها، لكان من المؤكد أن نرحل عن هذه الأرض، فزعا من مشاهد الهول الذى ترى ومن المعروف أن الإسلام قد أبطل العنصرية بحجتين، احداهما: حجة مثالية أخلاقية، وهى قوله تعالى: **﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**، فالتقوى هى عامل التفاضل بين الناس فى شرعة الله، دون ما سواها من نوع النسب، أو مادة الجنس، والتقوى اسم جامع لصفات الخير، والعمل النافع.

وحجة أخرى واقعية، وهى قوله ﷺ: **«كلكم لآدم وآدم من تراب»**، فالناس من أصل واحد، وهم مردودون إلى هذا الأصل - شاءوا أم أبوا - فإذا انتفى التفاضل بينهم بالعمل تساوت مواضعهم، لا مناص لهم من ذلك بوهم أو خيال.

وأبطل رذيلة الاستعمار بحجتين أيضا، لفت فيهما أنظار العالم، إلى أن الاستعمار جريمة طارئة على فطرة البشر، **أولاهما** - قوله ﷺ: **«الناس سواسية كأسنان المشط»**، فلا يجوز أن يكون من بينهم سيد، ولا مسود، ولا مستغل، ومستغل، وأخراهما، قوله تعالى: **﴿ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون﴾** الأنبياء: آية ١٠٥، فالأرض ميراث الصالحين من عباد الله وحدهم، والمستعمرون فاسدون مفسدون، لا صالحون، ولا مصلحون، وأبطل الإكراه على العقيدة، كما رسم أنظف الطرق وأذكاها، لدعاة العقائد، والمذاهب قال تعالى: **﴿لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى﴾** البقرة: آية ٢٥٦. كما خاطب نبيه فى تقرير هذا المعنى بقوله: **﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾** يونس: آية ٩٦. كما قال فى أدب الدعوة: **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾** النحل: آية ١٢٥. وقال: **﴿وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾** ق: آية ٤٥.

لم يقف الإسلام عند هذه التفصيلات لتحقيق الهدف الذى توخاه، من قيام وحدة العالم، بل أجمل غرضه الكبير فى دعوة كبيرة عامة، للتعارف العام المطلق، بين شعوب العالم كله، وهتف بذلك هتاف الأبد.

﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾ الحجرات: آية ١٣.

فليرفع التقدميون، والإنسانيون، أيديهم بالتحية، لهذا الإسلام العظيم الذى تغنى بأكثر من صوت واحد، بمجد الإنسانية، وفكرة العالم الواحد.

وخلاصة القول: أن المتتبع للتاريخ الإسلامى يجد أن الإسلام عندما طبقت قواعده، ورفعت راياته أفاء على الدنيا كلها خيرا ونماء وبركة، وقاد المجتمع الإسلامى المجتمعات الأخرى وقدم لها الحضارة والخير والعلم والنصيحة، ففى الوقت الذى كانت تعيش فيه أوروبا ترفل فى تخلفها كان الإسلام وحده ينشر الحضارة والإنسانية لأنه دين يجمع ولا يفرق ويوحد ولا يشتت وهو دين من خلق الخلق وفطرهم وهو أعلم بخلقه لا إله إلا هو سبحانه وتعالى ولئن كانت تهب على الإسلام ريحا عاصفة ومناخا غير مناسب فإن ذلك سيكون مؤقتا وسوف تنقشع هذه الغمة ويسكن الريح وتسطع الشمس مرة ثانية لأن كل ما يحدث أمام أعيننا فهو شىء مناهض للفطرة التى فطر الله الناس عليها، وإنى لأثق فى ذلك إن شاء الله.

مكانة العقل فى العقيدة الإسلامية

أ. د/ بكر زكى عوض

لم يشأ الحق أن يكره الخلق على الإيمان به دون غيره، ولو شاء ذلك ما حال دون مشيئته حال، ولكنه ركب فى الإنسان آلة التلقى وأعطاها القدرة على الاستيعاب والتحليل، وفطرها على نتائج إذا صحت المقدمات جاءت مطابقة للحق أو هى الحق، وهى ما تعرف بالبديهيات، ثم خاطب هذه الآلة (العقل) بصور شتى من الخطاب، مع نفى الإكراه على المراد من هدف الخطاب، وكل قصور فى هذه الآلة عن الاستيعاب والتحصيل (مرحلة الطفولة) وكل فقدان لها - فى غير سبب من صاحبها - لا يكسب صاحبها الوصف بالعاقل - بالمعنى الكامل - مما يسقط معه أى تبعة تترتب على صنيعه إذا أوجب حدا ويبقى التعزير حقا قائما لولى الأمر ردعا وزجرا.

وإننى حريص فى هذه المقالات العلمية على أن أبين مدى الصلة الوثيقة بين الوحى والعقل، لأننا فى زمن قد غيب فيه العقل وسطت فيه العاطفة، وفى بعض الأحيان أطلق العنان للعقل فحكم على النص أو فسره بما يتعارض مع نصوص أخرى، وهو ما يعنى أن العقل آلة تستمد نورها من الشرع فى مجال العقائد وأما فى غير العقائد فإنه لا يفتقر إلى نص الشرع إلا لضبط ميادين البحث وعدم تجاوز دائرة الأخلاق الحميدة، فإن لم يدع الباحث هذين الضابطين، فإنه ينطلق فى ميدان البحث راغبا فى النتائج غير مبال بالعواقب، كما هو ظاهر الحال فى الاستنساخ البشرى وقلب النوع والتحكم فى جنس الجنين وأسلحة الدمار الشامل.

إن خاصية احترام العقل وتقديره والتعويل عليه من سمات العقيدة الإسلامية دون غيرها من العقائد المنسوبة إلى الوحى أو التيارات الناتجة عن العقل غير المنضبط بضوابط الوحى أو المعتقدات الناشئة عن هوى النفس وتزيين الشيطان وموروثات الآباء ويطيب لى أن أعالج أركان العقيدة الإسلامية على أساس من تقدير الوحى للعقل فى ضوء القرآن والسنة على النحو التالى:

أولا: إثبات الألوهية والربوبية قائمة على مقدمات جاء بها الوحى إلى العقل وهى فى عداد البدهيات.

ثانيا: الوحدانية وإن ثبتت من طريق الوحى إلا أن الاعتماد فى الإثبات قام على إقناع العقل.

ثالثا: كل ما شاب الوحدانية من فكر الإنسان تم إبطاله بمقدمات مسلمة لدى العقل.

رابعا: الرسل اعتمدوا البراهين العقلية لإثبات الألوهية عبر تاريخ الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى -.

خامسا: لم تعرف البشرية عبر تاريخها الإكراه على العقيدة من طريق الوحى وما كان القضاء على أمة من الأمم السابقة إلا بعتوها واستكبارها وظلمها، فكان الهلاك لحسم الشر وقطع دابر الفساد لا للإكراه على الاعتقاد.

هذه المقدمات تتطلب شيئا من البيان أوجزه فيما يلى:

أولا: إثبات الألوهية والربوبية قائم فى القرآن على مقدمات من الوحى إلى العقل أخصها بالبيان ما يلى:

١ ـ ذكر القرآن الدليل على استحقاق الحق للربوبية والألوهية وأكثر من توارد الأدلة على هذين الاستحقاقين، وقد سلك الإسلام فى هذا السبيل الطرق التالية:

أ ـ دليل الخلق وله صور شتى منها:

ـ توجيه السؤال إلى العقل عن قانون السببية، وطرحه استفهاما إلى منكرى الألوهية هذا مفاده ونصه **﴿أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون* أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون﴾** الطور: الآيتان ٣٥، ٣٦.

وعندما تحدث فى صدر سورة لقمان عن خلق السموات والأرض والإنسان طرح هذا الاستفهام **﴿هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه﴾** لقمان: آية ١١.

ـ عندما تحدث عن استحقاقه للربوبية ذكر وجه استحقاقه لها، قال تعالى: **﴿يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون* الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾** البقرة: الآيتان ٢١، ٢٢.

وعندما طلب منا الاستعاذة به، بين وجه استحقاقه للتعوذ به وكشف عن قدرته فى نفس الوقت حتى نستعين به ونحن مطمئنين إلى قدرة المستعاذ به كما فى سورة الفلق وسورة الناس وغيرهما، وعندما تحدث عن استحقاقه للألوهية ذكر كثيرا من الأدلة التى توجب استحقاقه لها، ومنها:

١ ـ دليل الخلق: وهو كثير فى القرآن، وورد بصيغ مختلفة **(خالق ـ يخلق ـ خلق ـ خَلّق)**، وتتصل مادة الخلق بالإنسان والحيوان والنبات والجماد والكون بأسره، فضلا عن بعض الجوانب القائمة بكل ما ذكر. قال تعالى: **﴿أيحسب أن لم يره أحد* ألم نجعل له عينين* ولسانا وشفتين* وهديناه النجدين﴾** البلد: الآيات ٧ ـ ١٠، **﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه* أنا صببنا الماء صبا* ثم شققنا الأرض شقا* فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا* وفاكهة وأبا* متاعا لكم ولأنعامكم﴾** عبس: الآيات ٢٤ ـ ٣٢.

٢ ـ دليل العناية: قال تعالى: **﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا﴾**. **﴿الله لا إله إلا هو الحى القيوم* لا تأخذه سنة ولا نوم﴾**، **﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون* قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون* ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾** القصص: الآيات ٧١ ـ ٧٣.

٣ ـ دعا الإسلام العقل إلى التفكير فى علة الوجود وسببه وغايته وهو ما يعرف بدليل الغاية، قال تعالى: **﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين* ما خلقناهما إلابالحق ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾**، **﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون﴾** النحل: آية ٨، ومن قبلها ورد النص **﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون* ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون* وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم﴾** النحل: الايات ٥ ـ ٧.

إن ما غابت غايته عن بعض الناس قد أدركها آخرون، وما يكره الناس وجوده فإنما هو ناتج جهلهم بالحكمة من وجوده. فكل الناس بلا استثناء يكرهون الفئران ويرون وجودها ضارا بالناس، مع أنها قدمت للبشرية ـ من وجهة نظرى ـ من الخدمات مالم يقدم غيرها، فكل التجارب

العلاجية تجرى على الفئران أولا، فإن أثمرت حميدا تم نقل الدواء وتجريبه فى فقراء أفريقيا وآسيا، فإن ثبت نجاحه تم توسيع دائرة الانتفاع به فى دول العالم الثالث فإن تأكد الصلاحية تم معالجة الأوروبيين به، ولولا الفئران لكان الاحتمال الأول قائما على جعل أفراد العالم الثالث محل التجارب بدلا من الفئران.

٤ - **دليل النظام:** وهو من الأدلة على وجود ذات تتصف بصفات الكمال، هذه الذات قد أوجدت الكون على أساس من الإحكام المطلق الذى لا يتأتى معه إدراك أى خلل أو تفاوت، قال تعالى: **﴿الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور* ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير﴾** الملك: الآيتان ٣، ٤، **﴿والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم* والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم* لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون﴾** سورة يس: الآيات ٣٨ - ٤٠.

٥ - **دليل السببية:** فالعقل يوجب الفاعل لكل فعل والمحدث لكل حادث وهذا أمر فطرى بدهى، وقد حرص الإسلام على استخراج الإجابة من العقل الإنسانى حول هذا القانون، قال تعالى: **﴿أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون* أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون﴾** الطور: آية ٣٥، ٣٦.

وفى سورة النمل وردت آيات عدة وأسئلة شتى تتعلق بهذا القانون قال تعالى: **﴿أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون* أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون* أم يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون* أمّن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أإله مع الله تعالى عما يشركون* أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾** النمل: الآيات ٦٠ - ٦٤.

٦ - **دليل الكمية والمقدار:** فالكون ليس صدفة ولا خبط عشواء، بل كل شىء فيه بقدر، قال تعالى: **﴿إنا كل شىء خلقناه بقدر﴾**، **﴿وإن من شىء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾**، **﴿وخلق كل شىء فقدره تقديرا﴾**.

٧ - دليل الإبداع: وبه وردت نصوص شتى فى القرآن الكريم **﴿بديع السموات والأرض﴾**، **﴿صنع الله الذى أتقن كل شىء﴾**.

٨ - **دليل النعم:** وقد أكثر القرآن من النص عليها، وصرح بأن حصرها غير مستطاع **﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾**، وقد حث القرآن على التأمل فى بعض النعم، قال تعالى: **﴿أفرأيتم ما تحرثون* أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون* لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون* إنا لمغرمون* بل نحن محرومون* أفرأيتم الماء الذى تشربون* أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون* لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون* أفرأيتم النار الذى تورون* أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون* نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين﴾** الواقعة: الآيات ٦٣ - ٧٣.

٩ - **الدعوة إلى التأمل والتفكير فى الكون:** وأخصه بالذكر السماء بما فيها من مكونات وما قام بها من رفع، وما دونها من نجوم وكواكب وسحب، وكذلك التفكير فى الأرض وما فيها من بحار وأنهار وجبال وعمران ونبات وحيوان.. إلخ.

كذلك الدعوة إلى التفكير فى النفس الإنسانية وما انطوت عليه من مكونات وحقائق، ولهذا كان وعد الحق **﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد﴾** فصلت: آية ٥٣، وبهذا يكون منهج الإسلام قائما على الإقناع لا الإكراه عندما دعا إلى الألوهية والربوبية وحث على الإيمان بهما. فهل من مجيب؟

ما العيد إلا بالنهوض بأمتى

شعر / نوال مهنى

يا عـيـد تأتى والقلوب جراح ... قد غـاب عنهـا البـشـر والأفـراح
كنا لأعـوام خـوال نحـتـفـى ... بك إن أهلّ قـدومك الوضـاح
نلهـو ونلعب والسرور يحـوطنا ... ويزيننا فـوق اللبـاس وشـاح
ونظل نركض فى صـفـاء باسم ... فـإذا الوجـود سـعـادة ومـراح
كنا نرى الدنيـا ربيـعـا حـولنا ... يطوى المسـاء وتشـرق الأصـبـاح
الزهر يزهو إن نشـقنا طيـبـة ... عطر يضـوع على المدى فـواح
نجنى ثمـار الروض من أفنانهـا ... فـتظلنا وتضـمنا الأدواح
واليوم عـيد كيف يحلو عـيدنا!! ... كـثـرت على أوطاننا الأنزاح
هذى فلسطين السليـبـة تشتكى ... فى كل يوم دُورها تجـتـاح
والقدس تحيا مأتما لا ينقضى ... ورجـالهـا يغـتـالهـا السـفـاح
بغـداد من بعـد الحضارة دمرت ... ضاع البـهـاء وحلت الأشـبـاح
سرقوا - طغاة العصر - جل تراثها ... ثرواتهـا للغـاصـبـين تبـاح
من بعد أن جلبوا العذاب لشعبها ... شـربت على أطلالهـا الأقـداح
وجـحـافل الأوغاد تغـزو أرضـهـا ... هان العـزيز وتحـصـد الأرواح
أيكون عـيـد والحـرائر تسـتـبى ... وعلى الرؤوس صـواعق وسـلاح
العيد أن تحـيـا الشعـوب كـريمـة ... يحـدو خطاها همـة وكـفـاح
العـيـد أن يغـشى الأمـان ربوعنا ... ويسـود بين العـالمين سـمـاح
مـا العـيد إلا بالنهوض بأمـتى ... ويقيل من عـثراتهـا الإصـلاح
والعـيـد حـقـا أن نعـود لديننا ... والنفس بين ظلالـه ترتـاح

محاسن الإسلام ومزاياه في تشريعات المرأة (١٧)

أ. د. عبدالعظيم المطعنى

«وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا» النساء: آية ٣٥.

بعد أن ذكر القرآن أحكام نشوز النساء، وقدم الحلول الحكيمة لإصلاح الأوضاع فى الأسرة التى تحول دون وقوع التطليق من الزوج الذى يضيق بسلوك زوجته، وقد يكون بينهما أولاد فى أمس الحاجة لاجتماع شأن الأسرة أردف - هنا - فى هذه الآية الحل المناسب الحكيم لنشوب الخلاف بين الزوجين، كل منهما سبب فى نشوء هذا الخلاف، والخطاب فى قوله تعالى: ﴿وان خفتم شقاق بينهما﴾ لجماعة المسلمين أو على الأقل لمن له صلة من المسلمين بالزوجين اللذين دب بينهما الشقاق كالأقارب أو الجيران، ولما كان اللجوء إلى القضاء هو الأصل فى النظر فى الخصومات والتحقيق فيها ثم إصدار الحكم المناسب العادل بين أطراف الخصومة لحسم الأمر.

لما كان الأصل هو ذلك سارع القرآن إلى وضع بديل عن رفع الأمر إلى القضاء فى الخصومات الزوجية. وهذا من محاسن الإسلام ومزاياه فى تشريعات المرأة. حيث ضن بالخلافات الزوجية أن تعرض فى ساحات القضاء، وتناقش علنا على رءوس الأشهاد لأن الحياة الزوجية فيها أسرار لا ينبغى لأحد الاطلاع عليها. وعرض الخصومات الزوجية فى ساحات القضاء فيه إفشاء لتلك الأسرار آمام القضاة وأمام المتخاصمين الآخرين.

من أجل ذلك كان هذا التوجيه القرآنى الحكيم لحفظ أسرار الأسرة، فأرشد جماعة المسلمين إلى تكوين هيئة أهلية من أقارب الزوج وأقارب الزوجة ليقفوا على أسباب الخلاف بينهما كأخى الزوج أو عمه وأخى الزوجة أو عمها وهذه الهيئة القضائية البديلة عن القضاء العام اشترط القرآن أن يكون كل أعضائها من أقارب الزوج والزوجة بدليل قوله: **﴿فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها﴾**، على أن يكون الحكم واحدا كما جاء فى القرآن بل يجوز التعدد حسب ما تقتضيه المصلحة،

وحين تكون الهيئة البديلة عن القضاء العام من أهل الزوجين فإنهم يمكنهم أن يطلعوا على جميع أسباب الخلاف، وأن يفضى كل من الزوج والزوجة إلى الطرف الذى من أهله والطرف الذى من أهلها بكل مافى أنفسهما من عيوب الآخر، ولا يكتمان عنهما شيئا. وهذا أقرب إلى الوصول للإصلاح، كما أنهما لن يخشيا من افشاء أسرارهما لأن المحكى له تلك الأسرار قريب ملاصق لطرفى الخصوم، هذا التشريع لم نر القرآن أرشد إليه فى أى خصومة غير الخصومات التى تنشأ بين الأزواج.

وهذه الهيئة القضائية البديلة عن القضاء العام ينبغى أن تقوم بدورها المعلق به فتكون محايدة عادلة لا مع هذا ولا مع ذاك، ولا على هذا ولا على ذاك، وبعد أن تطلع على أسباب الشقاق بين الزوجين عليها أن تواجه المخطئ منهما بخطئه، ثم تحاول جاهدة فى تصفية النفوس، وأن تطلب من كل منهما عدم العودة إلى أسباب الشقاق الصادر منه، وأن تأخذ عليهما العهود والمواثيق على أن يتجنب كل منهما ما يوغر صدر الآخر ثم يطلبان من كل منهما العفو عن الآخر فى ما بدر منه، وهذا يمهد الطريق لاستئناف حياة زوجية آمنة مستقرة.

بقى قوله تعالى فى ختام الآية: **﴿إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما﴾**.

بعض أهل الذكر يقول الحديث هنا عن الحكمين وآخرون يرون أنه يعود على الزوج والزوجة، وهذا هو الأصوب إن لم يكن هو «الصواب» وحده، والمقام يقتضى هذا، ويكون المراد حينئذ إن أراد الزوجان صلاحا بينهما، وكان لكل منهما رغبة فى العيش مع الآخر فإن الله يوفق بينهما بعد الدور الذى قام به الحكمان على الوجه الذى شرحناه. أما إذا كانت الزوجة «تتلكك» على الزوج وكان الزوج «يتلكك» على الزوجة فإن الوفاق بينهما فى هذه الحالة عسير، لأن كلا منهما يزهد فى الآخر. وهذه لفتة تشريعية معجزة من الله يعلم بما فى صدور عباده.

النشوز من قبل الزوج

تحدثنا فيما تقدم عن خصومتين من الخصومات الزوجية من خلال عرض الإسلام لهما فى القرآن الكريم.

كانت الخصومة الأولى أسبابها محصورة فى نشوز الزوجة، التى أشار إليها القرآن بقوله: **﴿واللاتى تخافون نشوزهن﴾**،

وكانت الخصومة الثانية أسبابها تصدر عن الطرفين الزوج والزوجة، وقد أشار القرآن إليها بقوله: **﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها﴾**.

وقد عرضنا منهج الإسلام فى إصلاح كل هذه الخصومات بما يثبت محاسن الإسلام ومزاياه فى تشريعات المرأة.

وبقيت خصومة ثالثة مصدر النشوز فيها هو الزوج وحده، ولم يفت القرآن أن يذكر هذه الخصومة ويقدم الحلول الحاسمة لها، وقد عرضها القرآن فى قول الله تعالى: **﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يُصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا* ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما﴾** النساء: الآيتان ١٢٨، ١٢٩.

إن أول ما يطرحه القرآن فى هذه الخصومة هو التحرك نحو الصلح والسعى إليه. وأسند الصلح إلى الزوج والزوجة موحيا بهذا الإسناد إلى أن إرادة الصلح ينبغى أن تكون نابعة **أولا** من مشاعر الزوج والزوجة، وهذا الصلح المرغب فيه شرعا هو بديل التفكير فى أن تفضل المرأة طلب التطليق من زوجها. أو يفضل الزوج تطليق زوجته،

وقد وصف القرآن الصلح بأنه «خير» زيادة فى الترغيب فيه عند كل من الزوج والزوجة.

أما قوله تعالى: ﴿**وأحضرت الأنفس الشح**﴾ فهو لمحة ذكية لما يعترى المتخاصمين عادة حتى فى مجالس الإصلاح بينهما فإن كلا من أطراف النزاع يكون حريصا على ألا يكون مغلوبا أمام الطرف الآخر، وأن يكون ما يأخذه هو أكثر مما يعطيه للآخر فى مجلس الصلح. وهذا ما يسميه الفقهاء بالمكايسة بين البائع والمشترى بمعنى أن البائع يحرص على أن يبيع بأعلى ثمن ممكن والمشترى يحرص على أن يشترى بأرخص ثمن ممكن، وهذا من شأنه تعطيل عملية البيع والشراء. لأنه شعور قائم على «الأنانية».

وهذا الشعور يكون له حضور عند تسوية النزاع بين الزوجين فيعطل عملية الإصلاح بينهما لذلك حرص القرآن على ذكره هنا، ثم اتبعه بقوله تعالى: ﴿**وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا**﴾، حاثا على الإحسان والتقوى لكسر حدة الشح المعطل لعملية الإصلاح. فإذا تبادل الزوجان الإحسان والتقوى كان فى ذلك مقاومة للشح وتسهيلا لحصول الإصلاح بينهما، ثم أحاط هذا كله بالوازع الدينى الأخلاقى فقال فى فاصلة الآية ﴿**فإن الله كان بما تعملون خبيرا**﴾، ليتنافس الزوجان فى مجال الإحسان والتقوى، فإذا ما قد علما باطلاع الله على مافى صدورهما من شح أو إحسان وتقوى.

ثم يفرع القرآن على الخصومة السابقة فيقول: ﴿**ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما**﴾ النساء: آية ١٢٩.

هذا التفريع مهم للغاية بالنسبة لمحاسن الإسلام ومزاياه فى تشريعات المرأة، لأن القرآن وقف فى هذه الآية موقف المحامى من المرأة ضد ظلم الرجل لها، ونهى الرجال عن التمادى فى سوء المعاملة للزوجة فقال: ﴿**فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة**﴾، وهذا الميل المنهى عنه هو الميل فى قسم الحظوظ المادية كالنفقة والكسوة ونوع المعيشة والمبيت، فمن كان تحته زوجتان أو أكثر فيجب عليه وجوبا مؤكدا العدل بينهم فى المعاملة والحظوظ المادية المشار إليها من قبل. أما الميل القلبى أو العاطفى فهذا الأحرج فيه مالم يتبعه ميل آخر فى الحقوق الزوجية، لأن حركة القلب لا يملكها الإنسان فهى معفو عنها وعليه ألا يتخذ منها ذريعة الإساءة والمعاملة والحرمان. وهى المقصودة فى قول الله تعالى: ﴿**ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم**﴾، فالعدل المنفى هنا هو العدل فى المشاعر القلبية والعاطفية، ولذلك قال رسول الله ﷺ وكان يعدل بين زوجاته فى حظوظ الحياة الزوجية بينما كان قلبه يميل إلى بعضهن أكثر من بعض «**اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تؤاخذنى فى مالا أملك**»، فالعدل المادى كان يملكه ﷺ، والعدل القلبى لم يكن يملكه لذلك اعتذر إلى الله منه كأن يحب احدى زوجاته أكثر من غيرها فلا يكون حبها هذا سببا فى اغداق النعم عليها مع حرمان الأخريات.

ثم انظر كيف صور القرآن المرأة المظلومة حتى لو كانت وحيدة التى يقسو زوجها عليها فى المعاملة فلا هى زوجة متمتعة بكل حقوقها ولا هى غير زوجة، صورها القرآن فى صورة الشىء المعلق بين السماء والأرض ليبين للأزواج شناعة الظلم الواقع منهم على زوجاتهم كى يرتدعوا ويرجعوا عن هذا السلوك المذموم. ثم يرقق القرآن قلوبهم ليرغبهم فى الإصلاح فيقول: ﴿**وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما**﴾.

وهذا وعد من الله للأزواج بغفران ذنوبهم إذا اتقوا الله وأصلحوا ذات بينهم.

وبهذا يكون القرآن قد استقصى أنواع الخصومات الزوجية ووضع لها الحلول التى تعالجها وتحل الوئام محل التنافر والخلاف، وتسلم الأسرة من آفات التدمير والبوار، ومن أحسن من الله حكما لقوم يؤمنون.

«الضمير..»

شعر / عبدالغنى أحمد ناجى

بين الجوانح وخزه مثل السعير ... ذاك الرقيب . إذا سألت هو الضميرْ

هو ساهر، هو قيم، ومقوّم ... يأبى الفساد من الصغير أو الكبيرْ

فمواكب الخير العميم بصحوه ... تنساب بين الناس كالماء النميرْ

فحياته بين الأنام كجنة ... فيها الثمار شهية بين الزهورْ

القول والأفعال ملك يمينه ... طوق النجاة إذا طغى موج الشرورْ

وإذا غفا ذاك الضمير فلا تسل ... عما يعم الكون من فوضى المسيرْ

لهب الفساد يعم آفاق الورى ... غاب الضمير فلا مغيث ولا مجيرْ

مهما تضاعفت الجهود لسد أبـ ... ـواب الفساد فإنها دون الضميرْ

إن الرقابة للضمير هى التى ... تهب القلوب مخافة الله القديرْ

تقوى الإله هى الضمير فليتنا ... نحيا بتقوى الله فى كل الأمورْ

لوامة نفس التقى فلا يرى ... إلا طريق الخير فى دنيا تمورْ

ويكاد يبكى إن ألمّ بما يشيـ ... ـن مجاهدا فى نفسه سوء المصيرْ

ويظل ينأى عن قباءات الألى ... عشقوا الفساد مبينا سوء الغرورْ

لو شاع ذاك لترى الأنام لخلتهم ... كملائك الرحمن فى الدنيا تسيرْ

والكل يفرغ للعبادة والتقى ... والخير يُهمى ماله أبدا نظيرْ

الدعوة والدعاة

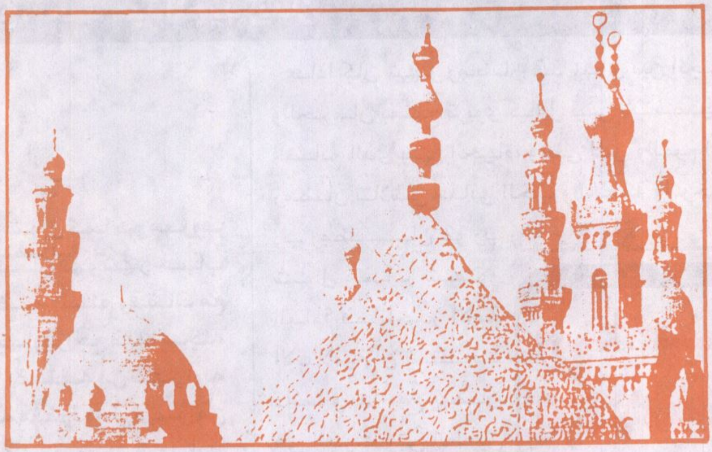

- بمغانم رمضان يجب أن نواصل المسيرة
- عيد الفطر.. يوم الجائزة
- من نماذج الفكر الخبيث: «كتاب تجمع الإسلام»
- الظلم وعاقبة الظالمين

بمغانم رمضان يجب أن نواصل المسيرة

فضيلة الشيخ: محمد عبدالمجيد زيدان

يأتى شهر شوال كما هو معروف عقب شهر رمضان فهو شهر حساب النفس يقف فيه المسلم وقفات مع نفسه يحاسبها ويراجع فيها سجله وينظر فيما اغتنمه من شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، وهو شهر رمضان فهل أدى واجبه بما يتناسب وجلال هذا الشهر فأراح ضميره وأرضى ربه فأصبح من حقه أن يفرح كما جاء فى الحديث الشريف «للصائم فرحتان: فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه» ففرحته عند فطره تتمثل بأنه أدى واجبه وأرضى ربه وأراح ضميره وفرحته عند لقاء ربه عندما يجد أجره كثيرا بغير حساب قال تعالى: «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون» يونس: آية ٥٨.

فإذا كان شهر رمضان قد سوى بين الجميع فى التقشف والحرمان بمنهج تربوى كامل يبنى شخصية الإنسان المسلم الصائم الذى يبنى الحياة، ويبنى المثل والقيم الرفيعة. فهل بعد رمضان تتلاشى معانى الحب والشفقة والرحمة والإيثار؟ أليس رب رمضان هو رب شوال وسائر شهور العام؟ فما أجدر الأمة الإسلامية أن تستصحب دائما وأبدا روح رمضان فى البيت وفى الطريق وفى مواقع العمل وفى كل نواحى الحياة لأن الإسلام لا يريد من المسلم أن يكون موسميا فى عبادته فيطيع الله فى شهر ثم ينقطع فقد كان السلف الصالح يقولون «بئس القوم قوم لا يعرفون الله إلا فى رمضان»، فالمسلم الصادق لن يغتر بعبادته، يقول ابن عطاء الله السكندرى «ربما فتح الله لك باب الطاعة وما يفتح لك باب القبول وربما قدر عليك المعصية وكان سببا فى القبول، فمعصية أردفت ذلاً وانكسارا خير من طاعة أردفت عجبا واستكبارا».

ما أحرى الأمة الإسلامية أن تعيش بمعانى رمضان فى التعامل مع قضاياها الكبار

والله تعالى يقول: ﴿**والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم**

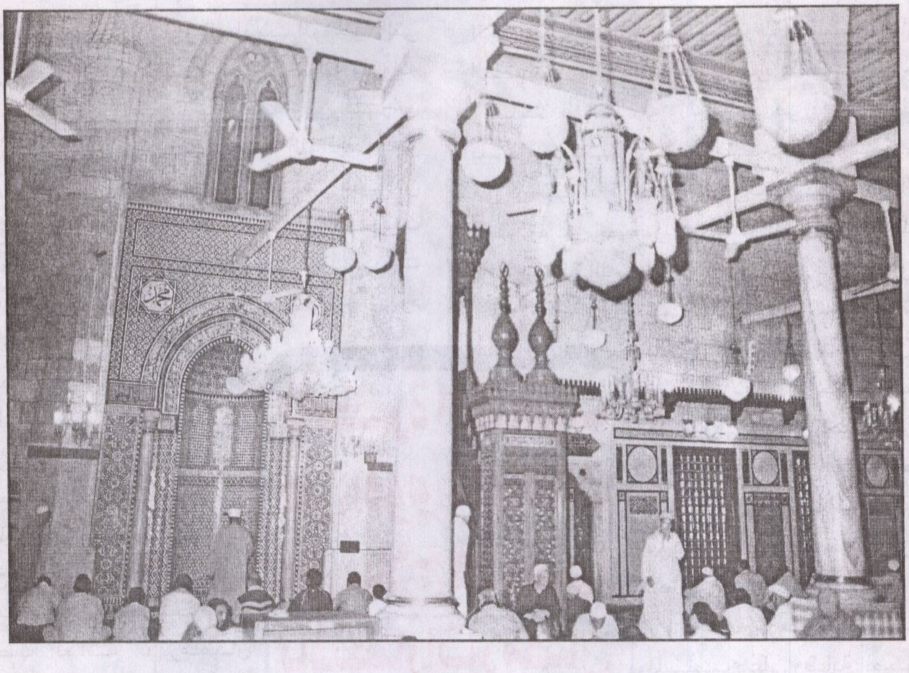

وجلة﴾المؤمنون: آية ٦٠، ويقول سبحانه: ﴿**إنما يتقبل الله من المتقين**﴾ المائدة: آية ٢٧، والمسلم من صفاته ومن طبيعته الثبات والاستمرار على طاعة ربه فتلك هى رسالته التى من أجلها خلق وبها ارتبط ولها عاش وكل ذلك من علامات قبول الطاعة لأن من قطع العمل قطع الله عنه العون والمدد فأحب الأعمال إلى الله أدومها واستمرار الطاعة بعد رمضان دليل على قبول الصيام والقيام لأن من علامة قبول الحسنة أن توصل بحسنة بعدها.

فما أحرى الأمة الإسلامية بعد رمضان أن تعيش بمعانى رمضان فى كل أمورها فى التعامل مع قضاياها الكبار بحشد إيمانى يملأ القلوب والعقول وبعواطف إنسانية رفيعة تجعل المجتمع الإنسانى وحدة متماسكة كالبنيان المرصوص لا حقد ولا حسد ولا ضغينة، بل صفاء وود ووئام لا بخل ولا شح ولا حرمان بل تعاطف وتراحم وإيثار الغنى يعطى الفقير والقوى يأخذ بيد الضعيف رائدهم قول الرسول الكريم ﷺ: «**من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ماكان العبد فى عون أخيه**» البخارى ومسلم.

إن المسلم الذى استجاب لربه فصام شهر رمضان إيمانا واحتسابا كان ولابد أن يرتبط بقيمة أعلى يتجرد لها دائما وتحكم سلوكه وتوجهه إلى بناء العلاقات الطيبة مع الغير لأن الصوم عبادة تقوم على الإخلاص لله - عز وجل - والتجرد الخالص فالصائم إنسان متجرد مما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، فالاتجاه إلى الله هو الغالب على مشاعره والبر والتقوى هما غايته لأنه الله - عز وجل - بين الهدف من الصيام فقال: ﴿**لعلكم تتقون**﴾، فالغاية من الصوم التقوى والتقوى كلمة جامعة لكل الفضائل الإنسانية والصائم عنده الله - عز وجل - كل شىء يملأ عليه أقطار نفسه فى جميع الأماكن والأزمنة.

وإذا كان رمضان هو شهر البطولات الروحية التى انتصر فيها الإنسان المسلم على شهواته ونزواته فأمسك عن الطعام وهو بين يديه وعن الشراب وهو لديه، وعن الشهوة ابتغاء مرضاة الله - عز وجل - كما أنه أيضا هو شهر البطولات فى ميادين الدفاع عن الدين والوطن ضد أعداء الله حيث تنشط ذاكرة الأمة فى هذا الشهر فتستعيد ذكريات انتصاراتها فيه بدءا من انتصار يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فى بدر وما تلاها من النصر يوم فتح مكة وعودة الذين أخرجوا منها من المسلمين المهاجرين ثم ما كان بعد ذلك من الانتصارات للمجاهدين الصائمين فى رمضان على مر التاريخ مثل موقعة عين جالوت وموقعة حطين وغيرهما حتى جاء نصر العاشر من رمضان الذى كان أحدث وأبرز نصر شهدته العروبة واعتز به الإسلام فى العصر الحديث.

فما أحرى الأمة الإسلامية بعد رمضان أن تظل بروح رمضان روح العطاء والتضحية والفداء روح الإرادة القوية والعزيمة الصادقة روح التقوى التى هى أبرز أسلحة النصر قال تعالى: **﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾** النحل: آية ١٢٨.

ما أحوجنا إلى استلهام روح العاشر من رمضان دائما وأبدا فى تنفيذ النهضة الوطنية لأن ذاكرة الشعوب هى أقوى ما تمتلك من سلاح نعم نحتاج إلى إحياء انتصارات رمضان وبطولاته من خلال منهج تعليمى وتربوى وإعلامى وثقافى ودينى يحيى نفوس شبابنا ويجسد كل معانى العزة والافتخار بقواتنا المسلحة ورموز مصر من قادة قدموا دروسا للتاريخ فى العسكرية والسلام. يقول الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالى - رحمه الله - إن الصالحات المطلوبة مع الإيمان تصيغها فأس الفلاح وإبرة الخياط وقلم الكاتب ومشرط الطبيب وقارورة الصيدلى والغواص فى بحره والطيار فى جوه والباحث فى معمله والمحاسب فى دفاتره والمسلم بإسلامه يباشر كل شىء وتلك هى رسالته ويجعل من كل ذلك أداة لنصرة ربه وإعلاء كلمته لأن الأمة العاجزة عن استخراج بركات الله من أرض الله لن تؤدى رسالة الله: والأمة العاجزة عن تجديد مواهب المسلمين لإعزاز المسلمين تلقى بأيديها إلى التهلكة، فكل ما أصاب الأمة الإسلامية من هزيمة فى سباق الحياة ليس من الإسلام وإنما من انحرافهم عن الإسلام لأن الإسلام رسالة وكل ما يعين على ذلك فهو دين وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

ذاكرة الشعوب هى أقوى ما تمتلك من سلاح فلنحييها بانتصارات رمضان وبطولاته

وإذا كان رمضان قد ربى المسلمين على رقابة الضمير والخشية من الله - عز وجل - فما استطاع أحد الصائمين أن يأكل أو يشرب بعيدا عن أعين الناس لأن رقابة الضمير والخشية من الله - عز وجل - تلاحقه وتقف له بالمرصاد.

فما أحرى الأمة الإسلامية بعد رمضان من أن تظل تعيش بهذه المراقبة التى تربت عليها فى رمضان فعند ذلك لا يخون خائن ولا يزور مزور ولا يرتش مرتش ولا يهمل عمله عامل.. فما أحوجنا لكى ننهض ونتقدم من أن نظل نعيش بشعور المراقبة وأن نتيقن من رقابة الله علينا فهو يعلم كل صغيرة وكبيرة منا **﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة﴾** المجادلة: آية ٧.

فما أحوج أمتنا الإسلامية إلى أصحاب الضمائر الحية الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون.

إن سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - كانوا حريصين على التخلق بخلق المراقبة والخشية من الله - عز وجل - لأنهم يعلمون أنهم محاطون ومراقبون من قبل السميع البصير سبحانه، وهاتان صورتان من الصور العديدة التى كانت مشاهدة فى حياة المجتمع المسلم تؤكدان كيف كان هذا المجتمع يخشى الله تعالى ولا يخشى أحدا سواه - عز وجل -.

١ - يحدثنا ابن الأثير فى كتابه «أُسد الغابة فى معرفة الصحابة» أن عبدالله بن عمر - رضى الله عنهما - خرج فى بعض نواحى المدينة ومعه أصحاب له ووضعوا السفرة له فمر بهم راعى غنم فسلم، فقال ابن عمر: هلم أيها الراعى فأصب من هذه السفرة فقال له: إنى صائم فقال ابن عمر: أتصوم فى مثل هذا اليوم الحار الشديد سمومه فقال: والله إنى أبادر أيامى هذه الخالية فقال له ابن عمر - وهو يريد أن يختبر ورعه - فهل لك أن تبيعنا شاة من غنمك هذه فنعطيك ثمنها ونعطيك من لحمها ما تفطر عليه؟ قال: إنها ليست لى بغنم، إنها غنم سيدى فقال له ابن عمر: فما يفعل سيدك إذا فقدها؟ فولى الراعى عنه وهو رافع إصبعه إلى السماء وهو يقول: فأين الله؟ فجعل ابن عمر يردد قول الراعى يقول: قال الراعى فأين الله؟ فلما قدم ابن عمر المدينة بعث إلى مولاه فاشترى منه الغنم والراعى فأعتق الراعى ووهب له الغنم.

٢ - يقول ابن الجوزى فى كتابه «سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز» إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يتفقد الرعية ليلا بالمدينة فشعر بالإعياء فاتكأ على جانب جدار فى جوف الليل فإذا امرأة تقول لابنتها: يابنتاه قومى إلى ذلك اللبن فأمذقيه بالماء فقالت لها: يأماه: أو علمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم؟ فقالت: وما كان من عزمته يابنية؟ قالت: إنه أمر مناديه فنادى أن لا يشاب اللبن بالماء فقالت لها: يا بنتاه قومى إلى اللبن فامذقيه بالماء فإنك بموضع لا يراك عمر ولا منادى عمر فقالت البنت لأمها: يأماه والله ما كنت لأطيعه فى الملأ وأعصيه فى الخلا إن كان عمر لا يرانا فإن الله يرانا.

أمتنا الإسلامية فى مسيس الحاجة إلى الاغتنام من قيم رمضان لتواصل بها المسيرة طوال العام

فبتخلقنا بالخشية من الله - عز وجل - نقضى على مشاكلنا فى كل المواقع والتى قد تكون فى الأعم الأغلب ناجمة عن عدم الانضباط وغياب الضمير الوظيفى فديننا جعل العمل المتقن على رأس منظومة القيم الأخلاقية فنحن فقراء إلى النابغين فى الصناعة والمعامل والتكنولوجيا الحديثة وأغنياء عن المشتغلين بالفلسفات الكلامية الذين يعيشون على مضغ الكلام، فلهذه الأمة طموحات لا تتحقق إلا بيقظة الضمير والخشية من الله - عز وجل -.

وإذا كان رمضان قد صنع من المسلم الصائم إنسانا نبيلا عف اللسان ليس عيابا ولا شتاما ولا مغتابا ولا فاحشا ولا بخيلا ولا مقترا. فما أحرانا بعد رمضان أن نظل بأخلاق رمضان طلاقة فى الوجه وابتسامة على الشفاه واستقبال طيب بكلام طيب وعطاء طيب لوجه الله لأنه جزء من زكاة عمل الإنسان وهو الثروة الباقية التى أنعم الله بها على من اختصهم بقضاء حوائج الناس.

ما أحرانا بعد رمضان من ضرورة استحضار قيم وسلوكيات شهر رمضان فى كل ما نقوم به وفى سائر شهور العام فمغانم رمضان كثيرة يجب أن نواصل بها المسيرة ونعيش فيها وبها ونحن على يقين من أنه مع الزمن ستنضج الثمار وتتحقق النتائج، فالإسلام رسالة توجب على معتنقيها أن يجعلوها أجدر بالحياة وأقدر على النجاح.

عيد الفطر.. يوم الجائزة!

أ.د. محمد فتحى فرج بيومى

الأعياد ظاهرة اجتماعية، تعرفها الشعوب على اختلاف أديانها وحضاراتها، قديما وحديثا، شرقا وغربا، وهى تعبر عن شخصية هذه الأمة أو تلك، كما تشى بسماتها واهتماماتها، من حيث ارتباط هذه الأعياد، بمناسبات تتعلق بالدين أو المناسبات المختلفة من تاريخية أو وطنية أو اجتماعية أو فصلية وغيرها. وفضلا عن هذا، فإنها تعبر عن الفطرة السليمة؛ ذلك أن الإنسان لا يستطيع أن يواصل حياته على نسق واحد من العمل والنشاط على وتيرة لا تتغير أو تتبدل، حيث ينهكه الدأب ويضنيه الملل ويضجره السأم والرتابة، ولا يتأتى ذلك إلا بكسر هذا «الروتين»، وإعطاء النفس فرصة لتنطلق من هذه القيود الحياتية الممضة، فيتلاشى التعب، وتتبخر هموم الحياة، ويتجدد النشاط، وتنتعش الهمة من جديد.

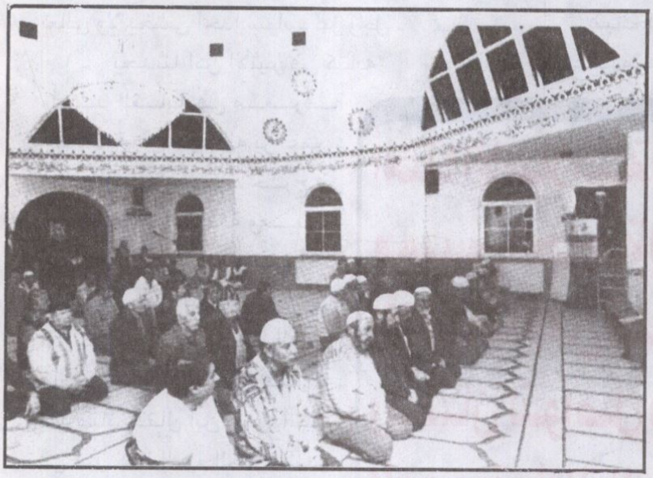

أعياد المسلمين:

للمسلمين عيدان: يعرف أحدهما بعيد الفطر أما الآخر فهو عيد الأضحى، وأصل ذلك أنه كان للعرب فى الجاهلية أيام يحتفلون بها، فحينما قدم الرسول ﷺ المدينة وجد أن للقاطنين فيها - حينذاك - يومين يلعبون فيهما فقال ﷺ: **«ما هذان اليومان؟»** قالوا: يارسول الله كنا نلعب فيهما فى الجاهلية، فقال ﷺ: **«إن الله أبدلكما خيرا منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر»**.

يقول شيخ الأزهر الأسبق محمود شلتوت - رحمه الله -: يذكر يوم الفطر بهذه النعمة العظمى التى كانت أساسا لبناء دولة الإسلام الموحَّدة والموحِّدة، دولة التحاكم إلى الرحم الواحدة، دولة الصفاء الروحى والاستقامة القلبية، دولة الحق والعدل، دولة العلم والحكمة، دولة التعمير والبناء، دولة الهدى والرشاد، دولة السعادة فى الدنيا والآخرة، فيوم الفطر يوم البناء، ويوم الأضحى يوم الإتمام والإكمال لهذا البناء: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾ المائدة: آية ٣.

والأمم الناهضة لا تعرف فى تاريخها أعز ولا أعظم من يومها الأول الذى وضع فيه أساس بنائها، ويومها الثانى الذى تم فيه صرح هذا البناء، وما أجدر اليومين بأن يكونا عيدين ترسم فيهما ذكرياتهما وآثارهما وإيحاؤهما على صفحات القلوب(١).

يوم الجائزة:

يقول النبى ﷺ: «إذا كان غداة الفطر، يبعث الله ملائكته، فيقومون على أفواه السكك ينادون بصوت يسمعه جميع الخلائق، اخرجوا إلى رب كريم، يغفر الذنب العظيم، فإذا برزوا إلى المصلى، يقول الله تعالى: يا ملائكتى، ما جزاء الأجير إذا عمل عمله؟ فتقول الملائكة: إلهنا وسيدنا، جزاؤه أن يوفى أجره، فيقول الله تعالى: يا ملائكتى، أشهدكم أنى جعلت ثوابهم من صيامهم وقيامهم رضاى ومغفرتى، يا عبادى سلونى، فو عزتى وجلالى لا تسألونى اليوم، فى جمعكم هذا شيئا لآخرتكم إلا أعطيتكم، ولا شيئا لدنياكم إلا نظرت إليكم، وعزتى وجلالى لأسترن عيوبكم، ولا أفضحنكم، ولا أخزينكم، انصرفوا مغفورين، فقد أرضيتمونى، فرضيت عنكم»، أو كما قال. ولا أعتقد أنى بحاجة، بعد ذلك البيان الرائع والوضوح السافر، إلى تعليق أو شرح أو تفسير.

العيد مناسبة دينية اجتماعية:

وكما فهمنا من الحديث النبوى الشريف المتقدم ذكره فإن الله تبارك وتعالى هو الذى اختار للمسلمين عيديهم: يوم الفطر ويوم الأضحى، فالعيد بهذه المثابة مناسبة دينية شرعه الله لعباده العابدين الطائعين، ومن ثم يحرم الصوم فيه، فهو يوم للفرح، والابتهاج بانتصار الإنسان على نفسه وشيطانه وشهواته بطاعته لله تعالى، وفى ذلك يقول الشيخ الباقورى ـ رحمه الله ـ : إن من حق المسلم، الذى قطع شهر رمضان صائما، ملتزما حدود الله فيه أن يفرح بانتصاره على نفسه، فالانتصار على النفس أشد تمنعا من الانتصار على الأعداء(٢).

العيد جائزة من الله للمسلم الصائم الذى انتصر على نفسه وشيطانه وشهواته

والعيد من ناحية أخرى فرصة ليجدد فيه المسلم ـ بالمتعة الحلال ـ نشاطه، بما يفيض عليه فى هذا اليوم من البهجة والحبور، والفرح والسرور.

ومن ناحية ثالثة، فهو مناسبة اجتماعية عظمى، حيث يلتقى فيه المسلمون، من أقارب ومعارف وأصدقاء وجيران، أولئك الذين باعدت بينهم دروب الحياة وظروف العمل والاجتهاد، فيتقابلون فى هذا اليوم ليتصافحوا وينطلقوا فى مسرة متحابين متعاطفين يتزاورون ويتسامرون ويملأون حياتهم فى هذا اليوم بهجة وجمالا. وهو أيضا فرصة هائلة لتبخير ما تعكر من صفو بين المسلم وأخيه لإعادة ما انقطع من ودّ بين المتخاصمين والمتشاحنين.

وفى هذا السياق يقول المفكر الكبير الأستاذ العقاد ـ رحمه الله ـ: الأعياد من المراسم المرعية فى جميع الأديان الكبرى؛ لأن الاشتراك فى الاحتفال بوقت من الأوقات يرعاه المتدينون جميعا هو بعض المعالم العامة التى لا غنى عنها فى كل عقيدة تدين بها الجماعة وتتعارف على شعائرها(٣).

العيد بين الصغار والكبار:

للكاتب الكبير، صاحب الأسلوب المشرق،

والبيان الناصع، أحمد حسن الزيات - رحمه الله - مقال نادر، نشره بمجلته ذائعة الصيت «الرسالة»، ينتقد فيه أحوالنا وسلوكنا حيال أعيادنا منذ أكثر من سبعين عاما، فهل تبدل الحال؟ يقول الزيات: لولا مرح طافر يقوم به الأطفال فى العيد؛ لعطلة المدارس، وجدة الملابس، وسحر النقود، وفتنة اللعب لمرّ كسائر الأيام حائل اللون، تافه الطعم، بادى الكآبة!

ثم يردف الزيات: فليت شعرى ماذا حاق بنا من الأحداث والغير حتى غاضت ينابيع المسرة فى القلوب، وماتت أحاسيس البهجة فى النفوس، وتحللت أواصر المودة بين الناس، وآل أمر العيدين - وهما ما بقى فى أيدينا من مظاهر الوحدة الدينية والعزة القومية - إلى هذه الصورة الطامسة والحال البائسة؟!

لا نستطيع أن نتهم حسرة الحزن على الماضى وذلة الضعف فى الحاضر. كذلك لا نستطيع أن نتهم المادية والمدنية، فإنهما - وإن جنتا على بعض الأخلاق الكريمة كالإخاء والإخلاص والمروءة والرحمة - لم تجنيا على نزعات السرور فى النفوس، ولم تقضيا على غرائز اللهو فى الطباع، بل ازداد الناس بهما فى ذلك شراهة وحدة، إذن ماهى الأسباب الصحيحة التى مسخت حياتنا هذا المسخ، وشوهت أعيادنا هذا التشويه، فجعلت أظهر المظاهر فيها خروفا يذبح ولا يضحى، ومدافع تساعد المآذن ولا تجاب، وأياما كنقاهة المرضى كل ما فيها همود ونوم وأكل؟!

ثم يحاول الزيات أن يجد تعليلا لذلك فيقول: الحق أن لذلك أسبابا مختلفة، ولكنها عند الروية والتأمل ترجع إلى سبب رئيسى واحد: هو غيبة المرأة عن المجتمع الإسلامى.. ذلك السبب هو علة ما نكابده من جفاء فى الطبع وجفاف فى العيش وجهومة فى البيت وسآمة فى العمل وفوضى فى الاجتماع(٤).

دولة الإسلام هى دولة التحاكم إلى الرحم الواحدة دولة الصفاء الروحى والاستقامة القلبية

ونحن بدورنا نختلف مع أستاذنا الراحل العظيم، فى وجهة النظر هذه - مع حرصنا الشديد لتفعيل دور المرأة الملتزمة، وتواجدها فى المجتمع المسلم، فها قد انطلقت المرأة من حجابها فى بيتها، وتواجدت فى الطريق والعمل بل والنادى والملهى، وكل مكان يتواجد فيه الرجل، فهل آلت أعيادنا وأحوالنا إلى غير ما كانت عليه منذ أكثر من سبعين عاما؟!

إن الإحساس الحقيقى ببهجة العيد السعيد إنما يشعر بها ويخبرها جيدا، من أرضى به، وأدى واجبه نحو ما افترضه عليه من فرائض وتعاليم، فيشعر براحة الضمير، ويفرح بنجاحه فى ذلك الامتحان، فيصطبغ كل سلوك يسلكه فى هذا اليوم بطابع الفرح والسعادة والسرور، وتلك هى حقا الجائزة.

الهوامش:

١ - الشيخ محمود شلتوت (١٩٨٣م). من توجيهات الإسلام. الطبعة السابعة. دار الشروق بالقاهرة ص٤١٥.

٢ - الشيخ أحمد حسن الباقورى (١٩٧١م). مع الصائمين. دار الشعب بالقاهرة. ص١٤٥.

٣ - الأستاذ عباس محمود العقاد (١٩٦٢م). العيد فى الدين وفى اللغة. مقال نشر فى مجلة الأزهر، الجزء العاشر من المجلد الثالث والثلاثين. ص١١٦٣.

٤ - الأستاذ أحمد حسن الزيات (١٩٣٣م): فى العيد. مقال نشر بمجلة: «الرسالة» بتاريخ ١٥ أبريل من عام ١٩٣٣م.

من نماذج الفكر الخبيث (٢)

كتاب «تجمع الإسلام»

أ. د. محمد عمارة

ليس هذا المنهج الاستشراقى - الذى سلكه المؤلف اليهودى «مارتن كرامر» بدعا فى الدراسات الاستشراقية الحديثة التى تناولت وتتناول تاريخنا الحديث.

بل لا أغالى إذا قلت إن سيل الكتابات الغربية عن رواد اليقظة الإسلامية - وخاصة مدرسة الجامعة الإسلامية - الأفغانى وتياره - وهى الكتابات التى كثرت فى العقود الأخيرة، دون سبب منطقى، إنما جاءت لتهيل التراب على سيرة وانجازات هؤلاء الرواد، لا لمجرد التأريخ السلبى لحياتهم وأعمالهم.. وانما لزرع اليأس والاحباط فى اليقظة الإسلامية المعاصرة؟!.. فهذه الكتابات تريد أن توحى للمعاصرين:

إذا كان الفشل هو صنيع الرواد «العظام» الذين تفتخرون بهم.. ترى هل ينتظركم سوى نفس المصير؟!..

● **إن جمال الدين الأفغانى** (١٢٥٤ - ١٣١٤هـ - ١٨٣٨ - ١٨٩٧) الذى ارتاد لهذه الأمة - فى مواجهة الإعصار الغربى - طريق التجديد والإحياء لإخراجها من التخلف الموروث، ومن تقليد سلف التراجع الحضارى، ليصوغ لها خيارا إسلاميا فى النهضة يحفظ عليها هويتها كى لا تمسخ وتنسخ بالخيار الغربى فى التقدم على درب التبعية؟!..

إن الأفغانى هذا - فى كتاب «مارتن كرامر» لا يعدو أن يكون حالما.. يلتف حوله ثلة من «البابيين» المنحرفين عن الإسلام.. كانت حياته سلسلة من الفشل والإحباط؟!

● **ورشيد رضا** (١٢٨٢ - ١٣٥٤هـ - ١٨٦٥ - ١٩٣٥م) تظلله - فى هذا الكتاب - علامات استفهام حول حجم المبالغ المالية - من الجنيهات الاسترلينية - التى استأجره بها الملك عبدالعزيز آل سعود (١٢٩٣ - ١٣٧٢هـ - ١٨٧٦ - ١٩٥٣م)؟!.

● **وأمين الحسينى** (١٣١٣ - ١٣٩٥هـ - ١٨٩٦ - ١٩٧٥م) يبدو وكأن همه الأكبر أن يرتفع على أكتاف الآخرين، حتى لا يبرز على الساحة سواه؟!..

● **أما شكيب أرسلان** (١٢٨٦ - ١٣٦٦هـ - ١٨٦٩ - ١٩٤٦م) فإنه - بنظر الكاتب اليهودى - عميل الديكتاتور موسولينى (١٨٨٣ - ١٩٤٥م) وأداة المحور فى صفوف الإسلاميين؟!.. إلخ.. إلخ..

وأمام هذا المنهج الذى يتسلل إلى عقول المعاصرين بروح الهزيمة، عندما يهيل التراب على الرموز التى بها يقتدون.. من حقنا أن نتساءل:

● مَنْ غير مدرسة هؤلاء الأعلام حفظ لهذه الأمة روح المقاومة والاستعصاء على تبعية الاستلاب الحضارى ومسخ التغريب؟!..

وعندما نرى اليوم التيار العلمانى المتغرب - رغم رعاية الاستعمار له ودعمه لمؤسساته - يتحول إلى قلة تحتمى، علنا، بجذورها الغربية، فى مواجهة مد اليقظة الإسلامية المعاصرة.. عندما نرى هذه الثمرة الحلوة.. ألا نتذكر باذر بذرتها وغارس شجرتها جمال الدين الأفغانى، الذى علمنا: «أن المقلدين من كل أمة، المنتحلين أطوار غيرها، يكونون فيها: منافذ لتطرق الأعداء

إليها.. وطلائع لجيوش الغالبين وأرباب الغارات، يمهدون لهم السبيل، ويفتحون الأبواب، ثم يثبتون «أقدامهم»؟!..

وألا يحق لنا أن نتساءل: من الذى انتصر فى هذه المعركة العظمى: الأفغانى ومدرسته؟!.. أم أدوات التغريب المنتحلون أطوار الحضارة الغربية؟!..

وعندما يعترف كتاب غربيون - وعلى مضض - والغيظ يتملك الكثيرين منهم - بأن التصنيع الحديث والعلم اللذين قضيا - تقريبا - على الإيمان الدينى، قد فشلا فى الوصول إلى هذه النتيجة مع الإسلام.. الذى أثبت أنه مقاوم للعلمنة، والذى احتفظ بسيطرته على قلوب أمته، حتى أنه الآن أقوى مما كان منذ مائة عام - (مجلة «شئون دولية» - الإنجليزية - عدد يناير سنة ٩٢م) - .. ألا يحق لنا أن نتساءل:

من الذى خط سبيل المقاومة الإسلامية للعلمنة الغربية؟!.. وألا ترد إلى أذهاننا كلمات الإمام محمد عبده (١٢٦٥ - ١٣٢٣هـ - ١٨٤٩ - ١٩٠٥م) المؤكدة على تميز طريقنا للنهضة، تميزه بالإسلام، عن طريق العلمانية الغربية، وهى التى قال فيها: «إن أنفسنا قد أشربت الانقياد إلى الدين، حتى صار طبعا فيها، فكل من طلب إصلاحها من غير طريق الدين فقد بذر بذرا غير صالح للتربة التى أودعه فيها، فلا ينبت، ويضيع تعبه، ويخفق سعيه. وأكبر شاهد على ذلك ما شوهد من أثر التربية التى يسمونها أدبية - من عهد محمد على إلى اليوم - فإن المأخوذين بها لم يزدادوا إلا فسادا - وإن قيل إن لهم شيئا من المعلومات - فما لم تكن معارفهم العامة وآدابهم مبنية على أصول دينهم فلا أثر لها فى نفوسهم»!

وألا يحق لنا أن نتساءل: من الذى انتصر على هذه الجبهة - جبهة الهوية الإسلامية لمشروع النهضة - تجمع الإسلام؟ أم مناوئوه؟!..

وعندما نقارن بين ما بيته وأعلنه الاستعمار الفرنسى للجزائر - وعموم المغرب العربى - من اقتطاع يجعل منها الامتداد اللاتينى عبر المتوسط، الذى تسود فيه حضارة الصليب على أنقاض حضارة الهلال - كما قال الكاردينال الفرنسى «لافيجرى» سنة ١٩٣٠م - عندما نقارن هذا المخطط بما حدث من عودة هذه المنطقة إلى أحضان العروبة والإسلام.. ألا نتذكر دور ابن باديس (١٣٠٥ - ١٣٥٩هـ - ١٨٨٧ - ١٩٤٠م) وجمعية العلماء؟!.. وإذا تذكرناهم، ألا نتذكر دور حلقة الوصل بينهم وبين الأفغانى ومدرسته: أمير البيان شكيب أرسلان؟!.. أم أنه لا يعدو أن يكون عميلا للدوتشى موسولينى؟!..

وإذا علمنا دور الفكر فى مقاومة الإسلام وأمته للاجتياح الغربى.. ألا نتذكر دور «منار» رشيد رضا؟! وهل رعاية هذه المدرسة - على امتداد أربعة عقود - حتى أسلم رايتها الشيخ حسن البنا (١٣٢٤ - ١٣٦٨هـ - ١٩٠٦ - ١٩٤٩م) هى عمالة مدفوعة الأجر من الملك عبدالعزيز آل سعود؟!.. وهل هذه هى أكاديمية الباحثين اليهود؟!..

***

لكننا.. ورغم المنهج الاستشراقى، الذى سلكه مؤلف هذا الكتاب، كى يشيع اليأس والقنوط من قدرة المسلمين على الانتصار فى مواجهة التحدى الغربى.. نتعلم من هذا الكتاب الكثير.

● فمن هذا الكتاب نتعلم استراتيجية وضعتها انجلترا، منذ القرن التاسع عشر الميلادى، وصاغها «رونالد ستورز» - وكان واحدا من رجالات بريطانيا الذين يتعاملون مع تمزيق الدولة العثمانية بين تيار عربى، يقوده الشريف حسين بن على (١٢٧٢ - ١٣٥٠هـ - ١٨٥٦ - ١٩٣١م) وتيار إسلامى يمثله السلطان العثمانى -.. صاغ «رونالد ستورز» هذه الاستراتيجية الاستعمارية - التى احتذاها كل المستعمرين لعالم الإسلام من بعده - فى عبارة موجزة تقول: «يجب وضع أقوى نفوذ روحى بين يدى أضعف القوى الدنيوية»؟!.. أى تجب الحيلولة بين اجتماع الطاقات الروحية والحضارية مع الطاقات المادية والدنيوية فى سلطة واحدة أو دولة واحدة من حكومات وبلدان عالم الإسلام!.. لأنه إذا

كان الشرق يمتلك طاقات روحية وحضارية.. ويمتلك طاقات مادية وإمكانات دنيوية.. فإن الحيلولة دون اجتماع كل منهما فى دولة واحدة وسلطة واحدة، هو السبيل إلى تكريس شل طاقات الحضارة والروحانية بالفقر المادى، وإعجاز الطاقات المادية بالفقر الروحى والحضارى؟!..

تلك واحدة من الحقائق التى علينا أن نتعلمها من هذا الكتاب.. والتى يجب أن نستحضرها ونحن نتأمل خريطة التركزات والإمكانات الحضارية.. والطاقات المادية.. وكيف وأين ولماذا يكون الحرص على بقاء النمو الروحى بلا سند مادى.. وعلى بقاء النمو المادى بعيدا عن تعاظم الطاقات الروحية والحضارية!..

وعلمنا بهذه الحقيقة وتعلمنا إياها وتدبرنا لها ضرورى لموقف مطلوب نسعى فيه وبه إلى تكامل طاقات الأمة الروحية والمادية من أجل النهوض والانعتاق من أسر التخلف والضعف اللذين يمسكان منا بالخناق.

ومما نتعلمه أيضا من كتاب «تجمع الإسلام» حقيقة وحدة الأمة الإسلامية فى العقيدة والحضارة والهوية تلك التى رسخت مفهوم الأخوة الإسلامية حتى لقد استعصى هذا المفهوم واستعصت هذه الحقيقة على مخطط الغرب لتمزيق عالم الإسلام بالمفاهيم الضيقة «للوطنية» و«القومية» ذات المضامين العلمانية، التى أراد بها الغرب تقديم بدائل غربية لمفهوم «أمة الإسلام» و«دار الإسلام».. فلقد ظل الإسلام جنسية وقومية ووطنا لكل المسلمين..

وعن هذه الحقيقة التى رعتها وغذتها «المؤتمرات الإسلامية»، التى أقامتها النخبة والصفوة من علماء الأمة، يقول «مارتن كرامر»:

«إن القومية الإسلامية تتميز بخاصية الأصالة، فلم تكن تقليدا حديثا، ولكنها نسجت من المفهوم التقليدى للأمة، أى أمة الإسلام العالمية، التى لا تنفصم عراها.

وقد مثلت هذه المؤتمرات تحديا دائما، من جانب الشخصيات الإسلامية المتفتحة للتقسيم التعسفى للعالم الإسلامى من جانب الدول الأجنبية، وهو تقسيم قبله على الفور الوطنيون العلمانيون.. وهذه المثالية، المتعلقة بالوحدة، التى غذتها رياح التغيير، وقد وجدت لها ملاذا فى مناقشات وأعمال المؤتمرات الإسلامية، وبذلك وجهت تحديا كامنا للوطنية الضيقة ولتفكك العالم الإسلامى إلى عشرات الدول»؟!.

وإذا كنا ننبه على مافى هذا الكتاب من منهج يشيع روح اليأس من ثمرات مؤتمرات الإسلام وتجمع المسلمين.. حتى ليقول مؤلفه - على لسان البعض - إن الثمرة هى: «صفر»، لأن العرب لا يجتمعون إلا على الاختلاف فى كل شىء؟!..

إذا كنا ننبه على مخاطر هذا المنهج.. فإننا ننبه كذلك على مخاطر الاستنامة والاستكانة إلى ما أشار إليه من نجاحات حققتها جهود النخبة الإسلامية من خلال هذه المؤتمرات.

● فتحدى «الوطنية والقومية» - العلمانية - التجزيئية» لايزال قائما فى مواجهة مفهوم «وحدة الأمة» ووحدة «دار الإسلام».. بل إنه يتزايد حدة وشراسة فى ظل ما يشهده عالمنا المعاصر من متغيرات.

● ومفهومنا لوحدة الأمة فى العقيدة والحضارة.. ولوحدة «دار الإسلام» يجب أن يتحدد ويتبلور، حتى يبرأ - لا من التشرذم القطرى وحده - بل ومن مفهوم «الدولة المركزية الواحدة» أيضا - ففى تراث أمتنا السياسى والحضارى والتاريخى - حتى على عهد ازدهار الخلافة الإسلامية الجامعة، عرفت أمتنا وبلادها «الوحدة» و«التميز»، ولم تكن الخلافة الواحدة بنافية لتميز الولايات والعمالات والأقاليم.

فالدين الواحد فى «الأصول» عرف التعددية فى «الفروع».. على النحوالذى ربط بينهما بالعروة الوثقى!..

والأمة الواحدة فى «العقيدة والحضارة» عرفت التعددية فى «القبائل والشعوب والأقوام».. على النحو الذى وظف التعددية سبيلا للتعارف لا للتناقض والقضاء!..

فهل نحيى ونبلور نموذجنا الخاص فى وحدة «دار الإسلام»، مع التعددية فى «الأقطار والأقاليم»؟.. إنه واحد من التحديات المطروحة أمام العقل المسلم المعاصر، ليحقق ويجسد (تجمع الإسلام).

الظلم وعاقبة الظالمين

فضيلة الشيخ/ فوزى فاضل الزفزاف

ما أقسى ما يعانيه المظلوم من عذاب!! وما أمرّ ما يتجرعه من كأس!!. ولقسوة وقع الظلم على المظلومين. والمرارة التى يتجرع كأسها المظلومون. والاحساس بالغبن والألم الذى يكابده المظلومون حرم الاسلام الظلم تحريما قاطعا. وتوعد من يرتكبه بالعقاب الشديد، والعذاب الأليم، وبلغ من شدة تأكيد الاسلام على تحريم الظلم أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قرن تحريم الظلم على نفسه بأمر العباد بتحريم الظلم فيما بينهم. فعن أبى ذر رضي الله عنه عن النبى ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادى: إنى حرمت الظلم على نفسى، وجعلته بينكم محرما. فلا تظالموا. يا عبادى: كلكم ضال إلا من هديته. فاستهدونى أهدكم. يا عبادى: كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعمونى أطعمكم. يا عبادى: كلكم عار إلا من كسوته. فاستكسونى اكسكم. يا عبادى: إنكم تخطئون بالليل والنهار. وأنا أغفر الذنوب جميعا. فاستغفرونى أغفر لكم. يا عبادى: إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى. ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى. يا عبادى: لو أن أولكم وآخركم. وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم. ما زاد ذلك فى ملكى شيئا. يا عبادى: لو أن أولكم وآخركم. وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم. ما نقص ذلك من ملكى شيئا. يا عبادى: لو أن أولكم وآخركم. وانسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر. يا عبادى: إنما هى أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها. فمن وجد خيرا فليحمد الله. ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» مسلم والترمذى وابن ماجه.

ويحذرنا رسول الله ﷺ من الظلم، ويصف لنا سوء عاقبته يوم القيامة، فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**إياكم والظلم فإن الظلم هو ظُلمات يوم القيامة، وإياكم والفُحْش فإن الله لا يحب الفاحش والمتفحّش، وإياكم والشُح فإن الشح دعا مَنْ كان قبلكم فسفكُوا دماءهم، واستحلُّوا محارمهم**» ابن حبان فى صحيحه والحاكم.

والظالم الذى يستغل موقعه، أو يستغل قوته، أو يستغل غلبته بعد أن تَمكّن الشيطان منه وسخّره أداة للشر، وجعله مناعا للخير، معتد أثيم يعتدى على حقوق الآخرين، ويسلب مالهم أو عرضهم أو شرفهم، إشباعا لغروره، وإرضاء لنزواته، وإظهارا لبطشه وجبروته، واستغلالا لما يملك من سلطة اتخاذ القرار، ومحاباة لنفسه أو لأقربائه أو لأصدقائه،

> **قَرَن الله تعالى تحريم الظلم على نفسه بأمر العباد بتحريم الظلم فيما بينهم**

أو إرضاء للحكام والرؤساء، هذا الظالم قد عمى بصره، وفرغ قلبه، وأفقده طبعه الدنئ، ونفسه الأمارة بالسوء، وغروره بدنياه الفانية... أفقده كل ذلك خشية الله والخوف منه، وأنساه قول الله تعالى: ﴿**ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار* مهطعين مقنعى رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء**﴾ الآيتان ٤٢، ٤٣ سورة إبراهيم.

وللمعاناة التى يكابدها المظلوم، وللجراح التى يقاسى آلامها

المظلوم، أقسم الله بذاته على ذاته بالاستجابة لدعوة المظلوم ونصرته، حتى لو كان المظلوم فاجرا أو كافرا... فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثةٌ لا تُردُّ دعوتُهم: الصائم حتى يُفطر، والإمام العادل، ودَعْوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرَّب: وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين»** أحمد والترمذى وابن ماجه.

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجرا، ففجوره على نفسه»** أحمد.

وعن أبى عبد الله الأسدى قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: **«دعوة المظلوم وإن كان كافرا ليس دونها حجاب»** أحمد.

وقد يزداد غضبُ الله على الظالم فيؤخر عقابه بعض الوقت، فيتمادى الظالم فى غيّه وهو غير مُدْرك أن الله يُمهله ليزيده عقابا وعذابا، فعن أبى موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله يُملى للظالم فإذا أخذه لم يُفْلته، ثم قرأ: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾** آية ١٠٢ سورة هود.

هذا فى الدنيا، أما فى الآخرة فهو الخسران المبين، والعذاب المقيم، فعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«مَنْ كانت عنده مظلمة لأخيه من عِرْضه أو من شئ فليتحلّله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولادرهم، إنْ كان له عملٌ صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحُمل عليه»** البخارى.

عاقبة الظلم لا تصيب الظالم وحده بل ومن رأى الظلم ولم يهب لنصرة المظلوم

ولقد حذرنا رسول الله ﷺ من أن الأفعال والأعمال الحسنة التى يثاب الإنسان على فعلها، قد لا يكون له نصيب منها عند الحساب فى الآخرة، لأن حسنات هذه الأفعال والأعمال ستؤخذ منه إن كان ظالما وتعطى للمظلومين... بل وأكثر من ذلك: عندما تنتهى حسناته ومازال عليه حقوق للآخرين، فتطرح من سيئات أصحاب الحقوق عليه، فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«أتَدرون من المُفْلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس منْ أمتى يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنيت حسناته قبل أن يَقْضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه، ثم طُرح فى النار»** مسلم.

وعاقبة الظلم وشره، وسيئاته البالغة، وحسابه الشديد لا تقع على الظالم وحده، بل يشاركه فى الحساب والعقاب مَنْ أعان الظالم على الظلم وزينه له، بل ومن رأى وعلم وشاهد الظلم يقع على المظلوم ولم يهب يدافع عنه، فعن جابر وأبى طلحة - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: **«ما منْ مُسلم يَخْذُل إمرءا مسلما فى موضع تُنْتَهك فيه حُرْمَتُه، ويُنْتَقص فيه منْ عرْضه إلا خَذَله الله فى موطن يُحب فيه نُصرتُه، وما من امرئ يَنْصُر مسلما فى موضع يُنتقص فيه من عرْضه ويُنتهك فيه من حُرْمة عرْضه إلا نصره الله فى موطن يُحب فيه نُصْرته»** أبو داود.

وعن عكرمة عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه، ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضـره ولم يدفع عنه**» الطبرانى والبيهقى.

والضرب هنا يشمل الضرب الحسى والضرب المعنوى، مثل: اغتصاب الظالم مال المظلوم والاعتداء على عرضه، أو منع الظالم المظلوم من أخذ حقه فى العمل، أو احتكار الظالم وتحايله على الاستيلاء على المال العام لنفسه دون وجه حق ومنعه عن القائمين على شئونه الذين لهم الحق فيه بحكم طبيعة عملهم... إلخ.

رُوى عن عبد الله «يعنى ابن مسعود رضي الله عنه» عن النبى ﷺ قال: «**أُمر بعبد من عباد الله يُضرب فى قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل ويدعو حتى صارت جلدة واحدة، فامتلأت قبره عليه نارا، فلما ارتفع عنه وأفاق قال: عَلاَم جلدتُمُونى؟ قال: إنك صليت صلاة بغير طهور، ومررت على مظلوم فلم تنصره**» ابن حبان.

وإذا تفشى الظلم فى مجتمع من المجتمعات، وتخاذل أفراد المجتمع عن منع الظالمين من ظلمهم، عمت نقمة الله على هذا المجتمع، وذاق أفراده الذل والهوان، وحرموا نعم الله، وأغلقت رحمة الله أمامهم .فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**لا تَظْلموا فَتَدعُوا فلا يُستجاب لكم، وتَسْتَسقوا فلا تُسقُوا، وتستنصروا فلا تُنصروا**» الطبرانى.

إذا تفشى الظلم فى مجتمع وتخاذل الناس عن نصرة الحق عمت النقمة المجتمع بأسره

ولقد أكثر القرآن الكريم فى النهى عن الظلم وتحريمه، والتحذير من سوء عاقبته فى الدنيا والآخرة، فقد وردت مادة «ظلم»وتصرفاتها: يظلم، ظالم، مظلوم، ظالمون، تظلمون...إلخ فى مائتين وتسع وثمانين آية من سور القرآن الكريم.... كما وردت مادة قَسَط يقسط بمعنى جار وحاد عن الحق فى آيتين من سور القرآن الكريم.

وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على مدى التحذير من الظلم وسوء العاقبة.

هدانا الله إلى الحق والصواب، وأرشدنا إلى الصراط المستقيم، وجنبنا الزلل والوقوع فى إثم الظلم والظالمين، وأعاننا على منع الظلم وعلى نصرة المظلوم... وصلاة وسلاما عليك يا سيدى يا رسول الله فقد أرشدتنا إلى منهج الإسلام فى نُصرة الظالم والمظلوم. فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**انصر أخاك ظالما أو مظلوما، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوما، أفرأيت إن كان ظالما كيف أنصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه عن الظلم فإن ذلك نَصْره**» البخارى ومسلم.

ويرشدنا رسول الله ﷺ إلى دعاء يقوله من يخاف الظالم، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إذا تَخَوف أحدُكم السلطان فليقُل: اللهم ربَّ السموات السبع وربَّ العرش العظيم، كُنْ لى جارا من شرّ فُلان بن فلان «يعنى الذى يريده» وشر الجن والإنس وأتباعهم، أنْ يَفْرُط عَلَىّ أحد منهم، عَزَّ جارك، وجَلّ ثناؤك، ولا إله غيرك» الطبرانى.

الإحسان فى القرآن الكريم

السيد أحمد أبو الفضل عوض الله

الإحسان مشتق من الحسن، وتدور مادته في اللغة حول الجمال في كل شيء، والإحسان ضد الإساءة وهو يحسن الشيء إحسانا أي يعلمه، وهو محسن، والحسنة ضد السيئة، واستحسنه عده حسنا، ومن معاني الحسني النظر إلي الله - عزوجل - والظفر والشهادة والعاقبة الحسنة (القاموس المحيط مادة «حسن»).

ويمكن انطلاقا من هذا أن نطلق الإحسان علي الإخلاص، فالمحسن للشيء إنما يخلص فيه ويخرجه علي وجه جميل، ويراقب الله فيه ويتقيه، وقيمة كل امرئ ما يحسنه أي يتقنه، والمحسن أيضا هو الذي يعطي لمن يجوز عليه الإحسان، وهو بهذا مخلص لله متعبد له، يود تجميل الحياة وقد سأل جبريل رسول الله ﷺ ما الإحسان؟ فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (رواه البخاري في باب الإيمان)، فالإحسان كما يفهم من الحديث إخلاص النية لله ومراقبته وهو ضد الإساءة، وعلم بمواقع الحسن والاستحسان.

والإحسان عند الصوفية هو درجة المراقبة، وهى الدرجة التى يشعر فيها المريد أن الله يراقبه فى كل شىء ويراه فى كل تصرفاته، ويطلع عليه فى كل عمل يعمل أو يدع. أو أنه يرى الله ويشاهده ويتجه إليه بكل جوارحه وأعماله وسلوكه، حتى لم يعد يود أن ينفلت عن الاتجاه إليه، جذب قلبه، ونوازعه فاتجهت إليه، وشاهدت أنواره فلا يروم بعدا. ولا يبغى حولا، وهذه مرتبة أسمى فى الحب والقرب.

والإحسان أيضا هو مرتبة التقوى وهى مرتبة الأولياء ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون* الذين آمنوا وكانوا يتقون* لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة﴾ يونس: الآيات ٦٢ ـ ٦٤.

والحسن يطلق وصفا للخلق والخالق: ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ غافر: آية ٦٤، ﴿لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم﴾ التين: آية ٤، ﴿الذى أحسن كل شىء خلقه﴾ السجدة: آية ٧، ﴿ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ المؤمنون: آية ١٤، ووصفا للرزق: ﴿والذين هاجروا فى سبيل الله

ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا﴾ الحج: آية ٥٨، ووصفا للوعد: **﴿ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا﴾** طه: آية ٨٦، ووصفا للأجر: **﴿ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا﴾** الكهف: آية ١١، ووصفا للمتاع: **﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا﴾** هود: آية ٣، ووصفا للنبات: **﴿وأنبتها نباتا حسنا﴾** ووصفا للقرض **﴿من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة﴾** البقرة: آية ٢٤٥.

والإحسان يطلق وصفا للعمل: **﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾** الكهف: آية ٣٠، ووصفا للخلق وللمثوى: **﴿إنه ربى أحسن مثواى﴾** الكهف: آية ٣٠، ووصفا للتعامل **﴿فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان﴾** البقرة: اية ٢٣.

ولأن الإسلام ينشد للمجتمعات الخير والهناءة. والتحاب والسعادة، ويوفر لها كل ما يندبها ويطهره بالمودة والقربى، وإشاعة الطمأنينة والوئام، والألفة والتآخى النبيل حرص على أن يكون الإحسان أساس كل شىء من مبدئه إلى منتهاه. وأن يكون مبذولا فى المجتمع كله، وأن يشيع ويذيع، وأن تستقر دعائمه، وترسخ أسسه وينمو عوده ويخضر. ويفرع ويثمر ويؤتى أكله وأن يكون دأب كل من يعطى، ويعطى له على السواء، فأوصى به فى كل شىء، ودعا إليه فى كل عمل، ونادى به فى كل فعل، وشرعه فى كل ما يقبل عليه المرء أو يحاول الإقبال عليه، حتى صار مظلة من الجمال والحسن، والرخاء والخير الاجتماعى العظيم.

فهناك دعوة إلى الإحسان المطلق: **﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾**، **﴿وأحسن كما أحسن الله إليك﴾**، وهناك الإحسان فى القول **﴿وقولوا للناس حسنا﴾**، **﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين﴾**، **﴿وقل لعبادى يقولوا التى هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم﴾**، وإحسان فى العمل: **﴿الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾**، **﴿إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا﴾**، وإحسان فى السلوك: **﴿ادفع بالتى هى أحسن السيئة﴾**، وإحسان فى الدعوة إلى الله: **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾**، وإحسان فى المجادلة **﴿وجادلهم بالتى هى أحسن﴾**، حتى مع غير المسلمين من أهل الكتاب **﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم﴾**، وإحسان فى الخصومة وفى الطلاق **﴿فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾**، وإحسان فى التحية **﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾**، وإحسان فى الجزاء **﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾**، **﴿ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون﴾**، **﴿ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون﴾**، **﴿ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله﴾**، وإحسان فى الشفاعة **﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها﴾**، وإحسان إلى الوالدين وبهما **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾** الإسراء: آية ٢٣، **﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا﴾** النساء: آية ٣٦، **﴿لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا﴾**، **﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا﴾**.

> **أوصى الإسلام بالإحسان فى كل شىء وفى كل عمل حتى صار مظلة للحُسن والخير الاجتماعى العظيم**

وتبلغ درجة الإحسان بالوالدين إلى أن يوصى الله به وأن يقرن عبادته وتوحيده به، فقد ورد

الإحسان بالوالدين والوصاية به مقرونين بعبادة الله فى الأسلوب القرآنى.

وإحسان فى الذبح والقتل يقول الرسول ﷺ فيما رواه مسلم عن أبى يعلى شداد بن أوس عن رسول الله ﷺ قال: «**إذا حكمتم فاعدلوا وإذا قتلتم فأحسنوا فإن الله محسن يحب المحسنين**»، وعن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة**» رواه مسلم وأخرجه الطبرانى من حديث آخر.

وديننا أحسن الأديان: وما عداه باطل ﴿**ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا**﴾ النساء: آية ١٢٥، ﴿**ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين**﴾ فصلت: آية ٣٤، والله سبحانه يقول: ﴿**ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن**﴾، ﴿**الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم**﴾ الزمر: آية ٢٣، ورغبة فى الحسن ودفعا إلى الإحسان وتجميلا وتحسينا للمجتمع المسلم أمر الله بالعدل وَالإحسان ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان**﴾، وأمرنا أيضا باتباع الأحسن ﴿**واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم**﴾، ليزداد نبع الصفاء وألق الوضاءة فى المجتمع «**ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى**».

والمحسنون لهم منزلة خاصة «**فالله مع المحسنين**» والله لا يضيع أجرهم ورحمة الله قريب من المحسنين، يحبهم الله ويبشرهم ويجزيهم ويزيد فى أجرهم ويرزقهم، ويصل القرآن بهم إلى درجة من التسامى الوضىء إلى درجة أن يكون القرآن أنزل لأجلهم وأن يكون خاصا بهم ﴿**تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين**﴾، ﴿**فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما**﴾.

صفات الأنبياء

ومن صفات الأنبياء أنهم محسنون ومتصفون بالإحسان قال تعالى فى شأن يوسف ﴿**ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين**﴾، ﴿**نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين**﴾، وفى إبراهيم ﴿**باركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين**﴾، ﴿**كذلك نجزى المحسنين**﴾، والمحسنون هم المتقون الصابرون ﴿**إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين**﴾، ﴿**واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين**﴾، ﴿**ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين**﴾، وهم الذين يكظمون الغيظ ويعفون عن الناس ﴿**والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين**﴾، ﴿**فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين**﴾ ويرتفع القرآن بالمحسنين إلى درجة العفو الكامل عنهم ﴿**ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم**﴾.

منزلة الحسنة

وللحسنة فى القرآن منزلة عظيمة تبدأ بالقدوة الحسنة ﴿**لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة**﴾، ﴿**قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم**﴾ الممتحنة: آية ٤، ﴿**لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة**﴾.

والحسنة ضد السيئة ﴿**ولا تستوى الحسنة ولا السيئة**﴾، والمسلم يعمل الحسنة ليجازيه الله عليها ولكنه يرى أن عمله لها لا يكون إلا بتوفيق الله ولطفه به ﴿**ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك**﴾، والمؤمنون دعاؤهم بالحسنة ﴿**ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة**﴾، ﴿**واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا إليك**﴾.

والنفوس المطمئنة بالله الواثقة به يسرها انصراف الجماعة والأفراد لعمل الخير وعكوفهم على تحقيق المزيد من الانتصار على السرائر

والنفوس فيدارون بالحسنة السيئة، ويتسامون فى عمل الخير وصنعه ليحققوا للبشرية نصيبا أكبر من السعادة والخير والنبل والهداية.

أما النفوس الشريرة الممتلئة غرورا وصلفا، الفائضة بالحقد والكبر والأنانية، والمتطلعة إلى العصيان والإعراض والكفر فهى التى يكبتها وصول الخير إلى الناس، ويدميها أن ينعموا ويسعدوا، ويؤرقها هدايتهم ورشدهم وعرفان الخير، وسيطرته على الشر، ورسوخ أسس الحب والتعاون، فتراهم يلوون القول ويحرفون الكلم ليًّا بألسنتهم، فهم **﴿يستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة﴾**.

ولقد قال صالح من قبل لقومه **﴿يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله﴾**، **﴿وإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه﴾**، **﴿إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون﴾**، إنهم يريدون أن تتسرب عدواهم الحاقدة الكارهة إلى نفوس الأخيار، وأن يعم الشر وتمتلئ منه جرار العالم ولكن الله يقول لرسوله ردا عليهم وبيانا لكيدهم واطمئنانا للقلوب وللنفوس المطمئنة بالله المسترشدة به **﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا﴾**.

ويؤكد القرآن على بيان هذه النفوس وكشفها **﴿إن تمسسكم حسنة تسؤهم، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا﴾**، ويبين القرآن انعكاس المفاهيم فى عقولهم، فهم ينسبون الشر إلى الرسول ﷺ ويرمونه بأنه مصدر السيئات، وإن كان هو مصدر حسناتهم **﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا* ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾** النساء: الآيتان ٧٨، ٧٩، والإسلام يقذف الحق على الباطل، ويفجر جوانب الخير فى الإنسان والجماعة والبشر جميعا حتى يعم ويسود، وله فى معالجة السيئة بالحسنة أسلوب رائع يتواءم ومختلف الأفراد وتطلعاتهم، فهو تارة يعبر بقوله تعالى: **﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾** الأنعام: آية ١٦٠، ومرة أخرى تراه يقول: **﴿من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون﴾** القصص: آية ٨٤.

وفى الآية الأولى بيان للقدر المضاعف، فالحسنة بعشر أمثالها، فليسارع هؤلاء.

وفى الآية الثانية إضمار القدر المجازى للحسنة، والاكتفاء فقط بأنه خير منها، وهذا نموذج آخر فى التربية، وهو أسمى وأعظم، وهو يتوافق مع الذين ينشدون النموذج الأسمى، ويقدرون الأمور بعيدا عن الحسابات والتوقعات.

وفى آية أخرى نرى القرآن الكريم يقول: **﴿ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم* وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾** فصلت: الآيتان ٣٤، ٣٥.

وفى آية أخرى يقول: **﴿ادفع بالتى هى أحسن السيئة﴾**. جاءت الثانية على أساس أنها جملة إنشائية لا مناقشة فيها، وهذا نموذج فى الترقى يوجه إلى الذين سمت بهم مرتبة اليقين، أو سما بهم يقينهم إلى درجة أخذ الأمور دون مناقشة أو جدل.

ومن هذا يتبين لنا أن القرآن الكريم يخاطب كل النماذج الإنسانية بفكرة واحدة ولكنه يقرن ويغرب حسب الواقع النفسى والإيمانى للفرد والجماعة، وحسب مكانتها الإيمانية أرأيت كيف جمل الإحسان وحسنت الحسنة الأفراد والجماعة والمجتمع المسلم، وسمت به ورقت إلى مكانة سامية من المودة والمحبة والإنسانية الغامرة، إنه الإسلام النموذج الأرقى فى الحياة والأكثر سموا بالنماذج والأفراد والجماعات الإنسانية.

من أعلام المصلحين

محمد البهى.. العالم الصارم!

الدكتور محمد محمد البهى

تمثل «الجدية» حلقة فولاذية فى سلسلة ممتدة ولامعة من القيم الإنسانية النفيسة!

وجدير بالذكر.. أن «الجدية» ليست تجهما ولا عبوسا.. وليست انفعالا ولا افتعالا!..

«الجدية» هى استقامة توجه، واستنفار إرادة!:

- استقامة توجه.. أيا كان فكرا أو فعلا أو قولا!

- واستنفار إرادة.. أيا كانت عزما أو حزما أو حسما!

إن «الجدية» بهذا المعنى هى الخط الحاد الفاصل بين العمل وكفاءة أدائه.. إتقانا وإتماما وتوقيتا.

ومن أسف، فإن «الجدية» تعد قيمة غائبة أو غائمة فى مجتمعاتنا العربية والإسلامية!:

- قيمة غائبة، لأنها تبدو موجودة افتراضا. أما حقيقة فهى مفقودة أو مفتقدة فى معظم مواقع حياتنا ومواضعها!

- وقيمة غائمة، لأنها تتراءى لنا من بعيد.. أما إذا اقترينا، فإنه يصعب تمييزها بسبب ما يشغب عليها من تسيب وتهاون!

كمال عبدالوهاب

ولذلك فنحن متأخرون متعثرون.. تابعون مقلدون!.. تراجعنا نحن، وتقدم الآخرون! صارت شواغلنا - كعالم متخلف - محاولات إنجاح محو أمية، وشواغلهم - كعالم متقدم - محاولات تحقيق سيطرة كونية. والمسافة بين الشواغل والشواغل تكاد تصبح فلكية!

هكذا - بالتراخى - صرنا.. وهكذا - بالجدية - أصبحوا!

ولكن، أليست هناك من بارقة أمل؟!

■

أيُّها السائر لا تُلْقِ العَصا
بل تَمَهَّلْ وتأمَّلْ وانتظرْ
عُدْ إلى الأعماق تكشف سرَّها
عُدْ إليها تلْقَ ما يَخْفَى ظَهَرْ
آه لو تَدْرى بما تملكُهُ
من كنوزٍ فى الحنايا تَسْتَتِرْ
عزمك الموثَق لو أطلقتَهُ
فى بحارٍ من لَظَى البَلْوى عَبَرْ
حقُّك المسلوبُ لو أدركتَهُ
لتَحدَّى كلَّ قَهْرٍ وانتَصَرْ(١)

■

والآن، معنا عالمٌ إسلامى ضخم، اتسمت شخصيته السوية بأنها «جادة»، و«حادة»!:

- «جادة» فى منهج معاملاتها فى الحياة، وما يستتبعه ذلك من

الإحساس الشديد إزاء مسئولية اتخاذ القرار.

- و«**حادة**» فى تصديها لأى خلل أو انحراف، فضلا عن عدائها لتيار الفكر المادى التاريخى والفكر الغربى الاستعمارى.

كان هذا العالم الكبير - فى تصورى - أشبه بالجراح الماهر، لا يعترف إزاء أى مشكلة إلا بالتدخل الجراحى الحاسم الذى يقطع لينظف ويبتر لينقذ!

■■

- **تُرى من هو العالم الصارم؟!(٢)**

إنه محمد محمد البهى. ولد يوم الخميس الثالث من شهر أغسطس ١٩٠٥م، فى قرية «أسمانية» التابعة لمركز شبراخيت بمحافظة البحيرة. وأتم حفظ القرآن الكريم فى سن العاشرة فى كتّاب القرية، ثم أتم تجويده فى دسوق فى سن الحادية عشرة.

وفى عام ١٩١٧م التحق بمعهد دسوق الدينى، حيث مكث فيه ثلاثة أعوام، وكان فى صحبة ابن خاله. وقع بعدها إضراب عام احتجاجا على احتلال الإنجليز لمصر، حيث استمر عامين لم يجر فيهما امتحان ولا دراسة، وعندما وزع طلاب المعاهد توزيعا إقليميا أصبح إقليم البحيرة تابعا لمعهد الإسكندرية.

وقد مكث فضيلته فى معهد الإسكندرية بقية الدراسة فى القسم الابتدائى ومدة الدراسة فى القسم الثانوى، وكان ترتيبه فى امتحان الثانوية الأزهرية الأول على طلاب الإسكندرية، يتذكر الدكتور محمد البهى هذه الفترة، فيقول: **«وفى الثلاث سنوات التى قضيتها فى معهد دسوق وقعت لى حادثة، ربما كانت ذا أثر فى حياتى فيما بعد. وهى أنى فى أول السنة التالية للسنة الأولى بالمعهد البرهامى دخلت امتحان القرآن الذى كان مقررا دخوله على جميع الطلاب كل عام فى أول السنة الدراسية ورسبت فى حفظه، وطلب إلىّ أن أدخل الامتحان بعد أسبوع من الامتحان السابق. وكان يرأس الامتحان شيخ المعهد المرحوم عبدالهادى مخلوف. وكان متشددا فى إصراره على أن يتقن الطالب الأزهرى حفظ القرآن، وكان على حق فى ذلك. وربط النجاح فيه بحصة الطالب فى الجراية، وبحصته فى صندوق النذور، وبحصة ثالثة من التبرعات.**

«فلما عرفت أن الحصول على هذا المبلغ مرهون بالنجاح كل عام فى حفظ القرآن الكريم امتنعت عن أن أتقدم للامتحان، وعرف ذلك شيخ المعهد عنى وحاول أن يرغبنى فى الدخول فى الامتحان. ولكن آثرت موقفى السابق.

«ومن هذا الوقت اتجه ابن خالى إلى تقييم المال بأكثر من قيمته، بينما اتجهت أنا إلى دفع إغرائه عنى مهما كانت الحاجة إليه».

■■

ثم انتقل محمد البهى إلى الأزهر الشريف ليتابع الدراسة فى السنة التالية مباشرة لحصوله على الشهادة الثانوية، ولكنه - بعد شهرين فقط من الدراسة فى القسم العالى كطالب نظامى - عمل على شطب اسمه من سجل الطلاب فيه، وتقدم مباشرة إلى امتحان درجة العالمية النظامية فى جميع مواد الدراسة فى القسم العالى، واستغرق الامتحان - فى ذلك الوقت - تسعة عشر يوما فى التحريرى والشفوى، وكان عدد المتقدمين من الخارج ٤٠٠ طالب نجح منهم أربعة فقط، كان هو الأول عليهم!.. عن هذه الفترة الانتقالية يعلق فضيلته قائلا:

«توكلت على الله وتخلفت عن نظام الحضور إلى القسم العالى، واخترت بعض المشايخ الكبار لأحضر عليهم الكتب الخاصة بالمواد الرئيسية فى سنوات القسم، وذهبت إلى درس الشيخ المرصفى فى علم الأصول، وصادف أنى جلست بجانب الشيخ حسين سامى، وكان يجيد مادة التفسير، وعرفت فيما بعد أن له مكتبة كبيرة فى جميع العلوم الإسلامية. وبمساعدته جمعت كتب المواد الدراسية التى تعتبر أفضل المراجع للشهادة العالمية.

«وتوكلت على الله وقللت من حضور الدروس فى الأزهر، واعتمدت على جهدى الخاص، وذهبت إلى مسجد الحسين فى الصباح، وبعد الظهر إلى صلاة المغرب.

«وهكذا قضيت ثمانية أشهر للإعداد لامتحان الشهادة العالمية، ثم أديت الامتحان التحريرى فى أربعة عشر يوما، والشفوى فى أربعة أيام. وكانت لجنة الشفوى مكونة من خمسة من كبار العلماء، والشيخ على النجار كان من بين أعضائها، وكان هو العضو الشافعى الوحيد. فلما جاءت مادة الفقه ضم إليه عضو آخر، وأخذ يناقشنى فى باب الشفعة، ولكن بصورة فيها تحد، وعندما كان يرفض إجابتى كانت تعابير وجهه ويديهِ تدل على غلظته. وانتهى أن أعطانى الدرجة الصغرى فى الفقه، بينما أعطيت فى كل مادة من المواد الأخرى مالا يقل عن الثمانية والثلاثين من الأربعين. وقد ظهرت النتيجة وحصلت على ترتيب الأول. وكان عدد الناجحين أربعة فقط من بين أربعمائة وثمانين

تقدموا لهذا الامتحان من خارج النظام».

ثم تقدم إلى قسم التخصص فى البلاغة والأدب، وأتم الدراسة فيه ثلاث سنوات، وحصل على ترتيب الثانى فى درجة التخصص فى أغسطس ١٩٣١م، وكان عمره آنذاك خمسة وعشرين عاما.

وعندما رأى مجلس مديرية البحيرة تخليد ذكرى الشيخ محمد عبده، وذلك بإرسال بعثة إلى ألمانيا لدراسة الفلسفة وقع الاختيار على الدكتور محمد البهى بسبب كتابته فى رسالة التخصص عن «أثر الفكر الإغريقى فى الأدب العربى.. نثرا ونظما».

وفى ٢٩ من سبتمبر ١٩٣١م سافر فضيلته من الإسكندرية على ظهر الباخرة «فيكتوريا» فى احتفال كبير أعده صاحب الفضل فى البعثة - عبدالسلام الشاذلى باشا - لتوديع أعضائها. وبعد خمسة أيام وصل إلى برلين، وهو لا يعرف كلمة واحدة من اللغة الألمانية ولا كلمة أخرى من أية لغة أجنبية. فعانى الكثير فى سبيل التفاهم على المعيشة فى هذه الأجواء الغريبة عليه أول الأمر.

ولكن الله قيّض له من ساعده على اجتياز هذه المحنة. وما انقضت ثمانية أشهر حتى أصبح يجيد اللغة الألمانية نطقا وكتابة، ثم تعلم اللغة الإنجليزية إلى جانب ما فرضته الجامعة فى هامبورج على المقيد اسمه فى الفلسفة من تعلم اللاتينية واليونانية القديمة.

وفى عام ١٩٣٦م، حصل فضيلته على الدكتوراه بدرجة «امتياز» فى الفلسفة وعلم النفس والدراسات الإسلامية، وعاد إلى القاهرة فى أغسطس ١٩٣٨م ليتولى مؤقتا - نظرا لحاجة أعضاء هيئة التدريس - وظيفة مدرس للفلسفة وعلم النفس.

وفى كلية أصول الدين تسلم جدول الدراسة لتدريس الفلسفة الإسلامية والإغريقية، كما تسلم جدولا آخر لتدريس علم النفس فى تخصص التدريس فى كلية اللغة العربية. وفى عام ١٩٥٠م نقل من كلية أصول الدين أستاذا لتدريس الفلسفة، فرئيسا لقسم الدراسات الفلسفية فى كلية اللغة العربية.

واستمر يباشر التدريس بجانب ما أسند إليه - فيما بعد - من مراقبة البحوث والثقافة الإسلامية بالأزهر، ومن إدارة الثقافة، ومن إدارة الجامعة. ثم انقطع عن تدريس الفلسفة فى الكلية ليتفرغ لأعمال وزارة الأوقاف وشئون الأزهر التى تولاها وزيرا فى ٢٩ سبتمبر ١٩٦٢م حتى خرج منها فى ٢٥ مارس ١٩٦٤م، فعين مديرا - للمرة الثانية - لجامعة الأزهر الجديدة، ولكنه استقال من أعمال الوظيفة، وآثر التفرغ لتدريس الفلسفة الإسلامية بكلية الآداب بجامعة القاهرة، إلى أن أحيل على المعاش فى ٣ أغسطس ١٩٦٥م، وهو فى الستين من عمره.

وعندما عرض عليه قرار مجلس الوزراء برئاسة السيد زكريا محيى الدين - آنذاك - بامتداد مدة خدمته لخمس سنوات أخرى.. آثر التفرغ للتأليف والاكتفاء بمعاشه. واستمر يباشر الكتابة والتأليف حتى آخر لحظة فى حياته.

● جهـــــاده(٣)

فى مسيرة كفاح الدكتور محمد البهى محطات عديدة، تمثل كل واحدة منها معركة بذاتها.. علينا أن نتمهل قليلا عند المرور على بعض هذه المحطات.. منها على سبيل المثال ما يلى:

المحطة الأولى: مشاركته فى مختلف المؤتمرات والندوات. فقد شارك فضيلته كعضو فى أعمال المجلس الأعلى للفنون والآداب. وكذلك شارك فى المؤتمر الثقافى الأول لجامعة الدول العربية بالإسكندرية عام ١٩٥٠م، وأيضا عضوا فى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر عام ١٩٦٢م، ومستشارا فى المؤتمر الإسلامى بالقاهرة. شارك فى الندوة الإسلامية العالمية بجامعة «برنستون» ومكتبة الكونجرس الأمريكى بواشنطن عام ١٩٥٣م، وفى الندوة الإسلامية العالمية بلاهور بباكستان عام ١٩٥٨م. وزار الملايو وإندونيسيا والفلبين فى صحبة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت عام ١٩٦١م.

شارك كأستاذ زائر بجامعة الرباط بالمغرب عام ١٩٦١م، وأستاذا زائرا لجامعة الجزائر وجامعة قسطنطينية بالجزائر ١٩٦٩/٦٨م، وأستاذا زائرا لجامعة ماكجيل بمونتريال، وجامعة قطر، وجامعة العين بالإمارات العربية فى سنوات متفرقة، كما شارك فى جميع مؤتمرات علماء المسلمين فى الداخل والخارج وبذل فى سبيل ذلك جهدا خارقا.

المحطة الثانية: المجالات التى دارت من حولها مؤلفاته. كان مهتما بتربية جيل متكامل على مبادئ

الإسلام، متمسكا فى كل ما يكتب بكتاب الله وسنة رسوله الكريم. لقد كتب فى الفلسفة الإسلامية، وفى العقيدة، والسلوك، والمجتمع، والفكر الإسلامى من جميع جوانبه الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والاقتصادية. وكشف أساليب أعداء الفكرة الإسلامية، ووضع البرامج والأساليب المؤدية لإقامة المجتمع المسلم الفاضل. وكان فى كل ما يكتبه حربا على العلمانية والكفر والإلحاد.

كان فضيلته عالما بلغة الغرب المسيحى الصليبى والعلمانى، عارفا بفكر الشرق الشيوعى الإلحادى. ولهذا تصدى لهذه الفلسفات الدخيلة على فكرنا الإسلامى، وذلك بعرضها - أول الأمر - ثم بكشف زيفها وخداعها البراق، وبعدها يطرح الحل الإسلامى الصحيح.

ثم اتجه إلى وضع التفسير الموضوعى للقرآن الكريم، كان له منهجه الخاص الذى خرج به عن إطار التفاسير التقليدية شكلا وموضوعا. وقدم بذلك رؤية جديدة لآيات الكتاب الكريم، عنى فيها بتصحيح المفاهيم والأفكار والسلوكيات.

ولم يحرص فى تفسيره للقرآن الكريم على ترتيب السور فى المصحف الشريف كما هو الشأن فى سائر التفاسير التقليدية الأخرى، وإنما بدأ بالسور المكية من منطلق أن القرآن المكى يمثل عقيدة الإسلام، والعقيدة هى الأساس فى بناء أى مجتمع.

من هنا اتجه الدكتور محمد البهى فى منهجه التفسيرى للقرآن بتقسيمه إلى مكى(٤) ومدنى، وجعل عنوان القرآن المكى فى تفسيره: «القرآن فى مواجهة المادية».

وكان فى ترتيبه - بعد الانتهاء من تفسير القرآن المكى - أن يقسم المدنى منه إلى قسمين: الأول: «القرآن فى بناء المجتمع»، والثانى: «القرآن فى تنظيم المجتمع».

وكانت النية معقودة بعد الانتهاء من تفسير القرآن كله بأقسامه الثلاثة أن يطبع التفسير كله فى مجلد واحد بعد إعادة ترتيبه حسب المصحف الشريف، مع التمييز - عند الطبع - بين كل قسم من أقسامه بلون مختلف. وبهذا يكون بين يدى القارئ تفسيرا فريدا للقرآن الكريم غير مسبوق!(٥).

■■

المحطة الثالثة: مواقف حية.. ناطقة وشاهدة!(٦)

كما هى العادة دائما فى أمر المصلحين عندما يقومون بإصلاح أو يأتون بجديد، فإن القديم سرعان ما يقاوم الجديد، محاولا القضاء عليه!.. فالناس - غالبا - يرفضون الجديد مادام يتعارض مع مصالحهم، والشر دائما يقاوم الخير ويرى فيه عدوانا عليه!!

لم يقسو الدكتور محمد البهى إلا على من يستحق، ولم يتسامح قط مع ظالم أو مقصّر، بل يقف دائما فى صف الضعفاء وأصحاب الحقوق، وإن أغضب ذلك الناس جميعا، ولم يكن يغضب منه إلا أصحاب الأهواء!

ويحضرنى فى هذا المقام واقعة:

■ اعتزم يوما القيام بجولة تفتيشية فى إحدى محافظات الوجه القبلى، وكعادته احتفظ بالأمر سرًا فلم يبح به لمخلوق، واستقل القطار المتوجه إلى تلك المحافظة دون أن يصحبه أحد، وعلى قدميه سعى حتى مديرية الأوقاف بها. وعندما همّ بعبور الطريق، لاحظ عن بعد امرأة فى العقد السادس من عمرها تحاول الدخول إلى المبنى الذى يقصده، ثم رأى يدا تمتد من وراء الباب المغلق لتدفع هذه المرأة فتسقط على الطوار.. وتقوم تنفض عنها التراب وتحاول الدخول ثانية.. ويتكرر المشهد المؤلم!.. اقترب منها وسألها عن أمرها، فأخبرته بأنها أرملة أحد موظفى الوزارة، وقد توفى زوجها منذ تسعة أشهر بعد أن ترك لها أولادا أربعة صغار. وأنها منذ وفاته وهى تتردد على المديرية لتسوية المعاش دون طائل.

وهدأ (رحمه الله) من خاطرها، وطلب منها الانتظار حتى يستدعيها، ثم دلف إلى مبنى المديرية ليبدأ تفتيشه المفاجئ، وقد رأى بنفسه - وعلى الطبيعة - مفاجآت من الفوضى!، ثم طلب الملف الذى حفيت المرأة طيلة الشهور التسعة فى السعى خلفه، فإذا به على الحال التى كان عليها يوم توفى صاحبه!.. فأصدر تعليماته - كتابة - بأن يرسل الملف فورا إلى ديوان الوزارة مع موظف مسئول، على أن تبحث الحالة ويعد تقريرا عاجلا خلال ساعتين من وصوله. كما قام بتوقيع الجزاء على موظفى المديرية الذين تسببوا فى تعطيل صرف المعاش!

ثم أصدر الدكتور البهى قرارا وزاريا يقضى بألا تتجاوز الفترة ما بين الوفاة وصرف المعاش شهرا بأى حال، وأن تصرف مصاريف الجنازة فى خلال الثلاثة أيام التالية للوفاة على الأكثر!

■■

وواقعة ثانية:

فى محافظة أخرى، قام الوزير بجولة تفتيشية مفاجئة، وكان الوقت ظهرا وسمع الأذان ينبعث من

أحد المساجد القريبة، فتوجه إليه لتأدية الصلاة قبل البدء فى جولته المفاجئة.

وفى المسجد.. رأى ما أذهله.. رأى رجلا جالسا على منصة قارئ السورة يحمل فى إحدى يديه مغزلا، وفى الأخرى صوفا يغزله. وأقيمت الصلاة، وإذا بعجبه يزداد، فما قام الرجل - ذو المغزل - من مكانه، بل أقام الصلاة جالسا وهو لايزال يغزل الصوف بمغزله!، وانتهت الصلاة دون أن يشترك فى الصلاة أو يكف عن غزل صوفه!

حدث هذا فى مسجد من أهم مساجد المحافظة، والوزير بينهم ولكنهم لا يعرفونه!!. المهم اتجه الوزير إلى الرجل الذى أمّ المصلين، فإذا به البقال المجاور للمسجد، وسأل عن الرجل ذو المغزل، فإذا به مقيم الشعائر بالمسجد!.. ثم طلب الوزير الدفاتر ليكتشف فيها تزويرا، فإمام المسجد لا يوقِّع فى الحضور أو الانصراف إلا دفعة واحدة فى نهاية الشهر ليستوفى التوقيعات قبل إرسال الكشوف.

وعلى الفور أصدر الوزير أمره بفصل مقيم الشعائر، ونقل الإمام المزوّر، مع توقيع الجزاء المناسب على مفتشى المديرية الذين أهملوا فى واجباتهم حتى وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه!

■■

● **قالوا عنه:**(٧)

● «ترك الدكتور محمد البهى مدرسة يشرفنى أن أنتمى إليها، وقد توسعت هذه المدرسة وانتشرت، وكان لها أثرها وامتدادها فى أماكن عديدة ومختلفة بفكر الدكتور محمد البهى وجهاده وكفاحه فى سبيل الثقافة الإسلامية الأصيلة» . **(أ. د. محمود حمدى زقزوق).**

● «كان الدكتور محمد البهى مفكرا رائدا، تصدى لتيار العلمانية وأعداء الإسلام بفكره الثاقب المستنير».
(أ. د. محمد شامة).

● «تميز الدكتور محمد البهى فى كتابيه «الجانب الإلهى فى التفكير الإنسانى»، و«الفكر الإسلامى المعاصر» بالوضوح والتحديد. فالكتاب الأول مايزال مرجعا أصيلا للدارسين، يدرس الفكر الإسلامى فى ماضيه وتكوين الفكر الفلسفى لدى المسلمين. أما الكتاب الثانى، فإنه لم يتوقف على قراءة الحاضر، بل كان يتطلع إلى مستقبل الإسلام والدعوة الإسلامية، ومن ثمّ كان أكثر جذبا لاهتمامات الناس». **(أ. د. حسن الشافعى).**

● «بشّر الدكتور محمد البهى بسقوط المادية العالمية قبل ٣٥ عاما من انهيارها. لقد كان عالما ورائدا وشخصية فذة فريدة، وإن كانت هذه الشخصية لم تأخذ حقها على المستوى العام فى الإعلام والتكريم، ولم يلتفت إليها شأنه فى ذلك شأن كثير من العلماء». **(أ. د. عبدالرحمن العدوى).**

■■

● **وفاته**

فى يوم الجمعة ٢٢ من ذى القعدة ١٤٠٢هـ الموافق ١٠ من سبتمبر ١٩٨٢م. أغمض أستاذنا الجليل عينيه، وانتقلت روحه الطاهرة إلى بارئها، ليبدأ حياته الجديدة، حياته الأبدية السرمدية، حيث تجزى كل نفس ما عملت.

■■

وبعد.. لا أجد ما أختم به خيرا من كلمة وداع أخيرة ومؤثرة خطها الفقيد الكريم بيراعه. كتب يقول: «إنى أحمد الله أنى أنظر بعين مجردة عن الرغبة فى المشاركة فى زفة الحياة.. إلى ما يحدث، ويصير، ويتطور إنى زاهد الآن فعلا فى الحياة، وأعتقد أن الحياة الدنيوية لا تساوى جناح بعوضة عند الله، وفى الواقع.

وتجربتى من الحياة أن الباقى فعلا للإنسان على مدى العمر الطويل، هو إيمانه بالله، ووقوفه عنده، والزهد فى متع هذه الدنيا، وعدم انتظاره لمتعة من متعها. بل على العكس، ترقبه أحداثا يتغلب عليها بالصبر وحده»(٨).

الهوامش:

١ - الشاعر الإسلامى محمد التهامى، من قصيدة بعنوان: إلى أين؟

٢ - الدكتور محمد البهى، حياتى فى رحاب الأزهر (طالب.. وأستاذ.. ووزير)، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٣م.

٣ - المصدر السابق.

٤ - قدّم من التفسير الموضوعى للقرآن الكريم تفسيرا لثلاث وعشرين سورة مكية، بالإضافة إلى جزء عم بعنوان - كما أشرنا -: «القرآن فى مواجهة المادية».

٥ - شاءت إرادة الله تعالى أن يوافيه الأجل قبل استكمال مشروعه العظيم.

٦ - الدكتور محمد البهى، حياتى فى رحاب الأزهر (طالبا.. وأستاذا.. ووزيرا)، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٣م.

٧ - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، من حصاد الموسم الثقافى فى رحاب مسجد النور، الدورة الأولى، القاهرة، ١٩٩٩م.

٨ - الدكتور محمد البهى، حياتى فى رحاب الأزهر (طالبا.. وأستاذا.. ووزيرا)، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٣م.

مفهوم الدين والإيمان واليقين بالله

د/ عبدالرشيد عبدالعزيز سالم

الدين كلمة عامة تشمل كل الأديان التى أمر الله بها عباده على مدى الأزمان منذ هبط آدم إلى الأرض حتى جاء محمد بن عبدالله ﷺ بالدين الخاتم الذى شمل كل هذه الأديان بعد أن نضجت البشرية وأصبحت صالحة لتلقى آخر رسالات الله إلى الأرض.

وقد جاء الإسلام ناسخا لبعض الأحكام فى الأديان الأخرى التى كانت تصلح لزمن دون زمن ولجماعة دون جماعة، نسخها لتكون صالحة لكل زمان ولكل بنى البشر وارتضاه الله دينا عاما لعباده، لموافقته الأصول الاعتقادية فى الاعتراف بوجود الله خالق الكون وما فيه، وتوحيده ووصفه بصفات الكمال، وتنزيههً عن صفات النقص. وأيضا لما اشتمل عليه من الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ آل عمران: آية ١٩، ووصفه الله بأنه الدين الحق ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾ الإسراء: اية ٨١، وأنه ناسخ لما جاء قبله من شرائع قديمة وأديان طرأ عليها التحريف وأدخل عليها ما ليس منها.

ووعد الله أنه سيحفظ هذا الدين ويحفظ كتابه «القرآن الكريم» من التحريف والتغيير والزوال مهما تألبت عليه قوى الشر وعانده المعاندون **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** الحجر: آية ٩.

وفى الدين الإسلامى ما يحتاج إليه البشر كل البشر. لأنه يشمل كل الأديان السابقة ويحكى أخبار الرسل مع الأمم السالفة. ويدعو إلى الاعتراف بوجود الله وتوحيده ووصفه بصفة الكمال التى تليق بجلال الله، كما يدعو إلى الاعتقاد بالبعث والحياة الآخرة وما ينتظر الناس فيها من حساب وجزاء نظير ما قدمت أيديهم فى الدنيا.

ورفع الله قدر العقل الإنسانى فى الدين الإسلامى فمنحه الحرية والاختيار فيما يعتقد، وبين أن الإيمان الصحيح هو ما كان نتيجة للتأمل والنظر، والبحث والاقتناع، ونتيجة لهذا كانت أوامر التكليف وكان الثواب والعقاب.

ومن نظرة الإسلام إلى الأمور الغيبية كاليوم الآخر والبعث والحساب والجنة والنار والوحى، والملائكة والجن. نجده يربط ذلك بصحة العقيدة، فإذا صحت العقيدة رأى صاحبها أن هذه الأشياء ليست مستحيلة، بل هى ضرورية لضبط السلوك الإنسانى وتوجيهه إلى الخير، والاطمئنان إلى عدل الله.

والدين الإسلامى فى بساطة ووضوح، هو الدين الذى جاء مطابقا للرسالات الإلهية السابقة عليه، وإن خالفها فى بعض الأحكام.

ثم هو يتلخص فى كلمتين هما: قول لا إله إلا الله محمد رسول الله، يقولهما العبد معترفا بوحدانية الله مصدقا بما جاء به رسوله محمد ﷺ عاملا بمضمونهما فكرا وقولا وعملا..

***

والإيمان فى جوهره ليس عمل اللسان والبدن والذهن، وإنما هو عمل نفسىّ يبلغ أغوار النفس ويحيط بجوانبها كلها من إدراك وإرادة ووجدان، يبلغ هذا الإدراك حد الجزم واليقين

الذى لا يزلزله شك ولا تعتريه شبهة **﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾** الحجرات: آية ١٥، ومع تمام الإدراك لابد وأن يصحبه إذعان قلبى وانقياد إرادى يتمثل فى الخضوع والطاعة لأحكام الله الذى آمن به فى رضا وتسليم **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾** النساء: آية ٦٥، **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾** الأحزاب: آية ٣٦، والإدراك ثم الإذعان لا يكتملان إلا إذا كانا مستقرين فى وجدان الإنسان.

وهذا الاستقرار العقيدى يجعله يتصرف على هدى العقيدة ويلتزم بمبادئها الخلقية والسلوكية، ويلتزم بأحكامها عن يقين قلبى، وشوق روحى **﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون* الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا﴾** الأنفال: الآيتان ٢، ٣.

والإيمان عملية يقينية تزيل كل الأوهام والشكوك وتحول الإنسان إلى طاقة فاعلة للخير قادرة عليه، لأن الخير كله فى الحق، ولا حق من غير إيمان صادق **﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾** الحجرات: آية ١٥.

أما فيما يذكره بعض الناس من قولهم «إيمان بالرأسمالية، أو الشيوعية، أو الوجودية، أو البوذية، أو الكنفوشيوسية» أو غير ذلك من المذاهب والمبادئ التى يضعها الناس ويتصورون أن فيها صلاحهم، وهى فى الحقيقة ما خرجت عن فكر إنسان بشرى له من الأهواء والأغراض والدوافع ما نزعه إلى هذا الفكر أو ذاك. إن هذا لا يسمى إيمانا وإنما هو رأى معرض للصواب والخطأ، والنظر فيه يجب أن يكون بحذر ودقة، أما الإيمان بالله، فهو ذلك الإيمان الذى لا يرد عليه شك ولا ارتياب.

والقلب متى تذوق حلاوة الإيمان واطمأن إليه اندفع لتحقيقه فى دنيا الناس محركا صاحبه إلى التضحية من أجل هذا الإيمان.

إن الإيمان جزء من كيان الإنسان، بل هو الإنسان كله، يموت فى سبيله وهو راض، ويتحمل من أجله أقصى ألوان التضحية وهو سعيد.

يقول الأستاذ أحمد أمين فى كتابه «فيض الخاطر» فرق كبير بين أن ترى الرأى وأن تعتقده، إذا رأيت الرأى فقد أدخلته فى دائرة معلوماتك، وإذا اعتقدته جرى فى دمك وسرى فى مخ عظامك، وتغلغل فى أعماق قلبك».

ذو الرأى فيلسوف يقول: إنى أرى صوابا ما قد يكون فى الواقع باطلا، وهذا ما قامت به الأدلة عليه اليوم، وقد تقوم الأدلة على عكسه غدا، وقد أكون مخطئا فيه وقد أكون مصيبا.

أما ذو العقيدة فجازم بات لاشك عنده ولا ظن عقيدته هى الحق لا محالة، هى الحق اليوم، وهى الحق غدا، خرجت عن أن تكون مكانا أو مجالا للدليل وسمت عن معترك الشكوك والظنون. ذو الرأى سهل أن يتحول أو يتحور، أما ذو العقيدة فخير مظهر له ما قاله رسول الله ﷺ: **«لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أدع هذا الذى جئت به ما تركته».**

وهكذا كانت عقيدة الإسلام. وكان الإيمان بها لدى المؤمنين مما غير وجه الأرض، وصنع فى الفكر الإنسانى صنعة قضت على الوثنية وعبادة الأوثان والخضوع للفرد واستعباد البشر والتسليم لغير الله. وسيظل صنيعها هكذا قائما ما بقى المؤمنون بها لأن فيها من القوة ما يدفع إلى التضحية الدائمة بالنفس والمال، واسترخاص العذاب والمحن فى سبيل الله.

الغيبة

سلوك يرفضه الإسلام

نجوان الغطريفى

إن المجتمع الفاضل الذى يقيمه الإسلام يمثل صورة باهرة لأكرم وأرفع مثال للبشرية. مجتمع له آدابه النفسية فى مشاعره تجاه بعضه البعض وآدابه السلوكية فى معاملته بعضه مع البعض مجتمع يقيم سياجا حول حرمات الناس وأعراضهم. قال تعالى: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾ الحجرات: آية ١٢.

تعرض الآية الكريمة مشهدا تتأذى منه أشد النفوس غلظة وأقل الأرواح حساسية. مشهد الأخ يأكل لحم أخيه ميتا لإثارة الاشمئزاز والفزع من شبح الغيبة البغيض.

روى أبو داود بإسناده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بى مررت بقوم لهم أظافر من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم قلت من هؤلاء ياجبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم». حاق بهم العذاب جزاء وفاقا لظلمهم وعدوانهم.

قال البراء: خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق فى بيوتهن: **«يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من تتبع عورات أخيه تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه فى جوف بيته»** أخرجه ابن أبى الدنيا بإسناد جيد، إن ربك لبالمرصاد وكما تدين تدان، فما بال المرء يبصر القذى فى عين أخيه ولا يبصر الجذع فى عين نفسه؟

وقد يرجى لجرح السيف برءٌ ... ولا برءٌ لما جرح اللسان

> **كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر**

والحسد من أهم البواعث على الغيبة، ربما يحسد من يثنى الناس عليه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا إلا بالقدح فيه.

كما أن الغضب من أعظم البواعث على الغيبة فإذا هاج غضبه يتشفى بذكر مساويه ويتناسى أن الغيبة محبطة لعمله يوم القيامة؛ فإنها تنقل حسناته إلى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه فإن لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئات خصمه، وهو مع ذلك متعرض لمقت الله ـ عز وجل ـ وشبّه عنده بآكل الجيف.

فإذا كان مقصودك إخزاء غيرك عند الناس فقد أخزيت نفسك عند الله تعالى.

إن المغتاب فاسق وإن كان ذلك من عادته ردت شهادته، إلا أن الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا فى أمر الغيبة واستباحوا الخوض

فى الأعراض. قال رسول الله ﷺ: **«ما النار فى اليبس بأسرع من الغيبة فى حسنات العبد»**، وروى **أن رجلا قال للحسن رضي الله عنه: «بلغنى أنك تغتابنى»**. فقال: «ما بلغ من قدرك عندى أن أحكمك فى حسناتى». وذكر الغير ثلاثة: الغيبة والبهتان والإفك وكل فى كتاب الله - عز وجل - فالغيبة أن تقول ما فيه والبهتان أن تقول ما ليس فيه، والإفك أن تقول ما بلغك. اللهم أرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.

قال تعالى: **﴿إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد* ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾** سورة ق: الآيتان ١٧، ١٨.

حسبنا أن نعيش فى ظل هذه الحقيقة الرهيبة وأن نستشعر أن عن يميننا وعن شمالنا من يسجل علينا كل سكنة وكل حركة وكل كلمة.

لو استحضر القلب مدلول هذه الكلمات النورانية ما جرؤ على قول لا ينال القبول ولعاش فى حذر دائم وخشية متصلة.. إذ كيف بإنسان طالبه هو الواحد الديان؟

من قوى إيمانه كف لسانه عن الغيبة تعظيما للآمر الناهى جل شأنه.

روى أن رسول الله ﷺ ذكرت له امرأة وكثرة صلاحها وصومها ولكنها تؤذى الناس بلسانها فقال: **«هى فى النار»** أخرجه الحاكم عن حديث أبى هريرة.

فكم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والظمأ وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر.. حبذا نوم الأكياس وإفطارهم.

المغتاب فاسق وإن كان ذلك من عادته ردت شهادته

كان هدف التربية النبوية الحكيمة إرساء مكارم الأخلاق وتهيئة المسلمين لحمل الأمانة لتحقيق مشيئة الله بهم فى الأرض. قال ﷺ: **«من ستر عورة مؤمن فكأنما استحيا موءودة من قبرها»** رواه أبو داود والنسائى من حديث الليث بن سعد. وقال: **«من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة»** أخرجه ابن أبى الدنيا.

الذين انتفعوا بهدى القرآن الكريم والسنة المطهرة كان سبيلهم أن يشعروا وأن يعملوا وفق ما شعروا. بلغ عمر بن الخطاب أن أبا جندل قد عاقر الخمر بالشام فكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم **﴿حم* تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم* غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب﴾** غافر: الآيات ١ - ٣. فتاب، وبهذا النهج القويم استعان الفاروق عمر على تغيير المنكر ورد العاصى إلى منهج الصلاح. فإذا كانت المصابيح قد علتها الأتربة فعلينا أن نشحذ ضوءها ونزيل ما اعتراها بدلا من أن نكسرها.

فلتتوجه النفوس إلى ربها فى طلب المغفرة لا لذاتها ولكن كذلك لمن سبقوها بالإيمان فى تواد وتعاطف ورحمة.

وفى طلب براءة القلب من الغل للذين آمنوا ممن يربطهم معهم رباط الإيمان. صورة باهرة تمثل أرفع وأكرم مثال للبشرية وهذا هو الفلاح فى حقيقة معناه.. قال تعالى: **﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾** الحشر: آية ١٠.

دروس من فتوحات المسلمين:

معركة حصن بابليون وفتح مصر

سعيد صالحة

بابليون: هى مصر القديمة وتعنى باللغة الأشورية (نهر أكبر)، وقد يثار سؤال من أين جاءت هذه التسمية؟ وللإجابة تحدثنا كتب التاريخ أن الأمم القديمة كانت ترتحل من ديار إلى ديار ومن مكان إلى مكان تحت ضغط عوامل الأمن من ناحية، والاقتصاد من ناحية أخرى، وهكذا هاجرت إحدى الأمم من أرض «بابل» حيث نهر دجلة ومازالت فى ترحالها حتى نزلت وادى النيل وهناك قالوا جميعا (بابليون) أى نهر أكبر من النهر الذى خلفناه وراءنا فى العراق.

الطريق إلى مصر

لقد كان عمرو بن العاص رضي الله عنه أحد قادة الجيوش الإسلامية التى باشرت مهمة فتح الشام وكان من نصيب عمرو بعد أن هزمت الروم هزيمة ساحقة فى اليرموك أن يضطلع بعبء فتح فلسطين وسواحلها وامتد به التوغل فى جنوبها حتى بلغ أقصاها عند أطراف شبه جزيرة سيناء الساحلية ولم يبق بينه وبين دخول مصر إلامسافة قليلة عندئذ استأذن الخليفة الفاروق فأذن له وأمده بمدد من الجند فاندفع بقواته إلى قلب البلاد متجها إلى عاصمتها وكانت مصر فى ذلك الحين تخضع للحكم الرومانى فضرب الحصار على حصن (بابليون) حيث تحتشد قوات الروم.

حصار عمرو لحصن بابليون

عندما تم النصر على الروم فى واقعة عين شمس (هليوبولس) وكانت أسوار الحصن المبنية وأبراجه الشامخة يحيط بها النيل وقد ارتفع ماؤه فامتلأ الخندق حوله، صَفَّ عمرو جند المسلمين حول الخندق ووضع عليه المنجنيق وهو أعظم آلات الحصار إذ ذاك.

ولما رأى المقوقس الجد من العرب وصبرهم على القتال شهرا كاملا وأنهم لا محالة سوف يقتحمون الحصن خرج هو ونفر من قومه من الباب القبلى حيث أرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص: «إنكم قوم قد ولجتم فى بلادنا وألححتم على قتالنا وطال مقامكم فى أرضنا وأنتم عصبة يسيرة وقد أظلتكم الروم وجهزوا إليكم ومعهم العدة والسلاح وقد أحاط بكم هذا النيل وأنتم أسارى فى أيدينا ما بعثوا إلينا رجالا نسمع من كلامهم فلعله أن يأتى الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب وينقطع عنا وعنكم القتال قبل أن يغشاكم جموع الروم ولعلكم تندمون ما بعثوا رجالا من أصحابكم».

فلما أتت عمرو رسل المقوقس أبقاهم يومين عنده حتى خاف المقوقس فقال لقومه: أترون أنهم يقتلون الرسل إنما أبقاهم ليروا حال المسلمين، وبعد انقضاء اليومين رد عليهم عمرو قائلا إنه ليس بينى وبينكم إلا إحدى ثلاث:

أ ـ الدخول فى الإسلام وكان لكم مالنا وعليكم ما علينا.

ب ـ الجزية وأنتم صاغرون.

جـ ـ القتال حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

سر المقوقس بقدوم رسله وسألهم عن حال العرب فأجابوا:

رأينا قوما الموت أحب إليهم من الحياة والتواضع أحب إليهم من الرفعة ليس لأحد فى الدنيا رغبة ولا نهمة وإنما جلوسهم على التراب وأكلهم على الركب وأميرهم كواحد منهم ما يعرف رفيعهم من وضيعهم، ولا السيد من العبد وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون فى صلاتهم، فأرهب المقوقس هذا الكلام وعلم أن قوما هذه حالهم سوف يقتحمون الحصن وينتصرون عليهم، وأشار إلى قومه باغتنام الفرصة قبل فواتها وأرسل إلى المسلمين أن يبعثوا رسلا فبعث عمرو عشرة رجال أمّر عليهم «عبادة بن الصامت» وأمره أن يكون المتحدث فلما دخلت رسل المسلمين إلى المقوقس هاب عبادة لسواده وفرط طوله وود أن يكون غيره هو المتحدث فقال المسلمون: إن هذا الأسود أفضلنا رأيا وعلما وهو سيدنا وخيرنا والمتقدم علينا وإنا نرجع جميعا إلى رأيه.

فأمن المقوقس على كلامهم وأراد أن يسلك طريق الإرهاب المصنوع فى قالب النصيحة، فقال عبادة يا هذا لا تقرن ولا أصحابك ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وإنا لا نقوى عليهم فلعمرى ما هذا بالذى تخوفنا به ولا بالذى يكسرنا عما نحن فيه إن قتلنا عن آخرنا كان أمكن لنا فى رضوان الله وجنته وما من شىء أقر لأعيننا ولا أحب إلينا من ذلك وإن الله - عز وجل - قال فى كتابه الكريم: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾.

رفض هرقل الصلح واستئناف القتال بين المسلمين والروم

لما تعاهد عمرو والمقوقس على ما تعاهدوا عليه شرط المقوقس للروم أن يخيروا بالرضى وبين اللحاق ببلاد الروم وكتب إلى (هرقل) بما تم الصلح عليه فكتب كتابا يوبخه على التسليم ويحتقر قوة المسلمين ويعدل بمثل ذلك إلى قواد الروم فأعادوا الكرة على المسلمين ونبذوا صلحهم.

عمر (الفاروق) يرسل مددا

لقد أرسل الفاروق رضي الله عنه مددا جديدا فيه بعض فرسان المسلمين الأشداء الذين يعدل الواحد منهم ألفا من الفرسان، وكان من بين هؤلاء الأبطال (الزبير بن العوام) رضي الله عنه وهو ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه(١).

صحيح أن فتح (مصر) كان بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه وأن له الفضل والسبق فى ذلك ولكن فتح حصن (بابليون) ارتبط باسم الزبير بن العوام.

فلدى وصول الزبير إلى مصر وانضمامه ومن معه إلى الجيش الإسلامى ومقامه أياما فى المعسكر حول الحصن تضايق من الانتظار وأحس بالقلق.

فامتطى ذات يوم فرسه وأخذ يطوف حول الحصن متطلعا متفحصا حتى وقف على نقطة ضعف فيه وعاد بعد ذلك فلما كان اجتماع القادة الفرعيين بالقائد العام عمرو فى خيمته يتبادلون الموقف ويقترحون الخطط ويتشاورون خطرت فى ذهن الزبير رضي الله عنه خاطرته وأزمع على تنفيذها فى أول هجوم عام وشامل على الحصن وعندما بدأ الهجوم كان قد أعدّ الزبير العدة وهيأ نفسه للأمر الجلل - لقد اتخذ سلما من الحبال ليلقيه بخطافات فى أطرافه على أعلى السور ثم يصعد عليه لينفذ بعد ذلك إلى قلب الحصن واتفق مع الكتيبة التى يقودها على أن يكون التكبير هو كلمة السر فى إشعارهم بنجاح وصوله ثم اندفاعهم.

إنها - ولاشك - مغامرة ما بعدها مغامرة لأن سلامة البدن والنفس منها عنيفة إلى درجة قصوى ولكنها روح الإسلام تسرى فى أدق شرايين الكيان البشرى مسرى الدم لا يبالى البطل منهم بالموت لأنه يطلب - رضى الله تعالى - بالنصر.. أو الشهادة.

وعجّ عجيج القتال رميا بالسهام وقذفا بالحراب وهجوما متواصلا على أبواب أسوار حصن (بابليون).

واندفع البطل (الزبير بن العوام) رضي الله عنه من بين الصفوف حتى كان يمتد أسفل السور وكانت سهام الروم تنهال عليه من أعلى كالمطر الغزير ولكن الله حفظه وحماه، وفى لمح البصر كان قد ألقى بحباله فعلقت خطافاتها الحديدية واستمسكت وراح يصعد عليها بخفة ونشاط حتى بلغ أعلى السور وسيفه فى يده، وهناك واجه مقاومة شديدة ولكنه كان أقوى منها فقضى عليها، فلما تم ذلك أطلق صوته بالتكبير بالنداء الذى يزلزل القلوب والعقول وفتح الباب الذى يليه وتدفق الجند الإسلامى إلى الداخل ولاحت هزيمة الروم واضحة وسقط الحصن العظيم فى أيدى المسلمين وتهاوت بعد ذلك كل مقاومة للروم فى أنحاء مصر.

وهكذا ارتبطت معركة فتح حصن (بابليون) باسم الزبير بن العوام والتى كانت مؤشر فتح مصر ودخولها فى حوزة الإسلام وخلاصها من الحكم الرومانى التعسفى.

الهامش

١ - جاء فى الأثر الشريف قول رسول الله ﷺ: «لكل نبى حوارى وحوارىّ الزبير» يعنى المستخلص المستصفى من بين الأصدقاء.

الفقيه المجدد.. الشيخ على الخفيف

أحمد فاروق الهلباوى

إن تاريخنا المعاصر حافل بأعلام أفذاذ، لم تنقطع أعمالهم بعدوفاتهم، أفنوا حياتهم فى الكتابة والتأليف ومن هؤلاء: الشيخ على الخفيف - رحمه الله - فلا يكاد الباحثون فى الفقه الإسلامى عامة والاقتصاد الإسلامى خاصة يتذاكرون المصادر الخاصة بأحكام المعاملات المالية الشرعية إلا ويتبادر إلى أذهانهم اسم شيخنا الجليل - فهو صاحب عشرات الكتب والأبحاث العلمية فى هذا المجال وتفوق دقته دقة الكثير من العلماء المعاصرين له أمثال الشيخ (عبدالوهاب خلاف) والشيخ (محمد أبو زهرة).

المذاهب الإسلامية جميعها آراء فى مذهب واحد يختار منها الراجح

نشأته:

وبداية نعرض لنشأة الرجل فقد ولد الشيخ (سنة ١٣٠٩هـ - ١٨٩١م) فى قرية الشهداء بالمنوفية وتوجه منذ نعومة أظافره إلى كتاب القرية لحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة العربية وعلوم الدين من فقه وتفسير وحديث وغير ذلك ليتأهل للالتحاق بالأزهر الشريف والتحق الشيخ بالأزهر سنة ١٩٠٤م.

وعن هذه المرحلة يقول الشيخ على الخفيف «وقد كانت نظم المعاهد الدينية ومناهجها فى ذلك العهد محلا للنظر فى إصلاحها وتجديدها وتطويرها بما يقربها من نظم التعليم الحديثة، ويخلصها مما كان يعوقها عن الوصول إلى غايتها»(١).

لهذه الأسباب السابقة لم تدم إقامة الشيخ طويلا فى الأزهر فلم يمكث فيه سوى ثلاث سنوات وانتقل منه فى نهاية عام ١٩٠٦م إلى معهد الاسكندرية الدينى وكان هذا المعهد يتميز بجمعه بين العلوم الدينية والعلوم العصرية وهو يهدف إلى إعداد طالب كفء يلتزم بالنظم الحديثة فى التكوين العلمى والخلقى. والتحق الشيخ بعد دراسته بالمعهد بمدرسة القضاء الشرعى وكان قد اختير لإدارة هذه المدرسة المرحوم محمد عاطف بركات، وقد عرف بالعلم والدقة فى الأمور وشدة الحزم وبعد النظر وكان لا يخشى فى الحق لومة لائم. وكان طلبة هذه المدرسة يختارون من الأزهريين النجباء الذين يتجاوزون امتحانا عسيرا، ومن ثم يعدون إعدادا فقهيا عمليا يؤهلهم للعمل فى القضاء والمحاماة.

وقد بقى الشيخ على الخفيف فى هذه المدرسة مدة ثمانى سنوات حتى نال الشهادة العالية سنة ١٩١٥م وقد فاق كثيرا من أقرانه الذين درسوا معه فى هذه المدرسة وكان منهم الشيخ عبدالوهاب خلاف، والدكتور أمين الخولى والشيخ محمد فرج السنهورى وهم أصحاب فضل وعلم لا ينكر.

شيوخه:

وقد أخذ الشيخ على الخفيف - رحمه الله - العلم من شيوخ أماجد وعلماء أفذاذ ومربين أصلاء وجهوه إلى الخلق الكريم والعلم الشرعى الحكيم ومن هؤلاء:

● الشيخ أحمد إبراهيم بك والشيخ محمد الخضرى والشيخ محمد عبدالمطلب وناظر مدرسة القضاء الشرعى محمد عاطف بركات.

وظائفه:

تولى الشيخ على الخفيف عدة وظائف مرموقة وهى كالآتى:

أولا التدريس الجامعى: كان الشيخ على الخفيف مؤهلا للقيام بوظيفة التدريس الجامعية بكل كفاءة واقتدار رشحته كثير من المؤسسات الجامعية للقيام بمهمة التدريس الجامعى مثل مدرسة القضاء الشرعى وجامعة القاهرة ومعهد الدراسات العربية لجامعة الدول العربية، ونجد واحدا من تلاميذه فى مدرسة القضاء الشرعى وهو الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور يقول عنه: «تتلمذت للمرحوم الشيخ على الخفيف فى درس لا أنساه، تتلمذت له فى علم الفرائض ونعمت فى درسه بالفقيه المتمكن والرياضى الدقيق وقدر لى بعد زمن أن أشترك فى مناقشة مشروع قانون المواريث بمجلس الشيوخ (المصرى)، وكان هذا الدرس خير عون لى فى هذه المدرسة تتلمذت للمرحوم وصادقته وهكذا كان شأن مدرسة القضاء فقد كان يراد بها أن تجمع بين الأساتذة والطلاب والأصدقاء وأى صداقة أقوى وأمتن من تلك التى تتوثق بين رجال العلم والمعرفة طوال تسع سنين»(٢).

ثانيا القضاء الشرعى:

عين الشيخ على الخفيف قاضيا شرعيا سنة ١٩٢١م ويعرف الكثير من خبراء عصرنا وفقهائنا الحاليين والسابقين مكانة الشيخ على الخفيف من خلال كتبه الفقهية وخاصة كتابه «فرق الزواج» فقد كانت آراؤه فيه آراء الخبير الممارس.

التجديد لا يعنى التخلص من القديم بل ينبغى ترميم ما بلى منه

المحاماة الشرعية:

وكانت دراسة الشيخ تؤهله للعمل بالمحاماة فقد كانت الدراسة فى مدرسة القضاء الشرعى خير عون لأى محام يريد سبر غور هذه المهنة. وقد عين الشيخ محاميا شرعيا لوزارة الأوقاف المصرية سنة ١٩٢٩م وذلك للدفاع عن حقوق الوزارة وتمثيلها فى المحاكم.

إدارة شئون المساجد بوزارة الأوقاف:

وبعد عدة سنوات من تعيينه محاميا لدى وزارة الأوقاف عينته الوزارة مديرا لشئون المساجد ومشرفا عليها وظل متوليا لهذه الوظيفة حتى عام ١٩٣٩م وهى السنة التى انتقل فيها إلى التدريس بجامعة القاهرة، وقد كانت له حادثة مشهورة مع الملك فاروق أثناء توليه وظيفة مدير المساجد وهى كالآتى:

فقد حضر الملك ذات يوم للصلاة فى مسجد مقابل لقصر القبة وكان خطيب هذا المسجد هو الشيخ على الخفيف وكان موضوع الخطبة عن دور الحاكم فى إصلاح الرعية وكان مما قاله الشيخ فى هذه الخطبة «إن الأمة تصلح بصلاحك وتفسد بفسادك»، ويبدو أن الجملة التى قالها الشيخ فى خطبته لم ترق للملك ولا لحامد محمود رئيس الوزراء فدبرت للشيخ مكيدة وتم إقصاؤه من عمله فى وزارة الأوقاف بسبب هذه الحادثة.

مكانته العلمية:

يتمتع الشيخ على الخفيف - رحمه الله - فى الأوساط العلمية والرسمية بمكانة علمية مرموقة، فهو أصولى محقق بارع ذو رأى صائب، واختيار موفق، ونظر دقيق، وهو فقيه متمكن من الفقه، ومتحكم به، يقرب أحكامه للأفهام، ويجتهد فى القضايا المعاصرة، وهو لغوى مدقق وله العديد من الأعمال المجمعة خاصة فى المصطلحات الشرعية

وصاحب لسان بليغ، ترسخت عنده الملكة الفقهية، حتى أصبح فقيه نفس، ودعا إلى تجديد الفقه الإسلامى قولا وعملا، وتأثر به، وعلى فكره تتلمذ عدد لا يحصى من التلاميذ. وقد أضاف إلى علم الفقه والقانون بعض علوم عصره من إدارة واجتماع وطبيعة وطب وغير ذلك من العلوم التى جعلته قادرا على أن يحكم على بعض الأقوال الفقهية الموروثة بالضعف أو الصحة أو الرجحان.

أعماله العلمية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية:

اختير الشيخ على الخفيف عضوا مؤسسا فى موسوعة الفقه الإسلامى بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وقد أنشئت هذه الموسوعة بقرار وزارى فى يناير سنة ١٩٦١م وتألفت اللجنة أثناء الوحدة المصرية السورية من المصريين والسوريين وأطلق على الموسوعة «موسوعة جمال عبدالناصر فى الفقه الإسلامى» وكتب الشيخ على الخفيف كثيرا من المصطلحات الفقهية مثل: إجارة - ادعاء - إذن - ارتفاق - أرش - استبدال - استتابة - استناد - استيلاء - إسلام - اعتصار - اعتقال - اقتصار - إقطاع - انقراض - إيمان - أمير - إمارة - وأهل الحل والعقد.

وقد اختير الشيخ على الخفيف عضوا مؤسسا فى مجمع البحث الإسلامية، وقد كان عالما من بين ثلاثين عالما من مصر.

واختير كذلك فى مجمع اللغة العربية وقد كان عضوا فعالا فى المجمع وساهم فى إخراج المصطلحات من لجنة القانون والشريعة.

دعوته لتجديد الفقه الإسلامى:

كان الشيخ على الخفيف يرى أن تجديد الفقه الإسلامى لا يعنى التخلص من القديم أو محاولة هدمه بل الاحتفاظ به، وترميم ما بلى منه، وإدخال التحسين عليه، وينطلق من تصوره العام للإسلام فهو منهج حياة شامل.

رأيه فى تتبع المذاهب الإسلامية:

يرى الشيخ على الخفيف عدم الوقوف عند المذاهب الأربعة بل يتعداهم إلى المذهب الظاهرى ومذهب الأوزاعى والثورى والطبرى والزيدية والإمامية والإباضية ويعتبرها بمثابة آراء فى مذهب واحد يختار منها الراجح ويعمل به ومن الأمثلة على ذلك ما جاء فى كتاب «فرق الزواج فى المذاهب الإسلامية» فقد عالج فيه المسائل معالجة موضوعية تقوم على أساس عرض آراء الفقهاء وأدلتهم ومناقشة الأدلة وترجيح ما تقويه الأدلة.

اجتهاده فى القضايا المستجدة:

كان للشيخ على الخفيف مشاركة فعالة فى القضايا المستجدة فقد كتب عدة أبحاث فى حكم شهادات الاستثمار، والتأمين، وتحديد الملكية الفردية، والوقف الأهلى وقد علق الدكتور أحمد الحوفى على رؤى الشيخ فى القضايا المستحدثة بقوله «لا يستطيع الذى يقرأ بحوث الفقيد «الشيخ على الخفيف» إلا أن يشيد بمقدرته وألمعيته وسعة اطلاعه وثاقب ذكائه وكان هدفه تحقيق مصالح الناس، ولينهض بما يناط به من إصلاح لهذا كان كلفا بإبراز خصائص الشريعة الإسلامية دءوبا على التنويه بمرونتها وطواعيتها وتقبلها للتطور وصلاحيتها لكل زمان ومكان، وكان من أنصار الاجتهاد، ومن الدعاة إلى افتتاح أبوابه والأخذ به مادام قائما على الاهتداء بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ وبما يؤدى إليه القياس الصحيح».

رأيه فى التأمين وشهادات الاستثمار:

كان الشيخ على الخفيف يرى جواز التعامل بالتأمين بأنواعه الثلاثة من اجتماعى وتبادلى وتجارى وقد قوبل هذا الرأى بمعارضة شديدة حيث قرر مجمع الفقه الإسلامى المنعقد فى جدة سنة ١٤٠٦هـ الموافق ١٩٨٥م «إن عقد التأمين التجارى ذا القسط الثابت الذى تتعامل به شركات التأمين عقد فيه غرر كبير مفسد للعقل لهذا فهو حرام شرعا».

وكذلك كان الشيخ على الخفيف يرى جواز التعامل بشهادات الاستثمار بأنواعها الثلاثة من شهادات ذات قيمة متزايدة(أ) وشهادات ذات عائد جار(ب)، والشهادات ذات الجوائز (جـ) وأكثر الأنواع الثلاثة جوازا وأبعدها شبهة عن المضاربة هو النوع الثالث «وقد وافق الشيخ فى آرائه هذه الشيخ محمد سيد طنطاوى والشيخ ياسين سويلم طه»، وقد وجهت لهذا الرأى انتقادات عدة وعارضة فريق كبير من العلماء، وقد أقر مجمع الفقه الإسلامى المنعقد فى جدة (شعبان ١٤١٠هـ ـ مارس ١٩٩٠م) حيث جاء فيه «إن السندات التى تمثل التزاما بدفع مبلغها مع فائدة منسوبة إليه أو نفع مشروط محرمة شرعا من حيث الإصدار أو الشراء أو التداول لأنها قروض ربوية، سواء أكانت الجهة المصدرة لها خاصة أو عامة ترتبط بالدولة ولاأثر لتسميتها شهادات أو صكوكا استثمارية أو ادخارية».

تعريف بمؤلفات الشيخ:

لقد تسنى للشيخ على الخفيف خلال حياته المليئة بالعمل المثمر أن يضع انتاجا علميا غزيرا ومتنوعا وقيما وفيما يلى سرد لمؤلفاته وأهمها:

١ ـ أحكام المعاملات الشرعية.

٢ ـ أحكامه الوصية ـ بحوث مقارنة.

٣ ـ أسباب اختلاف الفقهاء.

٤ ـ البيع فى الكتاب والسنة.

٥ ـ التأمين وحكمه على هدى الشريعة الإسلامية.

٦ ـ التركة والحقوق المتعلقة بها.

٧ ـ التصرف الانفرادى والإرادة المنفردة.

٨ ـ الحق والذمة.

٩ ـ حكم على شهادات الاستثمار بأنواعها الثلاثة.

١٠ ـ الخلافة.

١١ ـ الدين.

١٢ ـ الديات والأروش.

١٣ ـ الرهن.

١٤ ـ الشركات فى الفقه الإسلامى.

١٥ ـ الضمان فى الفقه الإسلامى.

١٦ ـ فرق الزواج فى المذاهب الإسلامية.

١٧ ـ الكفالة.

١٨ ـ مختصر المعاملات الشرعية.

١٩ ـ مذكرة فى السياسة الشرعية وغير ذلك من الأبحاث والمقالات المنشورة.

وبعد، فلم يكن الشيخ على الخفيف عالما شرعيا فقط بل كان عالما اجتماعيا، فنراه فى بحث «الفكر التشريعى» يقول: يقيم الإسلام مجتمعه على أسس قويمة تصونه من الأنانية فى المعاملة والسلوك ومن طغيان نوازع النفوس التى تدعو إلى الشر وتوقد نار العداوة والبغضاء بين أفراده وتؤدى بهم إلى الاعوجاج والفساد والفرقة والتنابذ والفشل».

وكذلك لابد لنا أن نذكر أننا استعرضنا حياة عالم عامل حافلة بالصفات التى استقاها من دراسته الإسلامية فقد كان خلقه التواضع وخفض الجناح لزملائه فلم يركبه الغرور ولم يستبد به العجب، ويضع لنفسه حدودا يعرف بها مقامه ويلتزم بعلمه، لا يتكلم إلا بما يعلم ويقبل النصيحة من الكبير والصغير، وكان يشعر بالمسئولية أمام الله تعالى ويراقبه فى كل عمل يكلف به وفى كل علم يتعلمه ويحافظ على المواعيد.

وبعد فقد كنا نسبر غور عالم عامل شهد له الجميع بعلمه فندعو الله أن يجزيه خير الجزاء جزاء ما قدم لنا من علم ينتفع به إلى يوم القيامة.

الهوامش:

١ ـ كلمة الشيخ على الخفيف فى تأبين مجمع اللغة العربية للشيخ عبدالرحمن تاج الدين ـ مجلة المجمع ٢٢٤/٣٦.

٢ ـ كلمة الدكتور إبراهيم مدكور فى حفل تأبين الشيخ على الخفيف ـ مجلة مجمع اللغة العربية ١٦٧/٤٦.

٣ ـ مجلة مجمع اللغة العربية ـ كلمة الحوفى فى حفلة التأبين ١٧٢/٤٦.

٤ ـ قرارات مجمع الفقه الإسلامى ص ٢٠.

٥ ـ الشيخ على الخفيف د. محمد عثمان شبير ـ دار القلم دمشق.

قطوف أشهر الحنفاء

محمد سيد أحمد علىّ الدين

كانت الديانة المنتشرة فى شبه الجزيرة العربية فى العصر الجاهلى هى الديانة الوثنية، وكان أهل مكة يحجون إلى هذه الأصنام ويسمونها بأسماء ذكر القرآن الكريم بعضها ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى﴾(1)، وكانوا يقدمون إليها القرابين، حتى أن بعض العرب كانوا يضيفون إليها أسماءهم، وكانت عقيدتهم فى تلك الأصنام متباينة، فبعضهم يعبدها ليتقرب بها إلى الخالق الرازق وإذا سئلوا عن الأصنام يقولون: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ الزمر: آية ٣.

والبعض الآخر كان يعبدها على أنها هى الآلهة التى تضر وتنفع.

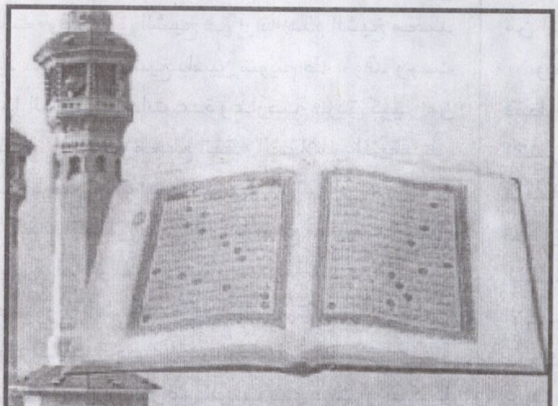

وكان هناك قوم فى اليمن يعبدون الشمس وهم الذين ذكر الله تعالى قصتهم فى القرآن الكريم مع سليمان فى قوله تعالى: ﴿إنى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم* وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون﴾ النمل: الآيتان ٢٣، ٢٤، وكانت هناك بعض الديانات السماوية الأخرى كاليهودية فى

الحنفاء الأول أدركوا بعقولهم توحيد الخالق - عز وجل -

وكانت هناك طائفة من العرب يعبدون النار وهم «المجوس» وقد انتقلت إليهم هذه الديانة من الفرس الذين يجاورونهم.

***

يثرب والمسيحية فى الحبشة والحيرة وغسان.

فى ظل هذه الحالة التى كانت تعج الجزيرة العربية بها ظهر عدد ضئيل من الناس أدركوا بعقولهم توحيد الخالق - عز وجل - وهؤلاء يسمون **بالحنفاء**.

يقول الحق تبارك وتعالى فى شأن سيدنا إبراهيم عليه السلام: **﴿وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾** البقرة: آية ١٣٥.

والحنيف هو المسلم، وتحنف الرجل: أى مال عن الباطل إلى الحق ويقال: اعتزل الأصنام وتعبد، والآيات الكريمة من سورة البقرة توضح أن الله سبحانه وتعالى بعدما أعطى الإمامة سيدنا إبراهيم ووعده أن تكون فى ذريته إلى يوم الدين، سماهم مسلمين **﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾** البقرة: آية ١٣٢، وكذلك وصى بها يعقوب أولاده **﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون﴾** البقرة: آية ١٣٣.

ووصف القرآن الكريم حال من أدرك بعقله فساد عبادة الأصنام والمشركين فى محاولة الوصول إلى عبادة الحق تبارك وتعالى **﴿حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق﴾** الحج: آية ٣١.

أشهر الحنفاء:

ورقة بن نوفل بن عبد العزى:

ابن عم السيدة خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله ﷺ، فكر فى شأن هذه الأصنام، اللات والعزى، ومناة وأنها حجارة لا تستطيع أن تدفع عن نفسها شيئا، فاعتقد ببطلان عبادتها، وخالف قريشا فى معتقداتها وعَبَدَ الله الواحد الأحد وحده، ثم اعتنق النصرانية ودرس أسس الديانة المسيحية مع الذين خالطهم من أهل الكتاب، ومات قبل البعثة النبوية.

زيد بن عمرو بن نفيل:

ابن عم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ترك عبادة الأصنام وصار يطوف ببلاد العرب وما جاورها، يبحث عن دين إبراهيم عليه السلام حتى هداه الله تعالى إليه وكان يقول: **«اللهم لو أنى أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به، ولكنى لا أعلمه، ثم يسجد على راحلته»**، وكان يسند ظهره إلى الكعبة ويقول: **«يا معشر قريش، والذى نفسى بيده ما أصبح أحد منكم على دين إبراهيم غيرى»**، وهو الذى قال بعد أن ترك عبادة الأصنام:

أربٌ واحد أم ألف رب
أدين إذا تقسمت الأمور
تركت اللات والعزى جميعا
كذلك يفعل الرجل البصير
فلا العزى أدين ولا ابنتيها
ولا صنمى بنى عمرو أزور
ولكن أعبد الرحمن ربى
ليغفر ذنبى الرب الغفور

ولم يدرك زيد بن عمرو بن نفيل الدعوة المحمدية بل مات قبلها بقليل.

الهامش:

١ - القسمة الضيزى هى القسمة الجائرة، يقال ضاز فى حكمه أى جار، اللات: صخرة لقبيلة ثقيف بالطائف، والعزى: صخرات بنخلة لغطفان وهى التى قطعها خالد بن الوليد بأمر النبى ﷺ، ومناة: صخرة لهذيل وخزاعة، وقيل إن الثلاثة كانت أصناما بالكعبة.

أنت تسأل والفقيه يجيب

فضيلة الشيخ عطية صقر

ثواب قراءة القرآن

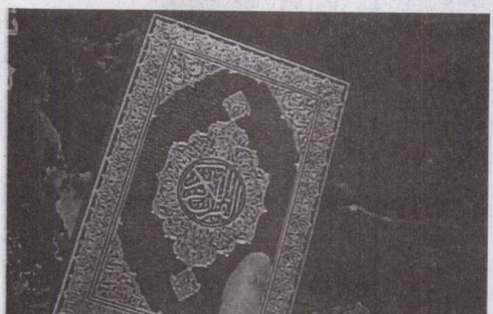

السؤال من القارئ/ عمرو عمار محمد، من ديرب نجم بمحافظة الشرقية، يقول:

هل يجوز أن أهب ثواب قراءة القرآن إلى أبى وأمى وهما على قيد الحياة، ويكون هذا من البر لهما؟

الجواب: أى عمل من الأعمال الصالحة ثوابه يكون عن عمله هو، ولا ينتفع به غيره إن كان حيا، فكل امرئ بما كسب رهين ﴿**من عمل صالحا فلنفسه**﴾، وعليه فثواب قراءة القرآن هو للقارئ فقط، بكل حرف عشر حسنات، كما ورد فى الحديث.

وبر الوالدين فى حياتهما مظاهره كثيرة مثل الانفاق عليهما والإحسان إليهما كما تنص الآية الكريمة ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما* واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا**﴾ الإسراء: الآيتان ٢٣، ٢٤. إلى غير ذلك من النصوص.

وبرهما بعد موتهما ورد فى حديث رواه أبو داود وابن ماجة، جاء فيه أن رجلا من بنى سلمة قال لرسول الله ﷺ: هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما؟ فقال له: «**نعم، الصلاة عليهما ـ أى الدعاء لهما ـ والاستغفار لهما، وانفاذ عهدهما من بعدهما. وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما من بعدهما**».

وفى حديث مسلم: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**».

وقراءة القرآن لهما بعد موتهما تفيد إن شاء الله، إذا وهب القارئ ثوابها أو مثله إليهما، أو دعا الله لهما بالرحمة توسلا بهذه القراءة، وذلك أمر وضحناه فى مواضع كثيرة.

سكرات المــوت

السؤال من القارئ/ د. محمود أبو النصر، من دسوق، بمحافظة كفر الشيخ، يقول: سيدة حامل وتنازع سكرات الموت الذى ينتظرها خلال دقائق فهل يتم عمل قيصرية لإخراج الجنين حيا بالرغم من أن التخدير سوف يميتها أم يتم ترك المريضة ليحل ميقات الولادة وقد تموت قبل أن تلد وبالتالى يموت الجنين؟

الجواب: إذا أمكن إخراج الجنين حيا بالعملية القيصرية أو نحوها مع بقاء الأم حية فلا مانع من ذلك أبدا، فذلك يعتبر ولادة مشروعة، وتمارس كثيرا، سواء أكانت الأم مريضة أم سليمة.

وفى السؤال **نقطتان، الأولى:** أن الأم تعانى سكرات الموت وموتها محقق عند الأطباء، والثانية: إعطاؤها حقنة بنج تقضى على حياتها لإمكان شق بطنها وإخراج الجنين حيا.

ففى النقطة الأولى، لا يعلم أحد وفاتها أبدا إلا الله سبحانه، وإعطاؤها الحقنة المميتة سيعجل موتها، وذلك ممنوع، فهو قتل بغير حق، كالانتحار، من استحله فقد كفر، ومن لم يستحله عذب عذابا شديدا، روى البخارى ومسلم أن رجلا مسلما قاتل فى غزوة خيبر قتالا شديدا ومات. ولما أخبر به الرسول ﷺ قال: «إنه من أهل النار»، وذلك لأنه جرح ولم يصبر فانتحر بوضع السيف فى صدره.

فقتل الميئوس من شفائه حرام حتى لو كان بإذنه.

وفى **النقطة الثانية،** الحقنة المخدرة التى تميتها سيموت الجنين تبعا لموت أمه وإذن لا فائدة من شق بطنها، لكن لو كان تخدير الأم لا يميتها سريعا ويمكن إخراج الجنين بسرعة حيا وأمه مازالت حية، فهنا يقال: قدمنا حياة الولد على حياة أمه. مع أن المتعارف عليه أن حياتها هى المقدمة على حياته، ولذلك يجوز الإجهاض إذا كان بقاء الجنين الذى نفخت فيه الروح سببا فى موت أمه.

إن الأمر يحتاج إلى نظر دقيق، فقتل الميئوس من شفائه حرام باتفاق، ولا يحله إذا كان رحمة به أو إنقاذا لحياة شخص آخر لم يرتكب ما يبيح قتله. وما قلته هو رأيى الخاص وقد يكون خطأ فأرجو أن يعرض الأمر على هيئة رسمية، لأن الموضوع ليس مسألة شخصية، بل هو أمر عام لكل المسلمين، والموضوع منشور فى «أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام».

غسل الأم والابنة

السؤال من القارئ/ حسنى علام خضر، يقول: هل يجوز لى أن أقوم بتغسيل أمى وابنتى؟

الجواب: جاء فى كتاب «الفقه على المذاهب الأربعة» نشر وزارة الأوقاف - أن المالكية قالوا: إذا ماتت المرأة وليس معها زوجها ولا أحد من النساء فإن كان معها محرم - كالأب والابن والأخ - وجب عليه أن يغسلها، ولَفَّ على يديه خرقة غليظة مع ستارة بينه وبينها، فإن لم يوجد محرم يَمَّمها واحد لكوعها فقط.

وقال الحنفية: إذا لم يكن معها نساء يممها المحرم إلى المرفق، والشافعية أجازوا أن يغسلها المحرم، وقال الحنابلة: لا يغسلها بل ييممها.

وعلى هذا يجوز للسائل أن يغسل أمه أو بنته عند الشافعية والمالكية أوجبوه لأنهما من المحارم، ويلف على يديه خرقة غليظة مع ستارة بينه وبينهما.

عـــذاب القـــبر

السؤال من القارئ/ حسين طلعت إبراهيم، من المحلة الكبرى ـ أبو شاهين، يقول:

ما جزاء من أنكر عذاب القبر بحجة أنه لا يوجد دليل صريح من القرآن؟

الجواب: نعيم القبر وعذابه ثابتان بأدلة كثيرة منها:

١ ـ روى البخارى ومسلم وأصحاب السنن أن النبى ﷺ قال: «**المسلم إذا سئل فى قبره فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله**» فذلك قول الله «**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة**»، وفى لفظ: نزلت فى عذاب القبر.

٢ ـ **وروى البخارى ومسلم أنه ﷺ مر بقبرين فقال «إنهما يعذبان وما يعذبان فى كبير، بل إنه كبير، أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله».**

٣ ـ **والله سبحانه يقول: «النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب»**، فالعرض يكون فى القبر قبل يوم القيامة، وهناك نصوص أخرى فى هذا الموضوع مبسوطة فى المجلد الثانى من «أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام».

هذه بعض الأدلة القوية على النعيم والعذاب فى القبر، فذلك ثابت بالسنة وظاهر الآية، وأهل السنة مجمعون عليه، والإجماع حجة عند أكثر الأصوليين، وأنكره جماعة من المعتزلة، ومهما يكن من شىء فإن العقائد لا تثبت إلا بالنص القطعى فى ثبوته ودلالته، والحديث الصحيح الذى دل على نعيم القبر وعذابه اعتبره بعض العلماء من قطعى الثبوت الذى يفيد العلم اليقينى، واعتبره آخرون ظنِّى الثبوت الذى لا يفيد العلم اليقينى، ومن هنا كان الخلاف فى الحكم على من أنكر نعيم القبر وعذابه، هل هو كافر أو غير كافر، فلا ينبغى أن نتعجل بالحكم.

وأرجو ألا يحملنا الخلاف فى ذلك على التهاون فى أداء الواجبات وترك المنهيات، فإن المسئولية ثابتة بعد الموت سواء أكانت فى القبر أم فى يوم القيامة، وسيعلم كل واحد منا علم اليقين ما يكون عليه الأمر إن وضع فى قبره.

المـوت والصـراط

السؤال من القارئ/ أحمد كامل الشاطر، من الضبعية، طراد النيل ـ الأقصر، يقول:

هل الموت يذبح على الصراط؟ وهل بالجنة أسواق؟

الجواب: هذه أمور غيبية لا يجب الإيمان بها إلا عن طريق القرآن والحديث النبوى الصحيح المتفق عليه، وليس فى القرآن شىء عن ذبح الموت على الصراط، ولا عن الأسواق فى الجنة، وقد وردت أحاديث كثيرة فى ذلك.

فعن ذبح الموتى جاء فى البخارى ومسلم أن الله يأتى يوم القيامة بالموت على شكل كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار، ليعلم أهل الجنة أنهم خالدون فى نعيمها، ويعلم أهل النار أنهم خالدون فى عذابها، وجاء فى رواية ابن ماجة بإسناد جيد أن الكبش يذبح على الصراط، والمهم أنه لا موت بعد الحساب لمن كتب عليه دخول الجنة أو النار، والخلود مذكور فى القرآن الكريم. وعن أسواق الجنة وردت أحاديث كثيرة فى كتاب «الترغيب والترهيب للمنذرى» روى بعضها مسلم وهى أسواق يأخذ منها أهل الجنة ما يريدون دون بيع أو شراء ويعودون بما أخذوا إلى زوجاتهم فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويمكن الرجوع إليها لأنها طويلة.

الدفع من أجل الحصول على وظيفة

السؤال من القارئ/ ع. ز. م. يقول:

دفع شخص مبلغا من المال للحصول على فرصة عمل بالحكومة فهل هذا المال رشوة؟

الجواب: موضوع الرشوة موضوع طويل سبق ذكره فى عدة أعداد من المجلة آخرها عدد جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ، ربيع الآخر ١٤٢٥هـ مع الفرق بينها وبين الإكرامية، وهو فى المجلد الأول من «أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام»، وباختصار أرى أنها تطلق فى العرف الجارى على ما يدفع لنيل ما يصعب الحصول عليه، وذلك لأنه إما لأنه ممنوع شرعا أو قانونا، وإما لأنه غير ممنوع ولكن يحتاج إلى جهد للحصول عليه. فالأول كالقضاء له بشىء لا يستحقه، أو بظلم أحد لا يستحق الظلم، والثانى كحصوله على حقه ويحتاج إلى دفع شىء للتعجيل به وعدم التسويف فيه أو محاولة منعه، وكدفع ظلم عنه لا يمكن إلا بما يقدم لمن يستطيع دفع هذا الظلم.

والرشوة فى النوع الأول حرام، لحديث الترمذى «لعن رسول الله ﷺ الراشى والمرتشى والرائش»، يعنى الذى يسعى بينهما، وحديث ابن اللتبية فى ذلك معروف، رواه البخارى ومسلم.

وفى النوع الثانى تكون كالجعالة، وقد رأى جماعة حرمتها لعموم خبر لعن الراشى والمرتشى والرائش، وقال آخرون: إن كان هذا الأمر فى يد من لا سلطان له وسيبذل جهدا متبرعا به غير واجب عليه فإعطاء شىء فى مقابل ذلك حلال لا بأس به، وأخذ هذا الوسيط له لا بأس به أيضا، كمن يقول: من ردّ لى الشىء الضائع منى فله كذا، ومن بحث لى عن عمل طيب فله كذا.

أما إذا كان هذا الأمر فى يد من له ولاية عليه كرئيس مصلحة ينجز للشخص عملا هو من حقه وتحت سلطان هذا الرئيس فإن إعطاء شىء له لتسهيل الإجراءات للوصول إلى الحق جائز، لكن أخذ الرئيس له حرام، لأن المفروض أنه يؤدى واجبه المشروع بدون مقابل أو وساطة، ورأى البعض أن إعطاءه حرام لأنه يساعد على الحرام.

وكل ذلك إذا كان فيه اتفاق سابق على العمل فى مقابل الرشوة، أما إذا لم يكن اتفاق مشروط أو معروف عرفا، وبعد إنجاز المهمة المشروعة أعطاه صاحب الحاجة شيئا فلا حرمة فيه لحديث معناه **«من اصطنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تستطيعوا فأثنوا عليه بخير».**

مبرد للمياه

السؤال من القارئ/ صلاح إسماعيل عبدالفتاح، من كفر صقر، بمحافظة الشرقية، يقول:

أقمت مبردا للمياه على الطريق العام كسبيل للشرب بجوار الأراضى الزراعية ولكن المياه التى تجرى فيه بدون عداد فلا ندفع عنها أجرا مقابل هذا الماء. فهل هذا حلال أم حرام والثواب يعود على من فى تلك الحالة؟

الجواب: الماء الذى يشربه الناس من المبرد على الطريق العام إن كان من المياه التى يشرف عليها المجلس المحلى أو الجهة الرسمية المسئولة، ولم يأخذ صاحب المبرد إذنا منها بذلك لم يكن له ثواب فى الماء، وقد ارتكب مخالفة، ونرجو أن يكون له ثواب المبرد نفسه. أما إذا كان الماء محسوبا على صاحب المبرد فله ثوابان، ثواب الماء وثواب المبرد لأنه يحتاج إلى كهرباء، وهى على حساب صاحبه.

تـأويـل الـرؤيـا

السؤال من القارئ/ د. محمود أبو النصر جاد الله، من دسوق بمحافظة كفر الشيخ، يقول: رأت ابنتى رؤيا وفيها رسول الله ﷺ وقد شاركها أحداث وحاولت والدتها أن تفسر تلك الرؤيا مع من لهم فى تفسير الأحلام. فما حكم الشريعة فيمن يفسر الأحلام؟ وخاصة بمن يشاهد فى رؤياه الرسول ﷺ؟

الجواب: اعلم وليعلم الجميع أن الرؤى والأحلام ليست لها قاعدة تفسر على ضوئها، فكلها أو أكثرها اجتهادات أو تجارب أو أحداث كثرت فى شأن أية رؤيا، قد يصدق التأويل وقد لا يصدق، وكل ذلك بخلاف ما صدق منها فى القرآن وفى حديث النبى ﷺ، كتأويل يوسف لرؤيا الملك.

ومن المعلوم أن رؤيا الرسول ﷺ صادقة لأن الشيطان لا يتمثل به كما صح فى الحديث، ولو كان فى رؤيته - كما جاء فى السؤال - أعمال خير من الرسول ﷺ كانت خيرا للرائى إن شاء الله تعالى.

وما تعوده الناس الآن من اللجوء إلى أى إنسان لتأويل الرؤيا، وكذلك سرعة من يؤولها، بل وضع كتب جديدة فى ذلك إلى جانب كتب ابن سيرين والنابلسى وغيرهما، وبعض البرامج الإعلامية - ظاهرة فاشية اختلفت فيها الآراء، ولا داعى إليها، وأوصى من رأى رؤيا سُرَّ بها أن يحمد الله وألا يخبر بها أحدا إلا من يحب. ومن رأى رؤيا تألم لها أن يكتمها ويستعيذ الله من شرها ويغير موضع نومه، ويصلى ركعتين يريح الله بهما نفسه ويذهب عنه شر ما رآه. كما وردت بذلك الأحاديث.

وأحيل السائل على مراجعة هذا الموضوع فى «أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام» فى العدد الخامس من الطبعة الأولى.

الزكاة للمدخن

السؤال من القارئ، حمدى رمضان أحمد، من قليوب بمحافظة القليوبية، يقول: هل تجوز الزكاة على الفقير المدخن ويستخدم كل ما يصله من أموال زكاة فى صرفها على التدخين؟

الجواب: من المعلوم أن التدخين ممنوع شرعا، سواء أكان المنع للتحريم أم للكراهة التحريمية، ومن هنا لا تجوز الإعانة عليه أو تشجيعه بأية وسيلة من الوسائل. فمن أعان على ممنوع كان شريكا فى المسئولية مع من مارسه. قال تعالى: **﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾** المائدة: آية ٢.

وعليه فلا يجوز إعطاء الزكاة لمن يدخن، بل لا تجوز الصدقة التطوعية له، لأن ذلك يغريه على مداومة التدخين.

الطلقة الثالثة وتحليلها بالمال

السؤال من القارئ، أحمد مصطفى قلشة، من سوهاج، يقول: رجل طلق زوجته ثلاث مرات وأراد مراجعتها فنصحه بعض المشايخ بدفع مبلغ من المال ليردها إليه، فهل هذا جائز؟

الجواب: إذا ثبت أن الطلاق وقع ثلاث مرات لا يحل للزوج أن يعيدها إلى عصمته إلا بعد زواجها من شخص آخر - وهو المحلل - بشرط أن يكون الزواج صحيحا خاليا مما يفسده، مع التأكد من معاشرة المحلل لها بالجماع، كما نصت عليه الآية: **﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره﴾** البقرة: آية ٢٣٠. وكما نص عليه الحديث **«حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتها»**.

وما جاء فى السؤال من دفع مال لتحل له فهو خطأ، وربما رأى هذا الشيخ أن الطلقات الثلاثة لم تقع، لأنها قد تكون من الطلاق المعلق - غير المنجز - وتكون نية المطلق هى التهديد مثلا وليست الطلاق. فتراجع المسألة ويتحقق منها.

اختبار القرين

السؤال من القارئ/ حسين جلال، من محافظة القاهرة، يقول:
هل يوجد فى السنة أو فى الأثر ما يسمى باختبار القرين بقراءة سورتى الهمزة والصمدية وما صحة أن الرسول ﷺ قد سُحِر؟

الجواب: روى مسلم وأحمد أن النبى ﷺ قال: **«ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة»** قالوا: وإياك؟ قال: **«وإياى، إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بخير»**.

وعلينا أن نستعيذ بالله من وسوسة الشيطان، كما قال سبحانه: **﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله﴾** الأعراف: آية ٢٠٠.

أما ما جاء فى السؤال من اختبار القرين فلم أطلع على شىء منه، ولا على فضل سورتى الهمزة والصمدية فى ذلك، وإن كان لقراءة القرآن وفضل بعض سوره ثواب عظيم.

هذا، وقد صح فى البخارى ومسلم أن النبى ﷺ سحره لبيد بن الأعصم، وأثبته جماعة وقالوا: إنه جائز، فهو مرض من الأمراض التى تصيب الإنسان، وهو لم يؤثر على الرسول ﷺ من ناحية تبليغ الرسالة والتزام أحكامها، والجصاص من أئمة الحنفية نفى ذلك.

الوصية

السؤال من القارئ، عبده الشنطى سليم، من كفر الزيات بمحافظة الغربية، يقول:
لى زوجة وابنة معاقة وأخ قليل الدخل وله ولدان متخلفان بالتعليم فهل يجوز أن أوصى لابنتى بثلث الأرض تأمينا لها وثلث عقار للولدين تكريما منى لهما خاصة أنهما يقومان برعايتنا مع العلم بوجود ورثة آخرين ميسورى الحال؟

الجواب: لو تركت الموضوع بدون وصية، ويطبق الميراث الشرعى، كان نصيب زوجتك الثمن فرضا، ونصيب بنتك النصف فرضا، والباقى للأخوة تعصيبا، وذلك مما تملكه أنت من أرض وعقار ونقود، ولا حاجة إلى وصية.

لكن لو أردت عمل وصية لبنتك بثلث الأرض فلا مانع ومع ذلك هى سترث فى باقى الأرض وفى العقار، على الرأى المعمول به قانونا بناء على نص شرعى فى جواز الوصية للوارث فى حدود الثلث دون حاجة إلى إذن الورثة.

والوصية لغير الوارث وهما ولدا أخيك المتخلفين جائزة أيضا دون توقف على إذن الورثة مادامت فى حدود الثلث.

وتفصيل الموضوع سبق نشره عدة مرات، ويمكن الرجوع إلى «زاد المعاد» لابن القيم، وكتاب «المصطفون الأخيار».

هل يجوز بيعه؟

السؤال من القارئ، م. أ. م، من محافظة القاهرة، يقول:
فى بعض الدول الأوروبية يستخدم الجزء المفصول بعد إجراء عملية ختان الذكور لاستخدامها فى عمليات ترقيع قرح القدم لمرضى السكر، فما حكم الدين فى بيع هذا الجزء واستخدامه للأغراض العلاجية؟

الجواب: فى تفسير القرطبى «ج٢ ص١٠٢» عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ: كان رسول الله ﷺ يأمر بدفن سبعة أشياء من الإنسان: الشعر والظفر والدم والحيضة والسِّنّ والقلفة ـ ما يقطع من ذكر الولد عند الختان ـ والمشيمة. وهى ما يعرف بالخلاص الذى يعيش فيه الجنين فى بطن أمه ثم ينزل.

ودفن الخلاص سنة وليس واجبا كما اختاره ابن حجر، ردا على النووى فى قوله بوجوب دفن الشعر، والحكمة فى دفن هذه الأشياء هى المحافظة على النظافة، والاحتراز من استعمال بعض الأشرار لها فيما يضر صاحبها على ما يعرفه من يشتغلون بذلك،

والقلفة التى تقطع عند ختان الولد وان كان يُسَنُّ دفنها للحكمة المذكورة فهى ليست عضوا كاملا من أعضاء الجسم، وقد أجاز العلماء نقل الأعضاء للمصلحة، وإن كان فى أخذ العوض عنها كلام مراعاة لكرامة جسم الإنسان.

وأرى أن استخدام القلفة لمصلحة مشروعة جائز، ولا مانع من أخذ عوض عنها لعدم سلامة الدليل على المنع.

أ. حسين السكرى

الإسلام والصحة النفسية

للقارئ/ عبدالله محمود عنتر - مساكن محطة مياه الشرب - شبراخيت - بحيرة.

إن الإسلام لا يتطرق إلى رعاية الجسد وحده فقط دون الأخذ بالجانب الآخر للإنسان ألا وهو الروح، وهى تتمثل فى حالة الإنسان النفسية، ولقد حرص الإسلام على صحة الإنسان النفسية ووضع لها المعايير والمقاييس السليمة التى بها تتحقق هذه الصحة المنشودة، بل ووضع سبل تحقيق هذا الغرض من صحة الإنسان وتنقيتها من شوائب الدنيا الزائلة وهمومها وهذا هو مناجاة رب العزة - سبحانه - وبه تطمئن القلوب الحائرة وتجد فيه الملاذ والهروب من أحاديث النفس من الوساوس والظنون وبه تشفى وتعالج أمراض القلب الكثيرة والمتعددة من غل وحسد وكراهية وأمراض النفس من قلق واكتئاب، وهذا ما نلمحه فى قوله تعالى: **﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾** الأنفال: آية ٢، وقال - جل وعلا -: **﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد﴾** الزمر: آية ٢٣، ولقد دعانا رسولنا الكريم ﷺ إلى عدم الشدة فى القول والفعل ونهى عن الغضب والانفعال الزائد، ودعانا إلى المودة والرحمة وكل هذا يؤدى إلى اجتناب المرء أمراض النفس وانزعاجها، **فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال للنبى ﷺ أوصنى، قال: لا تغضب، فردد مرارا، قال: لا تغضب»**، رواه البخارى.

وعن أبى ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»**، رواه مسلم، ولقد دعا الإسلام الآباء لحسن معاملة الأبناء وانتقاء أسمائهم وانتقاء الزوجة الصالحة التى ستصبح أما لهؤلاء الأبناء وتعليمهم كتاب الله القرآن الكريم، فعدم إحسان اختيار أسماء الأطفال واختيار أمهاتهم يؤدى إلى أضرار نفسية مستقبلية قد تؤدى إلى تحطيم نفسية الطفل وانزوائه عن زملائه وأصدقائه خشية انتقادهم له والاستهزاء من جراء هذه التسمية.

***

الصحة النفسية لا تقل فى الاهتمام بها عن الصحة الجسدية ولهذا اعتنى بها الإسلام بل وتحدث عنها كثيرا الأطباء والحكام والشعراء والمفكرون، لأن الصحة النفسية عليها قوام الإنسان وبها تصرفاته وحركاته وسكناته ولا يمكن الإنسان سليم الجسد ومشوه النفس أن يحيا حياة طيبة فى التصرف وحسن الاختيار فالعقل السليم فى الجسم السليم والقلب النابض بالفكر الثاقب والروح الكريمة والاسم الحسن، كل هذا له وزنه فى دنيا الناس.

خطورة الشائعات على مسيرة الإصلاح

للقارئ/ أشرف محمد أبو العزم اليمانى، بلبيس شرقية.

إن من الواجب على كل من يتصدى لعلاج أية مشكلة اجتماعية أن يعلم أن البيئة التى يمارس فيها نشاطه الإصلاحى لا تخلو من الغيوم والضباب والعواصف والأنواء، حيث يعيش جماعة فضوليون يخوضون فى الباطل، ويستمرئون تناقل الأخبار والشائعات، ويتاجرون بالكلمة مقروءة كانت أو مسموعة، يروجون بها الأباطيل ويفترون بها الأكاذيب.

ومن هنا كان لابد لكل مصلح أن يهيئ النفوس والقلوب لقبول منهجه ودعوته الإصلاحية، ويكون يقظا متنبها لكل عاصفة تهب حوله فيعد العدة بالتوعية الصادقة والإعلام الجاد الذى يستهدف تنقية الأجواء وفسح الطريق لنشر الحق التى تتضح بها الرؤية وتزول معها الغشاوة، وتنكسر بها حدة العاصفة، كل ذلك وهو ماض فى طريقه بعزم صادق وتصميم قوى على تحقيق الأمل وبلوغ الهدف مستحثا القافلة لتواصل المسيرة غير عابئة بالأصوات المزعجة التى تلاحقها وتشوش عليها متمثلا قول القائل:

على قدر أهل العزم تأتى العزائم

وعلى قدر الكرام تأتى المكارم

وليكن فى ذلك متأسيا بقادة الإصلاح الذين أرسلهم الله عز وجل - مشاعل نور وهداية تهدى السالكين إلى طريق الحق وإلى صراط مستقيم فقد وجدوا من أقوالهم مقاومات عنيفة بدأت باختلاق الأكاذيب وترويج الشائعات عنهم طعنا فى أشخاصهم تارة ورفضا لدعوتهم ومبادئهم تارة واحتقارا لدعوتهم تارة أخرى وحقا ما قال ربنا - عز وجل -: **﴿يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾** يس: آية ٣٠، وقوله تعالى: **﴿وكم أرسلنا من نبى فى الأولين* وما يأتيهم من نبى إلا كانوا به يستهزئون﴾** الزخرف: آية ٦، وقالوا مثل ذلك لآخر الأنبياء وأكرمهم على الله - عز وجل - سيدنا محمد ﷺ وطعنوا فى شخصه بالجنون كما طعنوا فى منهجه بأنه إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون وأنه أساطير الأولين وقد علم الله أن صدره يضيق بما يقولون فوجهه وأرشده إلى المضى فى سبيل دعوته ومسيرته الإصلاحية غير عابئ بهم وأمره أن يصبر على ما يقولون وأن يصدع بما يؤمر وأن يعرض عن المستهزئين والمتشككين وأمثالهم.

إن الإسلام كما يشد من عزم المصلحين بالثبات وصدق اليقين يتوجه إلى الناس بالتحذير من اختلاق الشائعات التى تعرقل مسيرة الإصلاح.

وكما يحذر من اختلاق الشائعات يحذر من التسرع فى تصديقها فيقول عز من قائل: **﴿ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا﴾** الحجرات: آية ٦، وفى قراءة أخرى فتثبتوا - وينبه إلى الرجوع إلى المصدر الصحيح للتأكد من صدق ما يشاع أو يقال فيقول عز من قائل: **﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾** النساء: آية ٨٣.

ألا فليتق الله - عز وجل - الذين يضعون العراقيل ويختلقون الأكاذيب ويروجون الشائعات فى طريق المصلحين، وليواصل المؤمنون الصادقون مسيرتهم واثقين بنصر الله وتأييده لهم فهو نعم المولى، ونعم النصير.

تضحية واستسلام

للقارئ/ محمد عاشور سمينة ـ إدارة أوقاف منوف ـ المنوفية.

سطعت الدعوة الإسلامية وتألقت فى آفاق الدنيا وقد سارت معها فضائلها وذاعت محامدها فأين ما وقع شعاع منها فقد سطعت معه الفضيلة الإسلامية وانبلجت لديه الشمائل المحمدية، ومن الفضائل التى عزت بها الدعوة الإسلامية فضيلة التضحية، فقد كانت تضحياتهم مضرب الأمثال وأعظمها وأعزها تركهم لديارهم وأموالهم وآبائهم وإخوانهم وعشائرهم، قال الله ـ تعالى ـ: **﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾** المجادلة: آية ٢٢، هجرة بدينهم وفرارا بعقائدهم إلى بلاد نازحة، يفعلون ذلك طيبة نفوسهم رحبة صدورهم حتى لو كانت المرأة المسلمة تركب بعيرها فى طريقها إلى هجرتها إلى الحبشة وفى يوم ما سأل سائل؟ إلى أين ياأم عبدالله؟ فقالت: لقد آذيتمونا فى ديننا فسنذهب إلى أرض الله حيث لا نؤذى، هكذا كانت الأم الإسلامية تقتحم الأسفار لا تبالى شيئا مادامت قد سلمت لها عقيدتها.

***

هذا ما كان يفعله المسلمون فعلا فى صدر الإسلام، فقد كانت العقيدة الإسلامية تملأ نفوسهم وتغلف قلوبهم وعقولهم وتسيطر على أحاسيسهم ومشاعرهم ولا يشغلهم عن ذلك شىء آخر إلا حب الإيمان والإسلام والرسول الكريم ﷺ فقد تربوا جميعا فى تلك المدرسة الإسلامية المحمدية، وقد قام بتربيتهم وتهذيبهم صاحب تلك المدرسة الرسول العظيم ـ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ.

مسابقة منبر الإسلام الدينية ـ شوال ١٤٢٦هـ (٢)

«الإيمان عملية يقينية تزيل كل الأوهام والشكوك وتحول الإنسان إلى طاقة فاعلة للخير قادرة عليه لأن الخير كله فى الحق، ولا حق من غير إيمان صادق».

فى أى مقال وردت هذه العبارة وما اسم صاحبها؟

عنوان المقال : .... **اسم الكاتب :** ....

العنـــوان : ....

العمـــل : ....

اسم المتسابق : .... **رقم التليفـــون :** ....

تاريخ الميلاد : ....

رقم البطاقـة: .... **جهة الصدور :** ....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة عسى أن تفوز برحلة العمرة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤٢٦هـ حتى شعبان ١٤٢٧هـ.

بريد التعارف

أهلاً

الاسم : جمال حسن حسن محمد خميس
الهواية : حفظ القرآن الكريم والاطلاع الدينى
العنوان : ميت أبو خالد ـ ميت غمر ـ دقهلية

الاسم : عامر فتحى عبدالظاهر على
الهواية : القراءة وكتابة الشعر
العنوان : المنيا ـ ملوى الريرمون

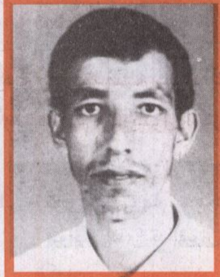

الاسم : محمد شعبان أبو زهرة
الهواية : الاطلاع ـ العمل على الكمبيوتر
العنوان : البحيرة ـ شبراخيت ـ عزبة أبو زهرة

الاسم : جمعة أبو بكر
الهواية : الخطابة وقراءة القرآن الكريم
العنوان : قرية ٧ ـ إدكو بحيرة

الاسم : محمود محمد زكى
الهواية : قراءة القرآن الكريم ـ المراسلة
العنوان : أسوان ـ كيما عزبة المرشح

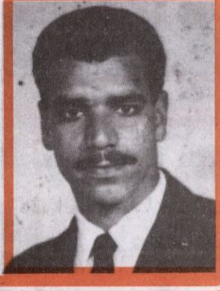

الاسم : علاء محمد أحمد
الهواية : الاطلاع الدينى والمراسلة
العنوان : المنيا ـ صفط الخمار ـ الشيخ عيسى

الاسم : رمضان محمد الفخرانى
الهواية : الخطابة وقراءة القرآن الكريم
العنوان : قرية تتا ـ مركز منوف ـ منوفية

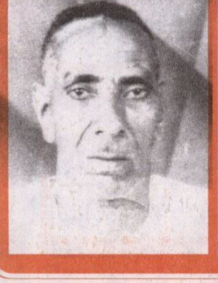

الاسم : إسماعيل عبدالفتاح عبدالرحيم
الهواية : تلاوة القرآن الكريم والمراسلة
العنوان : القضاة ـ كفر صقر ـ بجوار محطة التعاون

الاسـم : مـحـمـد عـبـدالرءوف أحـمـد محمد
الهـوايـة : الاطلاع الدينى
العنوان : أسوان ـ إدفو ـ الخوى

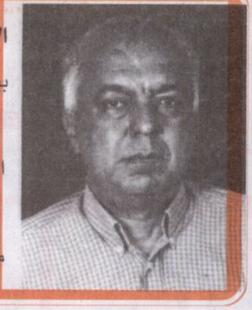

الاسم : نبيل محمد بيومى حفنى
الهواية : قراءة القرآن الكريم والاطلاع الدينى
العنوان : سنتريس ـ مركز أشمون ـ منوفية

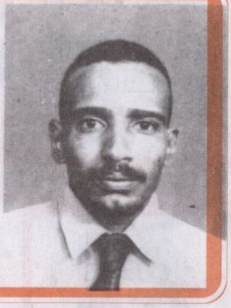

الاسم : على أحمد محمود عثمان
الهواية : الخطابة وقراءة القرآن الكريم
العنوان : قنا ـ دشنا ـ أبو مناع بحرى

الاسم : حسن عبدالعليم مقبل حسن
الهواية : الخطابة والتفقه فى الدين
العنوان : أسيوط ـ ساحل سليم ـ المطمر

الاسم : ياسر لطفى مسلم
الهواية : قراءة الكتب الدينية والعلمية
العنوان : طملاى ـ منوف ـ منوفية

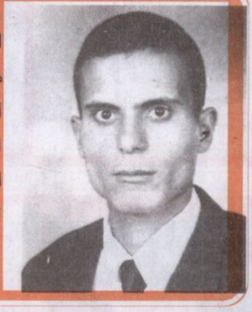

الاسم : وليد إبراهيم متولى المسرى
الهواية : قراءة القرآن الكريم
العنوان : قرية المسرى أولاد صقر ـ محافظة الشرقية

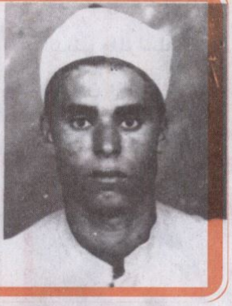

الاسم : ياسر فتح الله محمد
الهواية : الاطلاع الدينى
العنوان: دقميرة ـ كفر الشيخ

الاسم : السيد عبدالمنعم سليم
الهواية : الاطلاع الدينى
العنوان : شركة غزل المحلة

تعارف منبر الإسلام

الاسم : ....
الهواية: ....
العنوان: ....

ترجو المجلة من قرائها فصل الكوبون المجاور وملء بياناته وإرفاق الصورة به وإرساله إلينا

محتويات العدد

□ **كلمة التحرير**	....	١
□ **حديث الشهر** (كل عام وأنتم بخير)........................	بقلم أ. د. عبدالصبور مرزوق........................	٢
● احتفال مصر بليلة القدر........................	منير بيومى........................	٤
● المسابقة العالمية للقرآن الكريم........................	محمد كامل شاهين........................	١٧
● ملتقى الفكر الإسلامى........................	مصطفى خيان........................	٢١
□ **القرآن الكريم وعلومه**........................	....	٤٩
● تفسير سورة الانفطار........................	أ. د. محمد سيد طنطاوى........................	٥٠
● القرآن دستور الإسلام........................	أ. د. أحمد عمر هاشم........................	٥٤
● مفهوم الحق وتطبيقاته من خلال آيات «قل»........................	أ. د. محمد محمد أبو ليلة........................	٥٨
● دراسات من المكتبة القرآنية: تأويل مشكل القرآن.. لابن قتيبة........................	أ. د. محمد الدسوقى........................	٦٦
● هذا هو العيد (شعر)........................	د. عبدالحميد إبراهيم أبو سعدة........................	٧٢
● من التاريخ الإسلامى.. محنة شاعر.. يزيد بن مفرغ........................	أ. د. محمد رجب البيومى........................	٧٣
□ **الحضارة والعلوم**........................	....	٧٩
● الماء آية لا يعلمها كثير من الناس........................	أ. د. كمال إبراهيم عبدالفتاح........................	٨٠
● الصحة النفسية والعضوية من سكينة النفس........................	أ. د. عبدالمعبود عمارة........................	٨٤
● الإسلام دين الإنسانية والعالمية جمعاء........................	أ. د. إبراهيم سليمان عيسى........................	٨٧
● مكانة العقل فى العقيدة الإسلامية........................	أ. د. بكر زكى عوض........................	٩١
● ما العيد إلا بالنهوض بأمتى (شعر)........................	نوال مهنى........................	٩٤
● محاسن الإسلام ومزاياه فى تشريعات المرأة........................	أ. د. عبدالعظيم المطعنى........................	٩٥
● الضمير (شعر)........................	عبدالغنى أحمد ناجى........................	٩٨
□ **الدعوة والدعاة**........................	....	٩٩
● بمغانم رمضان يجب أن نواصل المسيرة........................	فضيلة الشيخ محمد عبدالمجيد زيدان........................	١٠٠
● عيد الفطر.. يوم الجائزة........................	أ. د. محمد فتحى فرج بيومى........................	١٠٤
● من نماذج الفكر الخبيث.. كتاب «تجمع الإسلام»........................	أ. د. محمد عمارة........................	١٠٧
● الظلم وعاقبة الظالمين........................	فضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف........................	١١٠
● الإحسان فى القرآن الكريم........................	السيد أحمد أبو الفضل عوض الله........................	١١٣
● محمد البهى.. العالم الصارم........................	كمال عبدالوهاب........................	١١٧
● مفهوم الدين والإيمان واليقين بالله........................	أ. د. عبدالرشيد سالم........................	١٢٢
● سلوك يرفضه الإسلام: الغيبة........................	نجوان الغطريفى........................	١٢٤
● دروس من الفتوحات الإسلامية (معركة بابليون)........................	سعيد صالحة........................	١٢٦
● الفقيه المجدد.. الشيخ على الخفيف........................	أحمد فاروق الهلباوى........................	١٢٨
● قطوف: (أشهر الحنفاء)........................	محمد سيد أحمد علىّ الدين........................	١٣٢
□ **أنت تسأل والفقيه يجيب**........................	فضيلة الشيخ عطية صقر........................	١٣٤
□ **مع القــراء**........................	يحرره: حسين السكرى........................	١٤٠
□ **بريد التعارف**........................	....	١٤٣

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يزود المكتبة الإسلامية والقارىء المسلم فى جميع أنحاء العالم الإسلامى بأمهات الكتب التى صدرت عن المجلس ومنها:

أمهات كتب التراث الإسلامى

- الأحاديث القدسية مع تعليق كبار العلماء
- صحيح البخارى الأجزاء من ١ : ١١
- سبل الهدى والرشاد الأجزاء من ١ : ١٢
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار الأجزاء من ١ : ٤
- المقتضب للمبرد الأجزاء من ١ : ٤
- الوجوه والنظائر الأجزاء ١ : ٢
- مختصر سيرة ابن هشام الأجزاء ١ : ٢
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز الأجزاء من ١ : ٦
- المعلم بفوائد مسلم الأجزاء ١ : ٢
- إخلاص الناوى من ١ : ٤

المصحف الشريف

- المصحف الشريف طباعة المجلس ٢ لون بصمة ذهب
- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم «مجلد فاخر»
- المصحف المعلم ٣٨ شريطا للشيخ الحصرى
- المصحف المرتل ٢٢ شريطا للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المجود ٦٠ شريطا للقراء عبد الباسط عبد الصمد - مصطفى إسماعيل محمود على البنا - محمود خليل الحصرى

وهذه الكتب لكبار العلماء القدامى وكبار المحققين فى العالم الإسلامى:

- موسوعة الفقه الإسلامى الأجزاء من ١ : ٢٥
- الفتاوى الإسلامية مجلدات من ١ : ٢٠
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الأجزاء من ١ : ٥

وتيسيرا على القارىء المسلم ومشاركة فى تزويد المكتبات الإسلامية بالمطبوعات التى صدرت عن المجلس، تباع هذه المطبوعات للجمهور بسعر التكلفة الفعلية، مع إجراء نسبة خصم للبيع بالنقد إذا زاد عدد النسخ المباعة على عشر للكتاب الواحد أما بالنسبة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالأجل على أقساط شهرية دون أية زيادة على أسعار التكلفة الفعلية.

مراكز البيع

القاهرة ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى
مكتبة مسجد النور بالعباسية
٢ شارع الأمير قدادار المتفرع من ميدان التحرير
٧٦ شارع الجمهورية (شرائط القرآن الكريم)
الاسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٤٢ شارع سعد زغلول

مواعيد العمل من ٩ صباحا إلى ٢ ظهرا

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر